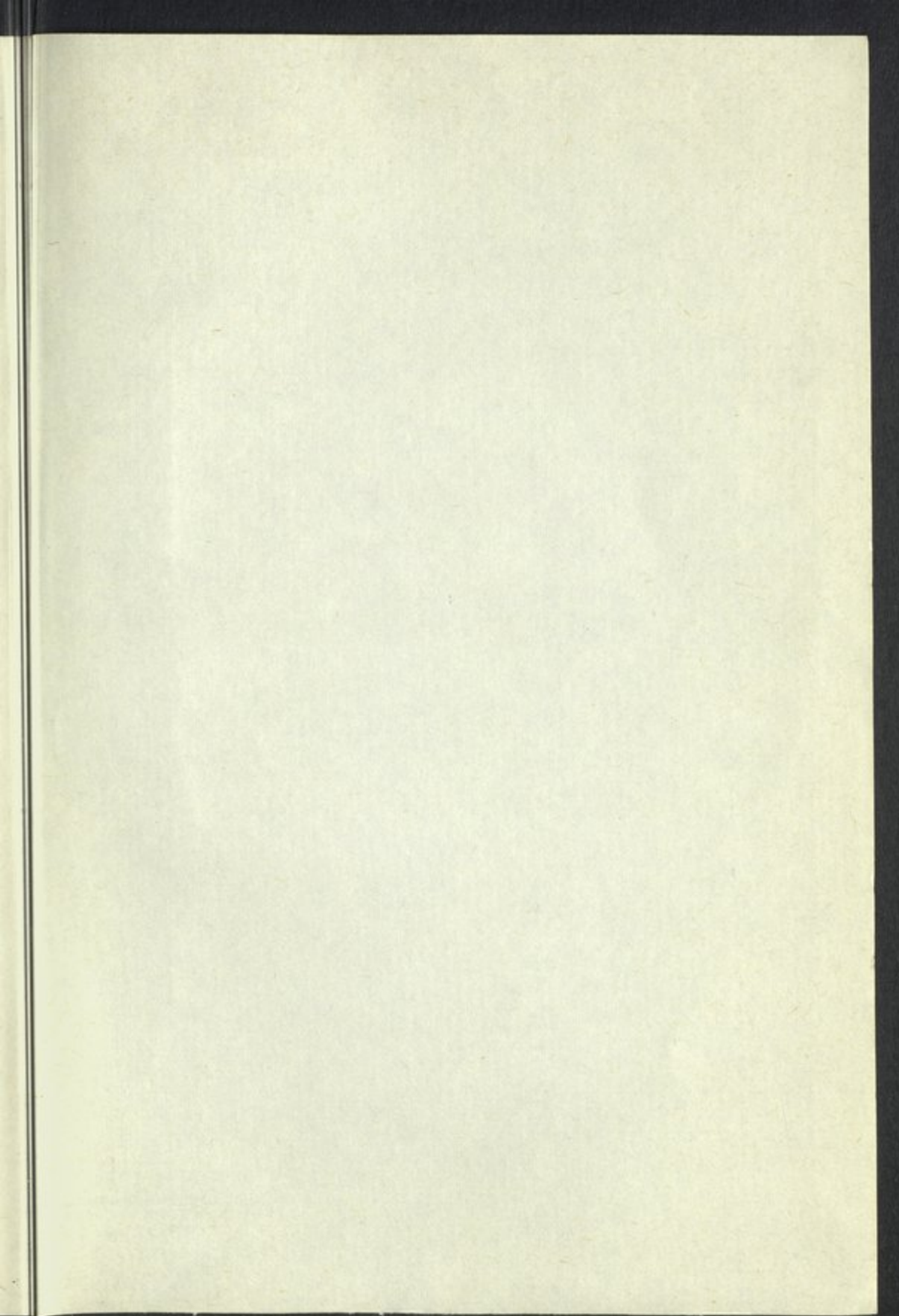


A. U. B. LIBRARY 1

N. MAKHOUL  
BINDERY  
16 MAY 1974  
Tel. 260458



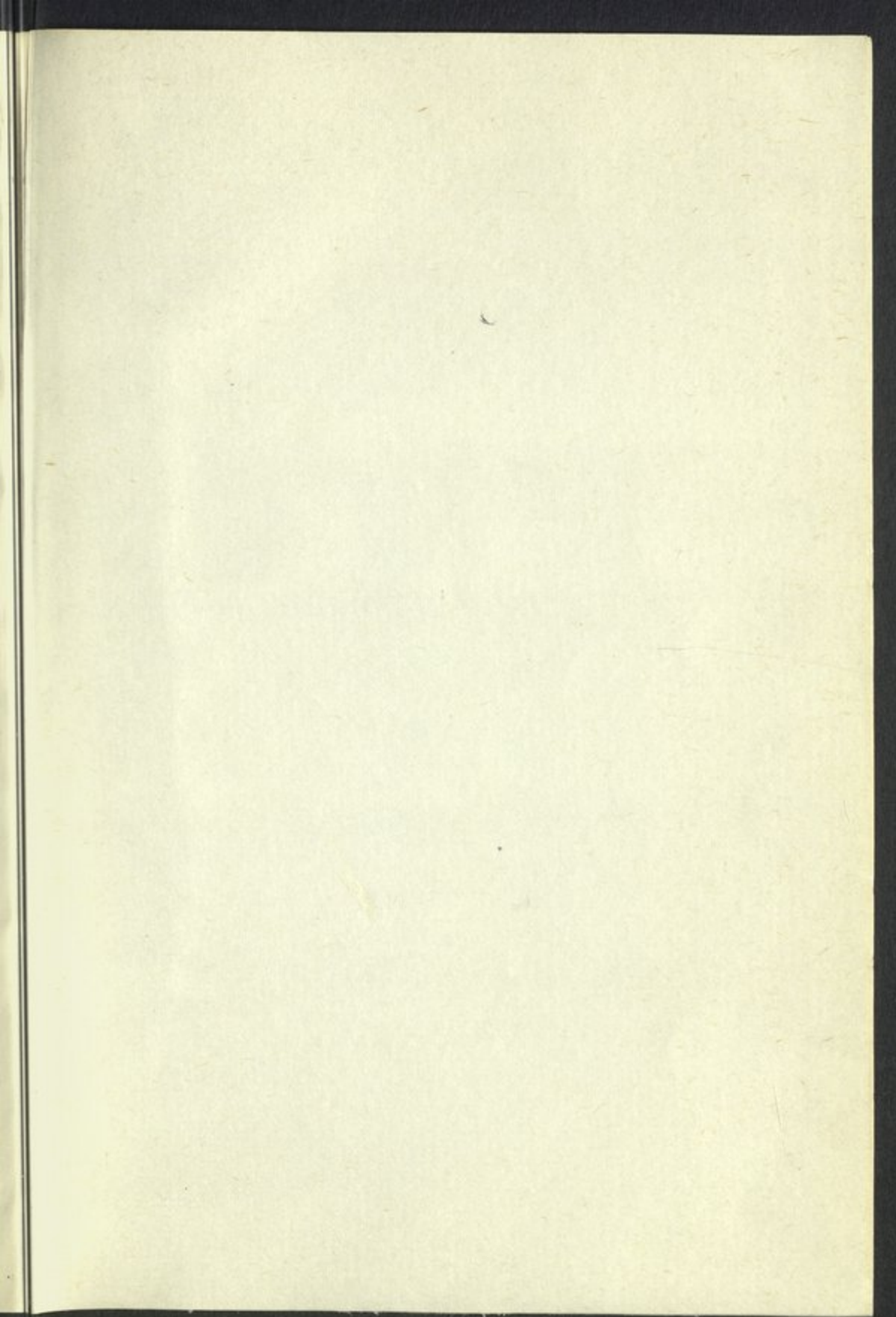




# خاتبات

مؤلفه: السيدة...

الطبعة الأولى...



181.5

I649y2A

c.2

# محمد <sup>ص</sup> إقبال

سيرته وفلسفته وشعره

الدكتور عبد الوهاب عزام



والمفكر الحر ، والفيلسوف الذى لا يَسِير مع الزمان ، ولا يخضع لتقلب  
الحدَثان ، والشاعر الذى يَنفخ الحياة فى المَوَات ، ويبعث فى القفر ألوان  
النبات ، ويثعلب الجمر الخامد ، فى الرماد الهامد .  
أبين فى هذه الكلمات كيف سمعت بأقبال اسما مبهما وقولا مُعجَما ،  
وكيف زادت معرفتى به على مرّ الزمان حتى وقعت فى بحره وسبحت  
فى لُجّته ، ثم أويت الى الساحل أنظر العباب الزاخر ، والآذَى الثائر ،  
وأصف ما رأى لمن لم يعرفه معرفتى ، ولم يولع به وكوعى .

— ٢ —

سمعت وأنا فى بلاد الانكليز ، قبل وفاة الشاعر بأكثر من عشر سنين،  
أن فى الهند صوفيا اسمه اقبال له نظرات فى التصوف ، وله فلسفة فى  
النفس ، وأن ذكره جاء فى بعض المجلات الأوربية ، وكلامه نشر فيها .  
وأنا نزاع الى الصوفية منذ نشأت . وزادنى معرفة بها ورغبة فيها  
وحبا فى المزيد منها ، أن تعلمت اللغة الفارسية وقرأت الشعر الفارسى ،  
وأعلام شعراء الفرس وأشدّهم استيلاء على النفوس واستحواذاً على  
القلوب هم الصوفية منهم . وقد أثروا تأثيرهم فى الشعر الفارسى حتى  
لا يخلو شاعر فارسى من نفحة صوفية .

لبت متشوقا الى اقبال ، أخباره وشعره وفلسفته ، على قِلّة ما سمعت  
عنه ، وعلى غموضه وعلى كثرة شواغلى .

— ٣ —

وما أحسب علمى به زاد على هذه النّتف من الأخبار ، حتى صحبت  
الصديق الشاعر محمد عاكف ، رحمه الله — وكان صديقى ورفيقي وأنيسى  
فى حلوان دار اقامتنا ، وفى جامعة القاهرة — فأرانى يوما ديوان پیام  
مشرق أحد دواوين الشاعر اقبال . وما قرأت من قبل ولا سمعت من  
شعر اقبال كثيرا ولا قليلا .

وقال محمد عاكف : ان صديقا — وأحسبه سفير تركيا فى أفغانستان

— ٤ —

يومئذ - أرسله الي - . فأقبلنا على الديوان نقرأ معاً فتمعَّب بالفكر  
والشعر ، ومنتقل في روضة أنثى تلقى العين والنفس بيهجتها من النوار  
والزهر ، مختلف الألوان والأشكال ، مؤتلف الرَونق والجمال .

عرفت اقبالا في كلامه يومئذ ، ولكنها معرفة من قرأ قليلا من كلامه ،  
غير خبير بعباراته ، ولا عارف بأشاراته ، ولا مدرك فلسفته ومذاهبه  
ودعوته ومقاصده .

ولا تزال نسخة پیام مشرق التي أعارني اياها الصديق محمد عاكف ،  
عندي ، عليها علاماته في مواضع الاعجاب ، أو مواضع السجود من الشعر  
كما قال الفرزدق<sup>١</sup> وهي عندي ذكرى اللقاء الأول لقاء اقبال في ديوان  
رسالة المشرق ، وذكرى شاعر الاسلام محمد عاكف .

ثم أهدى الي أحد مسلمي الهند ، وقد عرف حبِّي اقبالا وحرصى على  
الاستزادة من كلامه ، المنظومتين : أسرار خودى ورموز بى خودى .  
فرأيت فيهما أسلوبا يدعنا من الفلسفة التي سمّاها فلسفة خودى (الذاتية)  
وطريقة عجباً في الشعر ، ومذهبا متعجباً في التأليف بين مذهبه وبين  
الاسلام ، عقائده وفلسفته وحضارته وتاريخه . وما زال أصحابى في  
بلاد العرب والعجم يتحفوننى بما تناله أيديهم من دواوين اقبال ، فأزداد  
معرفة به واعجاباً وحبّاً وگراماً .

وشرعت أنشر ترجمة منشورة لشعره في مجلة الرسالة . ولا أدري كم واليت  
نشر قطع من شعر اقبال وعرفت به . وقد دعيت قبل وفاة الشاعر بوضع  
سنين وأنا في مدينة الإسكندرية ، الى التحدث عنه . وكان الأدباء في بلاد

(١) يروى أن الفرزدق سمع بيت لبديد :

وجلا السيول عن الطلول كانها      زبر تجد متونها اقلامها

فسجد . فمئىل عن السجود فقال انا معشر الشعراء نعرف مواضع السجود في الشعر



العرب عَرَفوه بى ، وعَرَفونى به • فتحدثت بما راع السامعين من فلسفة  
الشاعر وشعره •

وشرعت سنة ١٩٣٦ م أنظم منظومة سَمَّيتها اللمعات وأهديتها الى  
اقبال ونشرت مقدمتها فى مجلة الرسالة ١ •

— ٤ —

وكان من سعادة الجَدِّ وغبطة العين والقلب ، أن قدِم اقبال مصر فى  
طريقه الى المؤتمر الاسلامى الذى اجتمع فى المسجد الاقصى سنة ١٩٣١ م  
ودعت جمعية الشبان المسلمين الى الاحتفال بالرجل العظيم • واقترح  
أستاذنا الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله أن أقدم محمد اقبال الى  
الحضور • اذ كنت ، على ضآلة معرفتى ، أعرف الحاضرين به • وكان هذا  
شرفا لى وسرورا ، وفاتحة من عالم الغيب لصحبة طويلة ، صحبة المريد  
للمرشد ، والتلميذ للأستاذ ، ومقدمة لجهود مديد فى الكتابة عن الشاعر  
والحديث عنه ، وترجمة دواوينه الى العربية •

تحدثت ما وسعت معرفتى ، وأنشدت أبياتا من ديوان رسالة الشرق  
عكّلت بذهنى •

وهى فيما أتذكر :

أى كه در مدرسه جوئى أدب ودانش وذوق  
نه خورد باده كس از كارگه شبشه گران  
خرد افزود مرا درس حكيمان فرنگ  
سينه أفروخت مرا صحبت صاحب نظران  
بر كش اين نغمه كه سرمايه آب و گل نست  
أى زخود رفته تهي شو ز نوای دگران

---

(١) نشرت من بعد مع ترجمة رسالة الشرق فى كراچى سنة ١٩٥٠



وترجمتها :

يا من يطلب في المدرسة المعرفة والأدب والذوق ! ان أحدا لا يشرب  
الخمر في مصنع الزجاج •

قد زادت دروس حكماء الفرنج عقلي ، وأنارت صجبة أصحاب  
البصائر قلبي •

أخرج النعمة التي في قرار فطرتك • يا غافلا عن نفسك ! أخلها من  
نعمات غيرك •

وكذلك أنشدت هذه الشطرات :

أى كرمك شسبتاب سراپای تو نور است

پرواز تو يك سلسله غيب وحضور است

آئينِ ظهور است

وترجمتها :

يا لك من يراعة تصوّرت من نور

مسيرها سلسلة الغياب والحضور

وسنة الظهور

وقلت له حين انفض المجلس : لا تؤاخذنى ، ليس فى وسعى أن أنشد شعرك خيرا مما أنشدت • فقال : حسن ! أنشدت صحيحا • ووقف اقبال بعد أن عرفت الحاضرين به تعريفا موجزا فتكلم بالانكليزية فى أحوال المسلمين ، وتطور الفكر الاسلامى • وأفاض ماشاء علمه وبيانه • ومما وعيته من هذا الكلام قوله عن الصوفية : انهم علماء النفس بين المسلمين • وقد وكل الى الاستاذ محمد الغمراوى أن يسجل خلاصة خطاب اقبال ويقرأها على الحضور • فكتب وحاول أن يترجم ما كتب ارتجالا • ثم رأى أن يترجم على روية وينشر الترجمة فى مجلة الشبان المسلمين • وقد

حرصتُ على لقاء الشاعر من بعد ، ولكن ضيق الوقت قبل سفره الى  
القدس لشهود المؤتمر الاسلامى لم يبلِغنى ما حرصتُ عليه ، الا لقاء  
للوداع فى محطة القاهرة .

— ٥ —

ولبتت أكتب عن اقبال ، وأترجم من شعره ، ما وسع وقتى وعلى قدر  
فقهى وعلمى بسيرته حتى نعى الينا فى نيسان من سنة ١٩٣٨ م .  
فكان كما قال أبو تمام : أصم بك الناعى وان كان أسمعا .  
وقد احتفلت جماعة الأخوة الاسلامية بتأيينه - وكنت يومئذ رئيس  
الجماعة - فكان لها حفلتان بقبة الغورى وجمعية الشبان المسلمين .  
وتكلمت فى الحفلين وأنشدت من منظومة اللغات التى نظمتها وأهديتها  
الى اقبال . وأنشدت قصيدة ترجمتها من ديوانه «بانگك درا» . وكان مما  
قلت فى أحد خطابى فى تأيين الشاعر العظيم :

« فى اليوم الحادى والعشرين من شهر نيسان ( ابريل ) سنة ١٩٣٨ ،  
والساعة خمس من الصباح ، فى مدينة لاهور ، مات رجل كان على هذه  
الأرض عالما روحيا يحاول أن ينشئ الناس نشأة أخرى ، ويسن لهم فى  
الحياة سنة جديدة .

وسكن فكر جوال جمع ماشاءت له سعته من معارف الشرق والغرب .  
تم تقدها غير مستأسر لما يؤثر من مذاهب الفلاسفة ، ولا مستكين لما  
يروى من أقوال العظماء .

ووقف قلب كبير كان يحاول أن يصوغ الأمة الاسلامية من كل ما وعى  
التاريخ من مآثر الأبطال وأعمال العظماء .

وقررت نفس " حرّة لا يحدّها زمان ولا مكان ، ولا يأسرها ماض

— ٨ —



ولا حاضر • فهي طليقة بين الازل والأبد ، خفاقة في ملكوت الله الذي لا يُحدّ •

مات محمد اقبال الفيلسوف الشاعر الذي وهب عقله وقلبه للمسلمين وللشعر أجمعين ، الرجل الذي يُخيلُ اليّ وأنا في نشوة شعره أنه أعظم من أن يموت وأكبر من أن يناله حتى هذا الفناء الجثمانى •

فاضت روح الرجل الكبير المحبوب في داره بلاهور ورأسه في حجر خادمه القديم على بخش ، وهو يقول : انى لا أرهب الموت ، أنا مسلم ، أستقبل المنية راضيا سرورا •

قرأت كلام اقبال في الحياة والموت ، ورأيت استهاتته بالحمام واستهزاءه بالذين يرهبونه • ما كان هذا خدعة الخيال ولا زخرف الشعر • فقد صدق اقبال "دعوتك في نفسه حين لقي الموت باسم راضيا •

جدّ المرض بأقبال وكان يقترب الى الموت وهو متقد الفكر قوى القلب ، يصوغ عقله كلمات يوقظ بها النفوس النائمة ، وينثر قلبه شررا يشعل به القلوب الخاملة • وكان في شغل بنظم ديوانه الأخير « أرمغان حجاز » ( هدية الحجاز ) وكان قلب الشاعر يهفو الى الحجاز • وكم تمنى أن يموت فيه • وقد ضمّن هذه الأمنية دعاءه في خاتمة كتابه رموز بى خودى •

ومما قال في أشهره الأخيرة :

آية المؤمن أن يلقي الردى      باسم الشعر سرورا ورضى  
وقد أنشد هذين البيتين - وهما مما أنشأ أخيرا - قبل الموت بعشر دقائق :

سرود رفتہ باز آید کہ ناید      نسیمی از حجاز آید کہ ناید  
سرآمد روزگار این فقیری      دگر دانای راز آید کہ ناید

وترجمتها

نغمات "مضین لی هل تعود      أنسیم من الحجاز يعود ؟  
آذنت عیشتی بوشک رحیل      ألعلم الأسرار قلب "جديد؟"



وقد زرت من بعدُ قبره وداره • ولقيت ولده جاويد وخادمه على بخش  
وسيقراً القارئ هذا في الفصول الآتية •

— ٦ —

ولما سافرت الى مدينة دهلى عام ١٩٤٧ م ، عزمت على السفر الى  
لاهور ، على بعد الشقة وظهور الفتن والقلق فى أرجاء الهند • وما كان  
مثلى ، وقد قدم الهند ، ليصبر عن زيارة ضريح اقبال وداره • فأعددت  
للسفر الى لاهور ، ونظمت أربعة أبيات ، وسألت نقاشاً فى دهلى القديمة  
أن ينقشها على لوح من الرخام ، وحملتها معى وسلّمتها الى القوّم على  
ضريح اقبال لتوضع هناك • والأبيات :

|                          |                             |
|--------------------------|-----------------------------|
| عربى يهدى لروضك زهرا     | ذا فخر بروضه واعتزاز        |
| كلمات تضمنت كل معنى      | من ديار الاسلام فى ايجاز    |
| بلسان القرآن خطّت فيها . | نقحات التنزيل والأعجاز      |
| فأقبلتها ، على ضالة قدرى | ففى فى الحق «أرمغان الحجاز» |

« وأرمغان الحجاز » فى البيت الأخير معناها هدية الحجاز • وهو اسم  
آخر منظومة نظمها اقبال • وقد نشرت بعد وفاته

وكان من عجائب الاتفاق أن بلغت لاهور قبل ذكرى وفاة اقبال بيومين •  
ولم أكن أعرف موعد هذه الذكرى • وكانت حفلة لى ولوفد من ايران  
رئيسه الصديق على أصغر حكمت ، عند ضريح اقبال • وكانت حجرة  
الضريح لم تكمل بناء •

وقد ألقى كلمة فى هذا الاحتفال جاء فيها :

اقبال !

يا شاعر الاسلام ! أنرت مقاصده ، وجلوت فضائله وأضأت سراجها ،

— ١٠ —

وأوضحت منهاجه ، ودعوت المسلمين الى المجد الذى يكافئ دعوتهم ،  
ويلائم سنتهم ، ويناسب تاريخهم •  
اقبال !

يا شاعر الشرق ! أشدت بآثره ، وفخرت بروحانيته ، وأخذت على  
الغرب المادية الصماء ، والغرور والكبرياء ، وتقدت قادته ، وزيتت سادته ،  
دحضت باطلهم وأبطلت سحرهم ، ووقفتهم للحساب العدل ، وأبنت مالهم  
وما عليهم وما أحسبوا وما أساءوا •  
اقبال !

يا شاعر الحياة ! عرفت معناها وكشفت عن قواها ، وبصرت بمجراها  
ومنتهاها ، وأوضحت مثارها وصواها •  
اقبال !

يا شاعر النفس ! أثرت خفاياها ، وأظهرت خباياها ، وأبنت ما فى  
« خودى » من كهرباء ، فيها القوة والنار والضيء ، ودعوت الى اثاره  
معادنها ، واستخراج دفائنها • وقلت :  
برکش این نغمه كه سرمايه آب و گل تست  
أى زخود رفته تہى شو ز نوای دیگران !

اقبال !  
يا شاعر بيخودى ! أوضحت كيف يكون الاثار ، وكيف ينظم الفرد  
فى الجماعة •  
اقبال !

يا شاعر الحرية ! أشدت بذكرها ، وأكبرت من قدرها ، ودعوت اليها  
كاملة ، وأردتها شاملة ، وأبغضت العبودية فى شتى مظاهرها ، ومختلف  
صورها •

(١) انظر ترجمتها صفحة ٧



اقبال !

يا شاعر الجهاد والدأب ، والكدح والنصب . قلت ان الحياة جهاد  
مستمر ، وكفاح لا يستقر ، وان الحياة في الموج الهائل ، والموت في  
سكون الساحل .

اقبال !

يا شاعر التجديد والتقدم ! قلت ان الحياة مجددة تكره التكرار ،  
ومتقدمة تأبى التقهقر . ودعوت الانسان أن يمضى قدماً في الحياة  
مقدماً ، له كل حين فكرة ، وفي كل ساعة نعمة . وبينت أن الاقدام  
والابتكار ، هما فرق ما بين العبيد والأحرار .

اقبال !

يا شاعر الجمال !

صورته في الأرض والسماء ، واليبس والماء ، وفي الصحارى الجرداء ،  
والحدائق الغناء ، وفي الصبح والمساء ، والضياء والظلماء ، . وصورته  
في كل خلق كريم ، ومنهج قويم .

اقبال !

يا شاعر الجلال ! جلوته في الخالق والخلقة ، وفي الهمم العالية ، والعزائم  
الماضية ، والأمانى الكبيرة والمقاصد الجليلة .

اقبال !

أيها الشاعر المثلّم ! بانث لك الأسرار ، ورفعت عن الغيوب لك  
الأستار . فرأيت الباطن كالظاهر ، وأدركت المستقبل كالحاضر .

اقبال !

يا شاعر الاسلام ويا شاعر الشرق ويا شاعر الحياة ويا شاعر الانسانية  
ويا شاعر الحرية والجهاد والتقدم والاقدام ويا شاعر الجمال والجلال ! .  
لقد حيثك على بعد الديار وشطّ المزار ، وأشدتْ بذكرك وعرفت  
بقدرك وأهديتْ اليك اللمعات ، جواباً لمنظومتك « أسرار خودي



ورموزي خودي »

وأنا اليوم أحبيك على القرب • وسيان في عظمتك القريب والبعيد •  
ان هذا الضياء لا يقيس المسافات ، ولا تبعد عليه الغايات

ان هذا الفكر الذي يطوى الآفاق ، ويخترق السبع الطباق ، لا تختلف  
عنده الأرجاء ، فالداني والنائي لديه سواء •

كان من مثاي أن أزورك في حياتك ، ثم تمنيت أن أزور ضريحك بعد  
مما لك • وهأنذا أشرف بأن ألقى أمامك هذه الكلمات وأودع ضريحك  
هذه الزهرات :

عربي يهدي لروضك زهرا      ذا فخار بروضه واعتزاز

( الأبيات المثبتة صفحة ١٠ )

لقد ضمنت لك آثارك الخلود في هذه الدنيا ، وعند الله جزاؤك في  
الأخرى ، جزاء المجاهدين المخلصين  
« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا • وان الله لمع المحسنين »

\* \* \*

ثم ذهبت أنا والصديق على أصغر حكمت الى دار اقبال التي سكنها  
آخر عمره ومات فيها ، وهي دار صغيرة المبني كبيرة المعنى ، تأخذها العين  
في نظرة ، ويسافر فيها الفكر الى غير نهاية •

وقابلنا هناك جاويد ، وهو ابن الشاعر • ذكره في كثير من شعره ،  
وأعرب عن أمله فيه ، ورجائه في مخايله ، وسمي باسمه المنظومة الرائعة  
« جاويد نامه » • وجاويد معناه الخالد •

ورأينا حجرة كان الشاعر الخالد يكتب فيها شعره ومقالاته ، وفيها  
فاضت روحه • وهي حجرة يستطيع شاعر بليغ أن يفصلها أبياتا  
خالدات ، وقصائد سائرات •

لبثنا حيناً في الدار ذات الذكر والعبر نحدث جاويد . وأهدى الينا  
صورة والده . وانها لذكرى عظيمة : صورة اقبال يهديها ابن اقبال في  
دار اقبال .

— ٧ —

وكان علمي بأقبال يزداد على مر الزمان ، فيزداد شفقي به ، واكباري  
ايام ، وايماني بمذهبه في هذه الحياة . فترجمت من شعره . وهممت بأن  
أترجم ديوانا من دواوينه . فلم يتسع وقتي ، ولا تسنى مطلبى .  
ولما بعثت الى باكستان سفيرا لمصر هاج نفسي القرب ، ولقيت بين  
الحين والحين من يحدث عن اقبال ومن رآه . فزحزحت الشواغل عن  
ساعات من الوقت شغلت فيها بأقبال . فترجمت ديوانين من دواوينه .  
ترجمت رسالة المشرق وطبعتها في كراچي حين الذكرى الثالثة عشرة لوفاة  
الشاعر . ثم ترجمت ضرب الكليم ونشرته في القاهرة حين الذكرى الرابعة  
عشرة . وأترجم اليوم والله المستعان ديوانين : أسرار خودي ورموز بي  
خودي . وقد قاربت الفراغ منهما والحمد لله . وكم شاركت في الاحتفال  
بأقبال فقلت وسمعت . وكم جالست أجراء اقبال ومنهم من عاشره ووعى عنه  
عن كسب ، وعرف معيشته في داره ، ومجالسه بين أصحابه وسمائره .  
ولا تزال مجالس أصدقاء اقبال تجتمع عندي كل أسبوع مرة أو مرتين  
فنقرأ شعره ونروى أخباره ، ونستمع الى حديث العارفين بفلسفته ،  
المتوفرين على استكناه حقائقها واستجلاء أسرارها .  
وكثيرا ما سمعت من هؤلاء الاصدقاء الذين سميتهم دراويش اقبال ،  
أن هذه المجالس أحب شيء اليهم في هذه الدنيا . وأنها عندي لكذلك .  
هذه كلمة أردت أن أعرف بها القراء اقبالا كما عرفته ليقبلوا على  
قراءة تاريخه وفلسفته وشعره في الفصول الآتية .



## الباب الأول

### سيرة اقبال

#### الفصل الأول

##### أسرته

يرجع نسب أسرة محمد اقبال الى براهمة كشمير . أسلم أحد أجداده قبل ثلاثة قرون في عهد الدولة المغولية ، كبرى الدول الاسلامية التي قامت في الهند . أسلم هذا الجد على يد الشيخ شاه همدانى أحد أئمة المسلمين في ذلك العصر .

وهاجر محمد رفيق جد محمد اقبال من قرية لوهر في كشمير الى مدينة سيالكوت من ولاية بنجاب . وكثير من أهل كشمير يهاجرون الى سيالكوت طلبا للرزق . اذ كانت أقرب المدن الى بلادهم ، ومنها ينتشرون في أرجاء الهند . فكثير من أهل سيالكوت يرجعون الى أصول كشميرية .

حل محمد رفيق في سيالكوت ومعه أخوة ثلاثة أحدهم الشيخ محمد رمضان وكان صوفياً ألف كتباً كثيرة باللغة الفارسية .

وسعى محمد رفيق في طلب الرزق يعينه ابنه محمد نور أبو محمد اقبال

وقد ذكر اقبال في مواضع من شعره انه من سلالة البراهمة ، لا يفخر بهذا الأصل بل يفخر بأن رجلاً من سلالة البراهمة أدرك من حقائق الاسلام وأسراره ما أدرك .



يقول في ضرب كلیم يخاطب « سيِّداً مصاباً بالفلسفة » :  
وانتى فى الأصل سؤماتى الى مناة نسبى واللات  
وانت من اولاد هاشمى وطينتى من نسل برهمى  
ويقول فى آيات اخرى عنوانها : الى امراء العرب :

هل يسعد الكافر الهندي منطقه  
مخاطباً امراء العرب فى ادب

ويقول فى پيام مشرق :  
انظر الى " فما ترى فى الهند غيرى رجلا من سلالة البراهمة عارفا بأسرار  
الروم وتبريز " ١  
وفى شعر آخر :

قد قامر الامراء بالدين والقلب فى حنبة السياسة . فما ترى غير ابن  
البرهمن محرماً للأسرار ٢

ويقول فى بال جبريل فى قصيدة مسجد قرطبة :  
أنا كافر هندي فانظر الى شوقى وذوقى ، ملء قلبى الصلاة والسلام  
وعلى شفتى الصلاة والسلام ٣

ويقول فى هجرة أسرته من كشمير :  
لقد هجر الدرء أرض اليمن ونافجة المسك أرض الختن  
وبلبل كشمير فى الهند ثاو بعيداً من الروض خار الوطن ٤

(١) مرا بنكر كه درهندوستان ديكر نمى بينى - برهمن زادة اشنا رمز روم وتبريزست  
ويشير بالروم الى جلال الدين الرومى الصوفى الشاعر المعروف ، ويقصد بتبريز  
شمس الدين التبريزى الصوفى مرشد جلال الدين .

(٢) ميرومزا در سياست دل ودين باخته اند

جز برهمن پسرى محرم اسرار كجاست ؟

(٣) كافر هندي هون . مين ديكه . مرا ذوق وشوق

دل مين صلوة عددود ، لب به صلوة ودرود

(٤) موتى عدن سق لعل هى يمن سى دور يا ناقه غزال هوا هى ختن سى دور

هندوستان مين ائى هين كشمير جهوركر بلبل نى اشپانه بنايا جمن سى دور

## والدا القيسل

كان والده شيخاً من مشايخ القيسل، أما أمه فكانت من مشايخ طابلا كاهناني  
كسب ورفاهة، ومن قبل كسبته وديارها، وكان له من الأبناء والبنات  
ولم يزل عنه أنه قال لا تسأل عن ربه، وأكثر قراءة القرآن، إن أردت أن



المفخور له الدكتور عبد الوهاب عزام

القرآن الكريم، إن شئت  
تصاحبه أيام مولده، ذلك كيم في عصر العنقش، فكان يورثه من شيخ  
ربيع، وأخذ من ربه نصيباً من الربيع واللون، لا بد لك أن تعلم من  
ملكته بحسب، و...

خبری که در این کتاب درج شده است  
و این که اولاد ستمگانی  
و این که اولاد ستمگانی  
و این که اولاد ستمگانی

چهارم

پنجم

ششم

هفتم

هشتم

نهم

دهم



## والدا اقبال

كان والداه صالحين تقيين • فأما أبوه فكان متصوفا عاملا كادحا في كسب رزقه يعمل لدينه وديناه •

ويؤثر عنه أنه قال لاقبال ، حين رآه يكثر قراءة القرآن : ان أردت أن تفقه القرآن فاقرأه كأنه أنزل عليك .

وهذه قصة نظمها اقبال في كتاب رموز بيخودى :

« سائل كالقضاء المبرم • طرق بابنا طرقا متواليا • فثرت غضبا وضربته بمصا على رأسه ، فتبعثر ما جمعه بسؤاله • والعقل أيام الشباب لا يفرق بين ضلال وصواب - ورآنى والدى فاغتم واربد وجهه وتأوه • وسال الدمع من عينيه • واضطربت روحى العافلة وطار لئى • قال أبى :

تجتمع غدا أمة خير البشر ، تجتمع أمام مولاها ، ويحشر غزاة الملة البيضاء وحكماؤها والشهداء ، وهم حجة الدين وأنجم هذه الأمة، والزهاد والوالهون والعلماء والعصاة •

ويأتى هذا السائل المسكين صائحا في هذا المحشر شاكيا •  
فماذا أقول اذا قال لى النبى :

ان الله أودعك شاباً مسلماً فلم تؤدبه بأدبى ، بل لم تستطع أن تجعله انسانا •

فتمثل عتاب النبى الكريم ومقامى فى خجلى بين الخوف والرجاء •  
تفكر قليلا يا بنى • اذكر اجتماع أمة خير البشر •

انظر يا بنى الى شيبى ، واضطرابى وقلقى • ولا تقس على أهلك ولا تفضحه أمام مولا • انك كيم فى غصن المصطفى • فكن وردة من نسيم ربيع • خذ من ربيع نصيبا من الريح واللون • لا بد لك أن تظفر من خلقه بنصيب • «

وأم اقبال كانت تقيّة ورعة حتى كانت تتحرج أن تأكل من وظيفة زوجها إذ كان يعمل مع رئيس عُرْف بأكل الرشوة . ولم تكن وظيفة زوجها من مال هذا الرئيس ، ولكن كذلك كان ورعها .

ولاقبال في أمه قصيدة طويلة من ديوانه (بانكك درا) يقول فيها :

« ساميتُ النجم بترينتك ، وكان فخر الأباء والأجداد بيتك

كانت حياتك صفحة مذهّبة في كتاب الكون ، كانت قدوة في الدين

والدنيا » . ١

عَمَّر محمد نور والد اقبال زهاء مائة سنة ، وكفّ بصره في سن الثمانين . وتوفى ١٧ آب سنة ١٩٣٠ . وتوفيت والدته اقبال في ١٤ تشرين الثاني سنة ١٩١٤ وسنها ثمان وسبعون سنة ٢ .

## مولد اقبال

في هذا البيت الطاهر ولد وليد سمته أمه محمد اقبال . ويروي أن والده رأى قبل مولده حمامة بيضاء ناصعة تطير فتقع في حجره وتسكن إليه ، وعُبرّت الرؤيا أنه سيُرزق ابناً عظيماً الجِدِّ والاقبال يعلو على الناس .

ولد محمد اقبال في الرابع والعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٨٩ هـ ( ٢٢ شباط سنة ١٨٧٣ م ) . ولم يأبّه أحد بمولد هذا الطفل الا كما تآبه أسرة فقيرة بمولد ابن فيها :

(١) تربيت من تيري مين انجم كاهم قسمت هـوا

كهر تيري اجدادكا سرمايه عزت هـوا

دفتر هستي مين تهي زرین ورق تيري حيات

تھی سراپا دین و دنیا کاسبق تیری حیات

١٢ کتب الی بتاریخ وفاة الوالدين وسنهما حفيدهما اعجاز احمد



ولكن الله تعالى كان يعلم يوم مولد اقبال أن قد وُلِدَ في هذا البيت الصغير من مدينة سيالكوت رجل يعلو فكره وقلبه على حدود الأوطان والأزمان ، أن قد ولد فيلسوف نابغ وشاعر مُبدع من الذين يَهَبهم الله البشر في العصر بعد العصر ليخلقوا ويُجدِّدوا ويَهْدُوا على هذه الأرض .

أن لهذا الطفل الوليد لأثرا باقيا في تاريخ أمته وتاريخ المسلمين وتاريخ البشر أجمعين .

## الفصل الثاني

### في سيالكوت

#### من الميلاد الى سن اثنتين وعشرين

بدأ اقبال التعليم في طفولته على أبيه ، ثم أدخل مكتباً ليتعلم القرآن . ولا ندري كم حفظ اقبال من كتاب الله في طفولته . ولا ريب أنه حفظ كثيرا منه في هذه السن وبعدها ، إذ كان في كِبَره يُعَلِّم القرآن . وكثرة اقتباسه من القرآن في شعره تدل على أن القرآن كان على قلبه ولسانه . ثم أدخل الصبي مدرسة البعثة الاسكوتية<sup>١</sup> في سيالكوت . ويقال ان أباه أدخله هذه المدرسة ليكون في رعاية صديقه مير حسن . وكان أستاذا أديبا متضلعا في الأدب الفارسي عارفا بالعربية .

وقد امتاز اقبال بذكائه وجده ففاق أترابه ونال جوائز كثيرة . ومن نوادره أنه وهو في سن العاشرة ، جاء الى المدرسة متأخرا فسئل عن تأخره فقال : الاقبال يأتي متأخرا .<sup>٢</sup>

وحينما كان في السنة الرابعة - في نظام التعليم في هذه المدرسة . وليست بعيدة من الرابعة في التعليم الابتدائي عندنا - أخذه والده الى

(1) Soottish Mission School

(2) اقبال تودير هي مين ٧٢ هي



صديقه مير حسن وقال أريد أن تعلّمه الدين بدل ما يتعلمه في المدرسة .  
فأجاب الأستاذ مبتسما : هذا الصبي ليس لتعليم المساجد . وسيبقى في  
المدرسة .

ولبت اقبال منذ ذلك الحين الى أن أتم الدراسة في كلية البعثة  
الاسكوتية في رعاية مير حسن وتأديبه .  
ورأى الأستاذ من ذكائه ومخايله ، بل من قوله وفعله ، مازاده اعجابا به  
وتأميلا فيه . فعنى بتلقيه الدين والعربية والفارسية .  
ولما رآه ينظم الشعر وعرف موهبته فيه ، أرشده وحرصه ، وحسن  
له أن ينظم باللغة الأردية مكان البنجابية .

### مير حسن

يقترن ذكر مير حسن بسيرة اقبال ويثاد بأثر هذا الأستاذ في تأديب  
تلميذه . فيحسن أن نعرف به بعض التعريف :<sup>١</sup>

هو من المنتسبين الى آل البيت . وكان أستاذ اللغة العربية في كلية  
سيالكوت ، وكان متضلعا في الأدب الفارسي . وكان عكما من أعلام البلد ،  
يعرفه الصغير والكبير ، مهيبا مجتلا . وكان ضعيف البصر يمضى الهويني  
متوكئا على عصا طويلة . ويسير من داره الى الكلية مسافة ميلين في ساعة  
وكان لا يتأخر عن مواعده دقيقة .

وقد اقترح عليه عميد الكلية أن يركب عربة على أن تؤدّي له الكلية  
أجرتها . فقال له أريد أن أفقد في العربات ما بقى لى من قوة ؟ . وكان  
مضرب المثل في ضبط الوقت والتزام المواعيت . واتفق أن تأخر مرة عن  
اجتماع في الكلية دقيقتين . فكان هذا حديثا عجيبا بين زملائه . ومن لطائفه  
أن عميد الكلية قال له حينما جاء متأخرا :

١ - من فصل من ملفوظات اقبال كتبه الاستاذ عبد الواحد وكان من  
تلاميذ الكلية التي كان فيها الاستاذ مير حسن . دخلها سنة ١٩١٧

لقد لبثنا دقيقتين ننتظرك • فأجاب فوراً : لا بأس لقد انتظرتك سنين  
حتى جئت الى هذا العالم - وكان العميد أصغر منه سنًا

وقد بلغ من هيئته أن الأساتذة والطلبة كانوا اذا رأوه قادما خكثوا له  
الطريق أو افسحوا له • وكان الطلبة الذين يقرءون عليه العربية يجدون منه  
شدة وتقرباً أول الأمر • فاذا جازوا المرحلة الأولى أفادوا كثيراً من غزارة  
علمه •

ولم يكن الشيخ ، على هذا ، غليظاً جافاً بل كان ظريفاً فكها في مواضع  
الظرف والتفكه •

وقد وفي اقبال لاستاذة فأشاد بذكره في شعره • ولما عرض على اقبال  
لقب « سير » كما ترى فيما يأتي ، اشترط لقبوله أن يمنح أستاذة لقب  
شمس العلماء فأجيب الى ما اشترط •

### نظم الشعر

وكان اقبال في هذه المرحلة من عمره ينظم الشعر ، ويزداد على مرّ  
الايام احساناً فيه • وكان يرسل بين الحين والحين شعره الى الشاعر داغ أحد  
شعراء الاردية النابيين • ونظر الشاعر الكبير في قصائد الشاعر الشادي  
ثم كتب اليه أن لا ترسل الي شعرك فما يحتاج الى تنقيح •

وعاش داغ حتى ذاع صيت اقبال وبلغ في الشعر ما بلغ • فكان يفخر  
بانه تقح شعر اقبال في صباحه •

وفرغ اقبال من الدرس في الكلية الاسكوتية سنة ١٨٩٥ ، وسنته  
زهة اثنتين وعشرين سنة •



## الفصل الثالث

### في لاهور الى سنة ١٩٠٥

انتقل الشاب الذكي الطلعة الشاعر الذي فاق أترابه في المدارس ،  
انتقل الى لاهور حاضرة ولاية بنجاب واجدى مدن الهند الكبرى .  
وهي أول مدينة في الهند اتخذتها دولة أسلامية دار ملك .  
صارت عاصمة الدولة الغزنوية حينما غلبت على افغانستان فلم يبق لها  
الا ما فتحته من أرض الهند . وبقيت هذه المدينة الكبيرة في مقدمة مدن  
الهند حضارة وعلمًا وفتًا .

وكانت حين قصد إليها اقبال قبل نصف قرن ، مباءة علم وأدب ، تعمل  
مجامعها في نشر الأدب الأردى واحلاله محل الادب الفارسى . وتألفت فيها  
مجامع أدبية تدعو بين الحين والحين الى محافل ينشد فيها الشعراء عيون  
أشعارها . ويسمى هذا مشاعرة ، والمشاعرة سُنَّة شائعة في باكستان والهند  
حتى اليوم .

\* \* \*

دخل اقبال كلية الحكومة في هذه المدينة ليتم تعلمه وجدء في الدرس  
كدأبه . وكان موضع الإعجاب في دكائه وعلمه وأدبه .  
ومما يؤثر عنه في ذلك الحين ، وهي أثارة ذات دلالة بليغة ، أنه أخذ على  
أحد علماء الدين كذبا فبلغ من نفسه هذا المنكر . فلبث أياما مكتئبا حتى  
سأله أستاذه توماس آرنلد فقص عليه القصة . فقال الأستاذ: سترى كثيرامن  
هذا في حياتك .

استمر اقبال في دراسته حتى نال الدرجة التي تسمى في نظام التعليم  
الانجليزى B.A. . وجلئى في امتحان العربية والانجليزية ، ونال جوائز  
التفوق وذلكم سنة ١٨٩٧ م



ثم تابع الدراسة الى درجة M.A. (أستاذ في الفن -) في الفلسفة حتى أتم دراسته مجتهدًا نائلًا جائزة أخرى من الكلية .  
وتلمذ اقبال في هذه الكلية لاستاذ الفلسفة الاسلامية السير توماس آرنلد .

### توماس آرنلد

ويجب على أن أسجل ذِكْرًا عن هذا الأستاذ الجليل وفاءً بحقه على اقبال وعلى المسلمين كافة :  
كان أستاذ العربية في جامعة لندن ثم أستاذ الفلسفة في جامعة عليكره فكلية الحكومة في لاهور .  
وكان واسع العلم ثبتًا متواضعًا منصفًا نصيرًا للمسلمين محبًا للحضارة الاسلامية .

وقد ألف كتابه «دعوة الاسلام»<sup>1</sup> ليبين أن الاسلام انتشر بالدعوة لا بالقوة ، ففصل تاريخ انتشار الاسلام ولا سيما في الجهات التي لم يكن للمسلمين فيها سلطان . وقد أخبرني أنه تعلم اللغة الهولندية ليقرأ السجلات التي تبين انتشار الاسلام في جزيرة جاوه وما يتصل بها . وكتابه هذا وحيد في بابه لم يؤلف مثله مسلم ولا غير مسلم .  
ولما ألغى مصطفى كمال الخلافة كتب كتابه « الخلافة » وهو شاهد بسعة علمه ونفاذ فكره .

وقد عرفته في لندن في مدرسة اللغات الشرقية فأنست به وأجبتة وجرأني على صحبته لين جانبه ودماثة خلقه .  
وكنت أسأله عمًا يُشكل على وأنا أكتب رسالتي في ( التصوف وفريد الدين العطار ) .

وقد عرفت فيه التواضع والتثبت فكان يُحب أن يقول لا أدري ان لم يكن على بينة مما يسأل عنه . وكان كثيرًا ما يسألني حين أحدثه في أمر : أأنت على يقين من هذا ؟

Preaching of Islam. (1)

وكان يجب العادات الاسلامية ويميل الى أزيائنا وسُنننا . أذكر اني  
تعشيت معه في داره فبدأ الطعام قائلاً باسم الله ، وودعني حين الانصراف  
قائلاً : في أمان الله .

وجاء الى مصر بدعوة من جامعة القاهرة وآثر النزول في حلوان ، وهي  
دار اقامتي ، ثم انتقل الى المعادى . وكنت أقابله بين الحين والحين وكان  
يزورني في ليالي رمضان التماساً لسماع القرآن .

وذهبت اليه مرة في الفندق الذي نزل به في حلوان فأخرج من حقيته  
عمامة وطربوشا . وقال أرني كيف تكوّر العمامة . ثم قال : أرني أوثر  
العمامة والجبّة وأشعر حين ألبسهما أني في زيّ أستاذ كما أشعر أني صبي  
حين ألبس هذه الملابس ، وأشار الى الملابس الافرنجية التي كان يلبسها .

وأذكر أنّنا اجتمعنا على مائدة في دارنا ومعنا الكبتن كنج الانجليزى .  
وكان هذا مَعْنِيًا بالبلاد العربية . وقد سعى في تأييد الأمير عبد الكريم  
حينما حارب الاسبان في الريف - فقال لى كنج : قرأت التاريخ فأبنتني  
أى- الفريقين كان أكثر سماحة وسجاجة المسلمون أم النصارى ؟ قلت :  
يجيب هذا السؤال أستاذنا توماس آرنولد . فقال الأستاذ فوراً : لا ريب  
أن المسلمين كانوا أكثر تسامحاً من النصارى .

وقال لى يوما وقد ذكرنا اقبالا : انه تلميذى . قلت هو اذا شاب . قال  
أتحسبه شاباً بأنه كان تلميذى . أنت لا تدري كم سنّى .

هذه ذِكْرٌ لا تعرّف بالسير توماس آرنولد ، ولكنى أذكرها  
اعتزازاً بها ، وحباً لذكر هذا الأستاذ الكريم أستاذ اقبال ، ولعل أحد  
الكاتبين عنه يجد فيها فائدة .

هذا الأستاذ عرف اقبالا وقدر مواهبه فقرّبه وحرّضه على الاستزادة  
من العلم ، وتوكدت بينهما صداقة ، صداقة التلميذ المتطلع البار- والأستاذ  
العالم المخلص .

فلما فارق آرنولد لاهور راجعا الى وطنه نظم تلميذه الوفي قصيدة



عنوانها ( نواح الفراق ) أعرب فيها عن حبه أستاذه وأكباره آياه  
وتحسره لفراقه .

### بعد اتمام الدراسة

فرغ اقبال من تحصيل العلم في الكلية فاختر لتدريس التاريخ  
والفلسفة في الكلية الشرقية في لاهور<sup>١</sup> . ثم نُصِب لتدريس الفلسفة  
واللغة الانكليزية بكلية الحكومة التي تخرج فيها .

وقد نال أعجاب تلاميذه وزملائه بسعة علمه وحسن خلقه ، وسداد  
رأيه ، واتجهت الأبصار اليه ، وذاع ذكره حتى صار من أساتذة لاهور  
الناهين .

وفي ذلك الحين دخل في خدمته خادمه الوفي- علي بخش ، وأستاذن  
القارئ في التعريج على علي بخش ، خادم اقبال الأمين الذي صحبه  
طول حياته وصحب أولاده بعد مماته . وملازمة هذا الرجل اقبالا منذ  
دخل في خدمته حتى فرق بينهما الموت ، يدل على لين اقبال وبُسر معاملته .  
روى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : خدمت النبي صلى الله عليه  
وسلم عشر سنين فما قال لي في شيء فعلته لم فعلته ولا في شيء تركته  
لم تركته<sup>٢</sup>

وقد حدثني بعض من صحبوا أقبالا أو زاروه أنه كان يجلس في داره  
فيدخل عليه من يشاء فسأله عما يشاء وعلي بخش قريب منه يلبى دعوته  
ويقضى ما يأمره به . ر . ص على أن يَمُدَّ أرجلته بالنار كلما خَبَّت .  
وكان الشاعر مولعا بها لا يكاد يفتر عنها في مجلسه .

واقترن ذكر علي بخش بكثير من سيرة اقبال . وقد حرصت على أن

(١) Oriental College

(٢) هذا لفظ الحديث أو قريب منه .



أراه في دار أقبال حينما ذهبت الى لاهور فلقيته وأخذت صورتي معه في ربيع السنة الماضية . وراسلته بعد من كراچی .

### في محافل الادب في لاهور

لبث الشاعر النابغ في لاهور عشر سنين ، منذ قدم اليها من سيالكوت الى أن سافر الى أوروبا .

أتم دراسته في كلية الحكومة ثم درس في الكلية الاسلامية فالكلية التي تخرج فيها . فعرفت مدارس لاهور ومجامع الأدب فيها شابا وسيما قويا يتقد ذكاء وشوقا الى المعرفة ، ويتطلع الى التزود من العلم الى غير نهاية .

وقد دوّى صوت أقبال في محافل الأدب يثبّد قصائده . وحرصت الصحف على نشر شعره . وأيقن الشعراء والعلماء أن لهذا الشاب شأنًا ، ولكن لم يجزروا الشأو البعيد الذي يبلغه الشاعر . إذ كان شأوا لا يدركه الا أقبال وقليل من أمثاله في تاريخ البشر .

وأول قصائده الرنانة التي ألقى في جمع حاشد قصيدته التي أنشدها في الحفل السنوي لجماعة حماية الاسلام في لاهور ( أنجمن حماية اسلام ) سنة ١٨٩٩ وعنوانها أنين يتيم ( نالهء يتيمى ) وفي السنة التالية أنشد في حفل هذه الجماعة قصيدة يخاطب فيها يتيم هلال العيد .

ومن القصائد التي نبّهت الناس اليه قصيدة هيمالا التي أنشدها في أحد المحافل الأدبية . وقد سأله كثير من أصحاب الصحف أن ينشرها فأبى . ثم أذن بنشرها في صحيفة المخزن سنة ١٩٠١ ثم نشرت قصائده في صحف أخرى من بعد .

وكذلك أنشأ اقبال في ذلك الحين قصائد تعرّص فيها للسياسة .

وترجم اقبال في هذه المرحلة من عمره قصائد من اللغة الانكليزية . ونشر أول كتاب له . وهو كتاب في الاقتصاد باللغة الأردنية .

وفي هذه السنين كان يفكر في نظم ملحمة على غرار ملتن الشاعر  
الانكليزي .

كتب الى أحد أصدقائه سنة ١٩٠٣ :

أنا منذ زمن طويل أنزع الى أن أكتب على طريقة ملتن ( الفردوس  
المفقود وغيره ) وأحسب أن الوقت قد حان . فما تضى ساعة هذه الأيام  
دون تفكير في هذا الأمر . لبثت أفكر في هذا طول خمس سنين أو ست  
ولكن لم أشعر بالنزوع اليه كما أشعر اليوم .

### الفصل الرابع

#### سفره الى أوروبا

عزم اقبال على الرحيل الى أوروبا للتزود من العلم ، اتباعا لمشورة السير  
توماس أرنولد ، وسنّه يومئذ اثنتان وثلاثون سنة .

وخرج معه بعض أصدقائه لتوديعه حتى دهلى . وبلغ اقبال وصحبه  
مدينة دهلى صباح الثاني من شهر أيلول سنة ١٩٠٥ . فاستقبلهم في محطة  
دهلى جماعة فيهم السيد حسن نظامى الدهلوى من أحفاد نظام الدين  
أوليا . وبعد أن استراح قليلا في دار أحد مستقبليه توجه الى مزار  
الشيخ نظام الدين أوليا ، وهو من أعظم مزارات الهند مكانة وأكثرها  
قصدًا ١ وهو في أطراف مدينة دهلى .

وفي طريقه مرّ على مزار السلطان همايون ثانى ملوك الدولة المغولية .  
وهو أول مزار شيدّ لملوك هذه الدولية في الهند . فقد توفى أبوه بابر  
مؤسس الدولة في كابل ودفن فيها ٢ .

(١) انظر سيرة نظام الدين ووصف مزاره في كتابي « الرحلات الثانية »

(٢) انظر وصف المزار وصاحبه في الرحلات الثانية



ولما بلغ مزار نظام الدين أشد قصيدة باللغة الأردية انشادا شاجياً •

يقول في هذه القصيدة بعد مدح نظام الدين :

« أسير عن الوطن الجميل ، تجذبني لذة شراب المعرفة • انى شجرة  
برية ترمق سحب الجود ، لم يحوجني الله الى بستاني • ويقول :  
مئيتي أن أكون خادم خلق الله ما حيت ، لا أتمنى عمرا خالدا •

مئيتي أن أضع جيني على أقدام الوالدين ، لقد صيرني الوله محرم  
أسرار الحب » •

وفي هذه القصيدة تفحات من شعر أقبال ومن فلسفته ، الفلسفة والشعر  
الذين شاعا من بعد فملا الآفاق نورا ونارا •

وخرج من المزار الى دار السيد حسن نظامي فتلبث بها قليلا وسمع  
أنشاد قوال هناك ١ •

ثم رجع الى المدينة دهلي ومر في طريقه على قبر الشاعر الكبير الذي  
هو أعظم شعراء المسلمين في الهند قبل أقبال ، ميرزا أسد الله غالب المتوفى  
سنة ١٨٦٩ م •

وقد استأذن القوال في انشاد بيت لغالب • واستمع اقبال مأخوذا بالشعر  
والذكرى • فلما هم الحاضرون بالانصراف قبّل قبر الشاعر العظيم  
وانصرف • ومثل أقبال يقدر شعر غالب ويخشع لذكراه ويلثم قبره •

### اقبال في أوروبا

توجّه اقبال الى بمباى فركب سفينة قاصدا انكلترا • والتحق بجامعة  
كمبريدج لدرس الفلسفة ، وتلمذ للأستاذ الدكتور ميكثاكرت • وعكف  
على المطالعة في مكتبة الجامعة • ونال من هذه الجامعة درجة في فلسفة

(١) القوال مطرب له طريقة في الغناء خاصة • أكثر فنائه في ذكر الله ومدح الرسول



الأخلاق ، ثم سافر الى ألمانيا فتعلم الألمانية في زمن قليل والتحق بجامعة ميونخ . وكتب رسالته « تطور ما وراء الطبيعة في فارس »<sup>١</sup> وهى أول كتاب في الفلسفة عرّف الناس بمقدرة اقبال على النظر والبحث ، وسعة اطلاعه في الفلسفة . وقد أهدى الكتاب الى أستاذه توماس آرنلد . ونشره في لندن .

عاد اقبال الى لندن فدرس القانون وجاز امتحان المحاماة والتحق كذلك بمدرسة العلوم السياسية زمنًا .

وكان الأستاذ آرنلد حينئذ أستاذ العربية في جامعة لندن واضطر الى الانقطاع عن عمله ثلاثة أشهر فاختار اقبالا ليخلفه في عمله

ولم يأل محمد اقبال ، وهو في أوروبا ، في لقاء العلماء والتحدث اليهم ومداولة الرأي معهم في قضايا من العلم والفلسفة . وكان كدأبه طول عمره مؤلعا بالقراءة والاستزادة من المعرفة جهد الطاقة .

حدثنى الشيخ سيد طلحة ، وكان أستاذاً في جامعة بنجاب ، قال حدثنى خازن مكتبة الجامعة أنه لم ير أحداً كأقبال حرصاً على مطالعة الكتب والنظر فيها والاستزادة منها .

وكان اقبال في أوروبا ذلك الحين كثير التحدث عن الاسلام وثقافته وحضارته والقى محاضرات في الاسلام نشرتها الصحف الكبيرة . وقد دلت آراؤه وشعره من بعد ، أنه لم يُعجَب بحضارة أوروبا ، ولم يَخِل عليه تمويهها ولا أبرق عينه للأوْها . ومما أنشأ قبل عودته الى الهند قوله :

يا ساكنى ديار الغرب . ليست أرض الله حانوتا . أن الذى توهمتموه  
ذهبا خالصا سترونه زائفا . وأن حضارتكم ستبخع نفسها بخنجرها . أن

Development of Metaphysics in Persia (1)

العُش - الذى يُبنى على غصن دقيق لا يثبت<sup>١</sup>

وكان بعد أن علم ما علم ورأى ما رأى فى الهند وأوربا يتنازعه طريقتان فى الحياة - طريقة العمل وطريقة الفكر • وبداله حيناً أن يهجر الشعر ويغامر فيما يغامر الناس فيه ولكن صديقه السير عبدالقادر وأستاذه آرنلد حسناً له أن يدوم على نظم الشعر •

وما كان أعظمها خسارة للأدب الإسلامى وأدب العالم كله وللانسانية جميعها لو هجر اقبال الشعر فلم يخرج للناس دواوينه التسعة •

## الفصل الخامس

### اقبال فى وطنه

لبث اقبال فى أوربا زهاء ثلاث سنين • ثم رجع الى وطنه سنة ١٩٠٨ م ولما مرّ بدھلى استقبله أصدقاؤه وعارفوه كما ودعوه قبل ثلاث سنين • وذهب الى مزار نظام الدين أوليا كما ذهب اليه حين سفره الى أوربا •

وليت شعري أعنى اقبال بهذه الزيارة أن يبين أنه على العهد لم يغيره السفر الى أوربا ، ولم يرعه ما رأى فيها وما سمع ، ولم تفتنه فتنها ولا سحرته حضارتها • والحق أنه نظر واعتبر ، ومملك عقله وقلبه •

بلغ اقبال لاهور فى السابع والعشرين من حزيران سنة ١٩٠٨ واحتفل كثير من أهل لاهور بعودته بعد غيبة ثلاث سنين ، وتعددت المجامع

---

(١) ديار مغرب كى رھنى والوخداكى بستى دو كان نہین ہى  
كہرا جسى تم سمجھ رھى ہو وہ اب زركم عيار ہوگا  
تمھارى تھذيب أبى خنجرسى آپ ہى خود كشي كرىگى  
جو شاخ نازك پہ آشیانہ بى گا ناپا يدارھو گا



للترحيب بعود الرجل النابغ الذي افتقده أصحابه والمعجبون به زمنا طويلا . وأنشدت في هذه المجامع قصائد جاء في واحدة منها بيت معناه :

« طال حنيننا الى شعرك يا من طبَّق الآفاق صيته في الشعر »

وفي هذا دلالة على أن الناس كانوا ألفوا أن يقرءوا شعر اقبال في الفينة بعد الفينة ، فافتقدوه في هذه الفترة ، وعلى أن اقبالا كان له صيت في الشعر قبل سفره الى أوروبا .

### في الحمامة

نال اقبال اجازة الحمامة في لندن ، وهو اليوم في لاهور يمتحن الحمامة وكان لاقبال من ذكائه وعلمه وبيانه ما يؤهله لأن يبلغ في الحمامة أعلى الدرجات ، ولكن الرجل خلق لغيرها ، ورُشِّح لما هو أجل وأعلى . وانما أراد بها كسب الكفاف ليفرغ للرسالة التي حَمَلها في هذه الحياة ، الرسالة التي تنطق بها فلسفته وسيرته وشعره وثره .

وحدثت أنه كان يسأل وكيله كم عندك ؟ . فأن عرف أن عنده ما ينفق منه الى آخر الشهر لم يرغب في قبول قضايا حتى الشهر التالي وأنه كان لا يقبل وكالة في قضية حتى يعلم أن وكيله محق في القضية التي يوكله فيها . وأنه يستطيع أن يأخذ له حقه . وقد دام على الحمامة حتى سنة ١٩٣٤ م قبل وفاته بأربع سنوات اذ اضطره المرض الى تركها .

وسئل مرة ألم ينسه عمله الكثير يوما قضية من قضاياها . فقال : كنت في مكتبة المحكمة فجاءني أحد موكلِي يخبرني أن قضيتي أمام القاضي . قلت ان لقضيتك يوما آخر . ولكنه ألح علي أن أذهب معه الى قاعة القضاء . فقلت للقاضي أن لقضية الرجل موعدا آخر . فنظر القاضي في الأوراق فبين أن القضية قدّمت اليه خطأ قبل موعدها



وفي هذه القصة دلالة على أن الشاعر الفيلسوف السياسي لم يشغله  
الشعر والفلسفة والسياسة عن قضاياها ومواعيده .

### في التعليم

رجع اقبال الى التدريس في كلية الحكومة التي تخرج فيها ، والتي  
درس بها من قبل ، فعلم الفلسفة والأدب العربي والأدب الانكليزي .  
وكان راتبه منها خمسمائة روية .

ثم استقال من الكلية بعد أن عمل بها نحو سنة ونصف . واكتفى  
بالمحاماة .

وحدث خادمه الوفي ، على بخش ، قال :

سألته حين استقال من الكلية لماذا استقلت ؟ فأجاب : يا على بخش ان  
خدمة الانكليز عسيرة ، وأعسر ما فيها ، أنى لا أستطيع أن أحدث الناس  
بها في نفسى مادمت في خدمتهم . وأنا اليوم حر ، ماشئت قلت وماشئت  
فعلت .

استقالة اقبال من الكلية لم تقطع صلته بالجامعة . فكان يعمل في  
مجالسها ولجانها . وقد لبث سنين عميدا لكلية الدراسات الشرقية ورئيسا  
لقسم الدراسات الفلسفية .

ويظهر أن النظام الانكليزي في الجامعات يجيز أن يتولى أستاذ مثل  
هذه الأعمال دون أن يكون موظفا في الجامعة .

وكان ذا صلة دائمة بالكلية الاسلامية في لاهور . وكذلك كان كثير  
الاهتمام بالجامعة المليية في دهلي ، دائم الاتصال بها .

وفي مؤتمر المائدة المستديرة عمل في لجان نظرت في اصلاح التعليم في  
الهند .

وفي سنة ١٩٣٣ دعى هو والشيخ سليمان الندوي والسير راس مسعود

الى كابل للنظر في التعليم عامة ، وفي نظام جامعة كابل خاصة . وعملت  
حكومة الأفغان بأكثر ما أوصى به

وأعظم ما أمد به أقبال التعليم والتربية ، فلسفته في الذاتية . وقد  
طبقتها على التربية والتعليم والفنون في كثير من شعره .

وقد كتب في هذا أحد المعلمين النابهين الأستاذ سيدين كتابا اسمه  
فلسفة اقبال التعليمية<sup>١</sup>

### محاضرات في أرجاء الهند

كان العلامة اقبال<sup>٢</sup> دائم الاتصال بمعاهد العلم في لاهور وغيرها ،  
وكانت الجامعات تدعوه الى زيارتها والمحاضرة فيها .

دعى الى مدراس سنة ١٩٢٨ فألقى محاضرات هناك ، وبدأ محاضراته  
الست التي أكملها من بعد في اله آباد وعلينگره ، والتي جُمعت فسُميت  
« إصلاح الأفكار الدينية في الاسلام<sup>٣</sup> » . وهي أعظم ما كتب اقبال  
في الفلسفة .

ثم ذهب الى بنگلور في أمارة ميسور أوائل سنة ١٩٢٩ م . فلقى  
حفاوة بالغة ، ودعاه المهارجا الى مدينة ميسور فذهب اليها وحاضر في  
جامعتها ، واحتفل الناس به كثيرا . وقال أحد أساتذة الهنادك في احدى  
الحفلات :

يقول المسلمون ان الدكتور اقبالا لهم . والحق أنه لنا جميعا لا يختص  
جماعة أو دينا . فأن افتخر المسلمون بأنه أخوهم في الدين فنحن نفتخر  
بأن اقبالا هندي .

وفي هذه السقرة زار اقبال قبر السلطان حيدر على وقبر ابنه السلطان

(١) Iqbal's Educational Philosophy.

(٢) يغلب على السنة الخاصة والعامة ذكر اقبال مع لقب العلامة .

(٣) Reconstruction of Religious Thoughts in Islam.



تيو ، وأصغى في خشوع الى قصيدة أنشدها شاعر على قبر «تيو سلطان»  
واقبال من المعجبين بهذا الملك . وقد ذكره في كثير من شعره ، شأنه في  
الاعجاب بالأحرار الشجعان المجاهدين الذين يلقون الموت في سبيل الحق  
صابرين راضين محتسبين . والسلطان تيو - ويسمى في الهند تيو  
سلطان - جاهد الانكليز جهادا كبيرا ولم يتعده عن جهادهم الا الموت .

وقد اجتهد في أن يستعين على الانكليز بعض الدول الاسلامية كما  
حاول أن يحالف نابليون عليهم . وكان نابليون حينئذ في مصر . وقد جمع  
له الانكليز ما استطاعوا وحاصروه . فلما يئس من النصر أنف من ذل الأسر  
فألقي بنفسه من قلعة فمات سنة ١٢١٣ هـ .

ثم توجه اقبال لتقاء حيدر آباد فبلغها في الرابع عشر من كانون الثاني  
وازدحم الناس لاستقباله . واصطف الصبيان ينشدون نشيد اقبال القومي .  
ودعاه نظام حيدر آباد فنزل في ضيافته أياما

### في الجامعة الاسلامية

ودعا الدكتور الأنصاري رحمه الله سنة ١٩٣٢ م حسين رءوف بك الى  
القدوم الى الهند والقاء محاضرات في الجامعة الاسلامية . وحسين رءوف  
عُرف في العالم الاسلامي منذ حرب تركيا وايطاليا سنة ١٩١١ ، إذ كان  
رُبَّان المدرعة حميدية فغامر بها في البحر الأبيض وأغرق كثيرا من سفن  
الطليان .

وقد شارك في أحداث تركيا حربا وسلما حتى تولى رئاسة الوزارة  
أيام حرب الاستقلال .

جاء حسين رءوف الى دهلي فألقى محاضرات في الجامعة على جمع حاشد .



وقد رأس احدى الحفلات محمد اقبال فتكلم بعد حسين رءوف في اتحاد المسلمين ، وأبطل دعوة الوطنية بينهم وأبان عن مفاستها .

ثم رأس اجتماعا آخر . ورجا الناس أن يسمعوها منه مثل ما سمعوا في اليوم الأول ، ولكنه اكنفى بكلام قليل ختمه بهذه الفكاهة : ذهب الى ابليس جماعة من تلاميذه أيام الحرب العظمى ( الحرب العالمية الأولى ) فوجدوه خاليا ساكنا يدخن سيجارا . فسألوه كيف جلس خاليا فارغا من العمل . فأجاب : وكلت كل أعمالى الى الحكومة البريطانية هذه الأيام . وبعد أشهر عاد اقبال الى الجامعة الاسلامية في دهلى فألقى محاضرة موضوعها السفر من لندن الى قرطبة . وحدثنى الأستاذ أحمد پرويز أنه سمع هذه المحاضرة فرأى كيف اجتمع عقل اقبال وقلبه وعلمه وأدبه على الاعجاب بآثار العرب في الأندلس ، والاشادة بها . وحدث في هذه المحاضرة عن لقاءه الفيلسوف برجسون في باريس وتحدثه معه في الفلسفة وفي أمور من الاسلام كان يجهلها الفيلسوف .

وفي هذا الصدد أذكر ماروى عن اقبال أنه حدث برجسون في الزمان — ولهذا الفيلسوف نظرية فيه توافق فلسفة اقبال من بعض الوجوه — وأن برجسون وثب من كرسيه عَجَباً حينما ذكر أقبال الأثر المعروف : « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » . وهذا الأثر مضمّن في شعر اقبال في منظومته رموز بى خودى .

احتفل بأقبال في الجامعة الاسلامية وتكلم كثير في الأشادة بأدبه . وكان ممن تكلم هناك مولانا أسلم الجراجورى فقال :

قرأت الشعر بالعريية والفارسية والأردية . ولا حرج على أن أقول أن أقبالا أعظم شعراء المسلمين . أن كلامه ليفيض بالحقائق الاسلامية ولقد هدى ناشتتنا سواء السبيل . أن أقبالا حذق علوم الغرب ، ثم أبلغ المسلمين الرسالة التى بصرتهم بحقيقة الاسلام وعظمته ، وملأت قلوب الشباب الغافل النائم ، بحب الرسول والقرآن .

ومنعت جامعة عليگره وجامعة اله آباد اقبالا لقب دكتور قَدزرا لمكاته  
في الأدب واعترافا بفضله

### سفره الى أفغانستان

دعا نادر شاه ملك الافغان رحمه الله ، محمد أقبال الى أفغانستان . ودعاه  
السير راس مسعود والشيخ سليمان الندوي ، دعاهم ليشيروا على  
حكومته في أمور الدين والتعليم .

وبلغ أقبال وصاحبه كابل في آخر تشرين الأول سنة ١٩٣٣ فاحتفى بهم  
الملك والحكومة والكبراء والأدباء . ثم أشاروا على الحكومة بما رأوا فيه  
صلاح التعليم . فعملت بكثير مما أشاروا به .

وفي هذه السفرة ذهب الشاعر العظيم المولع بتاريخ الاسلام وسيير  
عظائمه الى غزنة وقتندهار ، وزار قبر مكسر الأصنام يمين الدولة وأمين  
الملة السلطان محمود الغزنوي ، وزار قبر الشاعر الصوفي الكبير مجد الدين  
سنائي . وله قصائد بليغة في هذين المشهدين وغيرهما مما رأى في  
أفغانستان .

وقد خلد هذه الرحلة بمنظومته « مسافر » ، كما سجلها الشيخ سيد  
سليمان الندوي في كتاب .

### في السياسة

فلسفة أقبال فلسفة أمل وعمل وجهاد وأقدام ، ودعوة عزة وكرامة  
وحرية . فهي مدد للأمم المجاهدة لحريتها وكرامتها ، تبعث فيها النور  
والنار .

وقد وجّه دعوته الى البشر عامة ، والمسلمين خاصة ، وأخذ من التاريخ  
الاسلامي أمثلة لفلسفته وصوراً لشعره .



كان شعره وما يزال ، أناشيد مسلمى الهند المجاهدين • ولا رب أن  
شعر اقبال أشعل في النفوس ثورة على سلطان الانكليز في الهند . وأمد  
المجاهدين بالأمل والعزم والاقدام •

وقد شارك اقبال ، الى هذا ، في سياسة بلاده بأقواله وأفعاله ، ورأس  
مجامع سياسية • وكان عمادا قويا لحزب الرابطة الاسلامية •

وحسب رجل أن يقول فيه القائد الأعظم محمد على جناح :

كان لى صديقا ، وأماما وفيلسوبا • وكان في أحلك الساعات التى مررت  
بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخرة • لم يُزكزل لحظة واحدة قط

\* \* \*

والح عليه أصدقاؤه سنة ١٩٢٦ أن يرشح نفسه في انتخاب الجمعية  
التشريعية في بنجاب فأيده الناس وأنتخب بغير عناء • ولا تزال خطبه في  
هذه الجمعية شاهدة بعمله فيها •

وقد عمل في حزب الرابطة الاسلامية ورأس الاجتماع السنوى في اله  
آباد سنة ١٩٣٠ • وكانت أحوال مسلمى الهند حينئذ تعظم الشقة والتبعة  
على من يتصدى لقيادتهم • وفي هذا الاجتماع ألقى خطبة مسهبة دعم فيها  
آراءه بحجج من الفلسفة والاجتماع والأخلاق • ونبه الناس الى أن  
اتحاد الهند عسير في هذه الأحوال ولا سبيل الى جمع الكلمة الا باعتراف  
كل جماعة في الهند بالجماعات الأخرى ، والتعاون بين الجماعات المختلفة •

قال : ان رينان الفيلسوف الفرنسى يقول : ان الانسان ليس أسيرا  
للجنس والدين ولا لمجارى الأنهار وسلاسل الجبال ، ولكن كل جماعة  
كبيرة من البشر ، صحيحة العقل حية القلب ، ينشأ فيها شعور يجمعها ،  
تسمى أمة •

يعنى أن الأمة لا تنشأ بالأقوام والأوطان ولكن بالشعور الذى يربط  
آحادها •



ثم قال اقبال : ان الفرق الاجتماعية والجماعات الدينية في الهند لا تقبل التفاضل عن أشخاصها من أجل الوحدة الهندية ، حتى ينشأ لها هذا الشعور الذي يُنشئ الأمة في رأى رينان . ان لهذا الشعور ثمننا يأبى أهل الهند أن يؤدوه .

فينبغي اذاً ألا نلتبس اتحاد الهند في محو الفوارق بين الجماعات بل نلتزم في الاعتراف باختلاف الجماعات والعمل للتعاون بينها .

ان السياسى ينبغي أن يعترف بالحقائق الماثلة ويستفيد منها جهد الطاقة . وأن وجدنا وسائل للتعاون الحق ، يحلّ السلام والصفاء في هذه الأرض العتيقة ، وتحلّ مشاكل آسيا السياسية كلها . أنا ليحزنا أن نرى أخفاقنا في مساعينا الى الاتفاق على ما يحقق السلام بيننا .

ويتصل بهذه الخطبة خطبته في المؤتمر الاسلامى حينما تولى رئاسة اجتماعه السنوى سنة ١٩٣٢ . قال فيها :

أنا لا أقبل الوطنية كما تعرفها أوروبا . وليس أنكارى أياها خوفاً من أن تضر بمصالح المسلمين في الهند ولكن أنكرها لأنى أرى فيها بذور المادية الملحدة . وهى عندى أعظم خطر على الانسانية فى عصرنا .

لا ريب أن الوطنية لها مكانها وأثرها فى حياة الانسان الأخلاقية ولكن العبرة فى الحقيقة بأيمان الانسان وثقافته وسننه التاريخية . هذه هى فى رأى الأشياء التى تستحق أن يعيش لها الانسان ويموت من أجلها لا بقعة الأرض التى اتصلت بها روح الانسان اتفاقاً . «

وفى هذا توكيد لما قال من قبل عن مقومات الأمم فى خطبته سنة ١٩٣٠ . وكتب اقبال الى محمد على جناح رئيس الرابطة الاسلامية الملقب القائد الأعظم سنة ١٩٣٧ فقال فيما قال :

« أن خير وسيلة الى السلام فى الهند فى هذه الأحوال أن تقسم البلاد على قواعد جنسية ودينية ولغوية » .

كان أقبال أول من دعا الى أن تقسم الهند فيكون للمسلمين بها موطن  
يخصّهم ، اذ رأى محالاً أن يعيش سكان الهند جماعة واحدة أو جماعتين  
متعاوتين •

وكانت هذه ، في رأى الناس ، دعوة عجيبة لقيها بعضهم بالتمعجب  
والسخرية ورآها بعضهم حثلم رجل مجنون •

\* \* \*

واشترك أقبال في مؤتمر الطاولة المستديرة سنة ١٩٣١ و١٩٣٢ في لندن  
وكان المؤتمر ينظر في دستور جديد للهند • وكان لأقواله وأعماله أثر يّين  
في أعمال المؤتمر • وقد مرّ في سفره بروما وأقام بالقاهرة أياماً •

وقد احتفلت بمقدمه جمعية الشبان المسلمين وشهدت الاحتفال •  
ودعاني أستاذى الشيخ عبد الوهاب النجار رحمه الله - وكان وكيل  
الجمعية - الى أن أعرف الحاضرين بالضيف العظيم • فتكلمت على قدر  
معرفةى بأقبال يومئذ • وأنشدت بعض ما تذكرت من شعره وأذكر أنى  
أنشدت أبياتاً من ديوانه رسالة المشرق •

وألقى هو محاضرة باللغة الانكليزية تكلم فيها عن تطور الفكر الاسلامى  
أو في موضوع قريب من هذا • ولا أزال أتمثله قائماً يتدفق في بيانه  
ويروع بعلمه وفكره • وقلت له بعد المحاضرة : ليس في وسعى أن أنشد  
شعرك أحسن مما أنشدت • فقال أنشدت انشاداً صحيحاً •

وأذكر أنى كنت في درس التاريخ الاسلامى في كلية اللغة العربية من  
الجامع الازهر • فدخل هو وجماعة معه وأنا أتكلم في أنساب العرب • ثم  
برح القاهرة • وكان هذا آخر عهدى به • توجه للقاء بيت المقدس فشهد  
المؤتمر الاسلامى ، وتكلم هناك • ولو سجلت كلمة اقبال في المسجد الأقصى  
لوجدنا فيها للمسلمين خيراً كثيراً •

وفي السنة التالية شهد مؤتمر الطاولة المستديرة الثالث وفي عودته مرّ



بأسبانيا ، ورأى آثار المسلمين فيها فأوحت اليها شعرا منه قصيدته الخالدة  
في جامع قرطبة . وقد استأذن حكومة أسبانيا في أن يصلى بالجامع . ولعلها  
أول صلاة فيه منذ غابت شمس الاسلام عن قرطبة .

والذى يرى صورة شاعرنا الفيلسوف المسلم الغيور مصليا في جامع  
قرطبة ، يقرأ قصيدة بليغة ويتخيل ما جال في فكر شاعر الاسلام في هذا  
المقام الهائل ، والمشهد الرائع .

لقد نظم أقبال نفسه هذه القصيدة . ونشرت في ديوان بالجيريل . وهى  
أحدى بدائعه . لا يفوق شاعر أقبالا فيما نظم في جامع قرطبة ، ولكن أرى  
في صلاته قصيدة تروع نفسى معانيها ويكاد قلبنى يخط ألفاظها . وعسى أن  
أخطها يوما . ماذا جال في نفس شاعر الاسلام وهو في محراب الجامع  
والجامع عطل من الصلاة والأذان وهو كما قال البحرى في ايوان كسرى :

فهو ييدى تجلدا وعليه كلكل من كلاكل الدهر مرسى  
بل كما قلت أنا فيه من شعر الصبى :

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| فهو قلب من الأمان خلى       | حائر في بلاه ليس بسال    |
| كاد يملى على عقائده الشك    | زوال التسبيح والاهلال    |
| فهو لولا الايمان هداه اليأس | فيخوى على الذرى والقيلال |
| كيف آى "أضاءها في جدار      | قلم مدد من مداد الجمال   |
| هل لها قارىء هناك عليهم     | بمعانى الهدى وسرّ الجلال |
| سور تسكن الغبار كماغا       | ض برمل نبع النмир الزلال |
| ومرايا الزمان تصدأ كالمرآة  | قد طال عهدا بالصقال      |

ليت شعرى استطاع اقبال أن يسمع من وراء الأجيال الأذان ، تردده  
مآذن جامع قرطبة ؟ أم أنصت الى القرآن يرتله الأئمة في المحراب ؟ أم  
انقلبت آيات القرآن التى لا تزال تنير في جدران المسجد ترتيلا في أذنه ،  
ووحيا في قلبه ؟ أى قصيدة هذه ؟ أى شاعر ينظم القصيدة التى عنوانها  
« أقبال في محراب قرطبة » .

ولما أعيد تنظيم الرابطة الإسلامية سنة ١٩٣٥ انتخب أقبال رئيساً لشعبة  
الرابطة في بنجاب . وذلكم قبل وفاته بثلاث سنين .  
ولم يعجز أقبالاً مرضه المزمن ، عن التفكير والعمل والكتابة ونظم  
الشعر . ورسائله التي كتبها في آخر حياته إلى القائد الأعظم وغيره  
شاهدة بوقدة قلبه ، وذكاء عقله ، ومضيئه في جهاده على العائلات وتمطّره  
في حليته حتى الممات .

### لقب « سير »

في سنة ١٩٢٢ قدم لاهور صحفي انكليزي ساح في الشرق وسمع  
صيت أقبال الأدبي في أوربا وبلاد الشرق . فأشار على حكومة بنجاب أن  
تمنح الشاعر الكبير لقب سير . فدعى أقبال إلى دار حاكم بنجاب الانكليزي  
لأول مرة . وقد حكى أحد أصدقائه<sup>١</sup> أنه لم يرغب في اجابة الدعوة  
وأنه ألح عليه وحمله في عربته إلى دار الحاكم . ثم اقترحت له ألقاب أقل  
من رتبة سير فأبأها . ثم عرض عليه لقب سير فرغب عنه ولكن أحد كبار  
أصدقائه<sup>٢</sup> أصر على قبوله . فقبل على شرط أن يمنح أستاذه ميرحسن ،  
لقب شمس العلماء . وهو الأستاذ الذي ثقفه في الأدب العربي والفارسي  
كما ذكرنا قبلاً . ولم يكن الأستاذ ذا صيت يسوغ منحه هذا اللقب ،  
ولكن أقبالاً أصر عليه فقبله الحاكم .

وقد أخذ بعض الناس أقبالاً بقبول هذا اللقب من الانكليز وأذاعوا  
عنه أقاويل . ونشرت بعض الصحف نظماً ونثراً فيهما هزواً بالشاعر  
الثائر داعية الحرية ، ولكن أصدقائه والمعجبين به احتفلوا بهذه المنحة  
احتفالاً كبيراً عند قبر جهانكير في ضواحي لاهور . وشارك الهنادك  
والسيك ، المسلمين في هذا الاحتفال .

(١) مرزا جلال الدين

(٢) النواب السير ذو الفقار علي خان



وما كان لقبول هذا اللقب أثر ما في نفس الشاعر الفيلسوف وعمله .  
وما زال طول حياته ينفث شعره في النفوس حياة وقوة وأباء وجهادا  
ودعوة الى الحرية وثورة على الجبروت ، وأيقاظا للمسلمين خاصة، وتبصيرا  
لهم بمكانهم في هذا العالم ومكائدهم في تاريخه . وما أعرف كشعر أقبال  
دعوة الى الثورة على الاستعباد والتمرد على الطغيان ، والى لقاء الشدائد  
في هذه الحياة بأكبر منها أملا وعزما وجهادا .

### مرضه

شرعت العلة تعترى الشاعر الفياض ، الذي يخيل الى قارئه أنه  
لا يفتر ولا يمل ولا يمرض ولا يموت .  
أصابته حصاة في الكلية فعالجه الحكيم البصير الدهلوى<sup>١</sup> فنجع  
علاجه .

وفي سنة ١٩٣٥ بَحَّ صوته ، وجهد كثير من الأطباء في شفائه ، فلم  
يجد جدهم حتى عالجه الحكيم البصير فحفت العلة قليلا .  
وفي السنة نفسها توفيت زوجته فبلغ موتها من نفسه ، وأحزنه كثيرا .  
وترادفت عِلل أصاب بعضها القلب ، واستمرت تنقص من قوته شيئا  
فشيئا ، تنقص من قوة جسمه ولا تنال من عقله وروحه . فلم يفتقر عن نظم  
الشعر ، ولم ينقطع عن التفكير والبيان حتى الأيام الأخيرة .  
واشتدت العلة في شهر نيسان ١٩٣٨ . وبلغت مبلغ الخطر في التاسع  
عشر من الشهر . وعنى الأطباء به كل عناية فما أغنى حرصهم على شفائه  
شيئا .

---

(١) حكيم نابينا وهو طبيب في الطب الاسلامي المسمى في الهند الطب  
اليوناني وكان ضربا وله في العلاج بصيرة فاق بها البصيرين .

وكان رحمه الله يحسّ "دنو" أجله ويذكره غير هائب ولا جازع . وكان يردد قبل موته بيضعة أيام أن المسلم يلقي الموت مسرورا . وقال لصديق ألماني قبل وفاته بيوم : أنى مسلم لأرهب الموت . اذا جاء الموت لقيته مبتسما .

وأُرسلت اليه جُزْأزة من صحيفة في جنوبي أفريقيا فيها أن المسلمين في اجتماع لهم في ناتال ، دعوا له ولجناح وكمال أتاتورك بطول الحياة . فقال : أنا ختمت عملي . وجناح يؤدي رسالته . فعلى المسلمين أن يدعوا له هو بطول العمر . وفي مساء العشرين من نيسان دخل عليه ابنه جاويد وسنه حينئذ ثلاث عشرة سنة . فقال له : هلمّ اليّ يا بنيّ ! اجلس ، فما أدري لعلّي ضيف لبضعة أيام . قال أحد الحاضرين : أنه صغير السن يتفرعه مرضك . فأجاب أريد أن يلقي كل حدّث لقاء الرجال . وقال لچود هري محمد حسين - وكان من المقرّبين اليه ووَصِيّ على أولاده بعد موته ولقيته سنة ١٩٤٧ في لاهور وذهبت معه الى دار اقبال وقبره . وفي دار اقبال لقيت جاويد فأهدى اليّ صورة والده . ولم يعش محمد حسين بعد صديقه كثيرا - قال له اقبال : كتبت في آخر « جاويد نامه » أبياتا عنوانها « خطاب لجاويد » وقلت فيها : أن في عصرنا هذا قحطا في الرجال . وعسير فيه الظفر بلقاء رجال الله . فإن تكن سعيد الجدّ لقيت أحد أصحاب البصائر . والا فاعمل بهذه النصائح .

ثم قال : وحين يشبّ جاويد ، بعد موتي ، أفهمه هذا الشعر وفي هذه الليلة سئل عن صحته فقال : أريد الخلاص من هذه المشقة فورا .

### وفاته

روى عن راجه حسن ، وكان مع اقبال ليلة وفاته - ولقيته في لاهور مرات وفي كراچي وسمعت منه هذا - أن اقبالا رحمه الله أنشد قبل موته بنحو عشر دقائق :

سرود رفته باز آيد که نايد نسيمي از حجاز آيد که نايد  
سر آمد روزگار اين فقيري دگر داناي راز آيد که نايد



وترجمتها :

«نعمات مضيّن لى هل تعود ؟ أنسىم من الحجاز يعود ؟  
آذنت عيشتى بوشك رحيل هل لعلم الأسرار قلب جديد؟»

ومن شعر اقبال :

نشان مرد موّمن باتو گويم چو مرك آيد تبسم بر لب أوست  
ترجمته :

« آية المؤمن أن يلقى الردى باسم الشجر سرورا ورضا »  
وكذلك كان أقبال حين الموت • وضع يده على قلبه قائلا : الآن بلغ الألم  
هنا • وتأوه وأسلم الروح الى خالقها وهو مبتسم • وما بدا عليه أثر من  
سكرات الموت ، وكان الى اللحظة الأخيرة كامل الشعور  
انا لله وانا اليه راجعون

عمره

توفى اقبال وعمره بالتوقيت الهجرى :

سبعا وستين سنة وشهرا وستة وعشرين يوما  
وبالحساب الشمسى خمسا وستين سنة وشهرا وتسعة وعشرين يوما

الاحتفال بجنائزه ودفنه

شاع فى الناس النبأ الفاجع ، والخطب الصاعق ، نعى اقبال • فكان  
الأسى على قدر حب الناس ايّاه ، وأكبارهم وأعظامهم له ، وعلى قدر  
ما وعت قلوبهم ، وأنشدت أفواههم من شعره ، وعلى قدر ما نفذت الى  
سرائرهم ، وأنارت فى ضمائرهم أقوال الرجل العظيم الخالد ، داعبة  
الحياة والأقدام ومصوّر الانسانية فى أروع صورها وواصف الحياة فى

أجل وجوهها •

عظلت الدواوين والمتاجر ، وذهب الناس زرافات ووحدانا الى  
« جاويد منزل » دار محمد اقبال •

رأيت أنا هذه الدار مرات • ما ذهبت الى لاهور الا زرتها • وهى دار  
صغيرة ، طبقة واحدة ، يلج داخلها الى فناء صغير ، ثم يصعد درجات الى  
بهو ، يتقضى الى حجرتين عن يمين وشمال • دخلت الحجرة التى الى  
الشمال وقيل هذه حجرة اقبال • كان ينام فيها ويكتب شعره ، ويمضى  
كثيرا من وقته •

قلت هذه الحجرة التى وسعت الدنيا بل وسعت العالم ، بل وسعت  
ماهو أعظم من العالم وأوسع ، قلب المؤمن • كم تنزل فى هذه الحجرة  
وحى الشعر ! وكم ازدجت فيها أفكار الفلاسفة وكم خفق فيها قلب  
هو كما قلت قبلا فى رثاء محمد فريد رحمه الله :

قلب" يرید زَماعه وطماحه      زلزال هذى الأرض بالحققان

### قبره

اتفق جماعة من أصدقاء اقبال وأولى الرأى فى المدينة على أن يتخذوا  
لشاعر الحياة قبرا فى فناء المسجد الجامع ( شاهى مسجد ) • وهو فناء  
واسع يتقضى اليه من جهة الجنوب باب كبير فى سور حول المسجد عال ،  
تمتد معه أبنية كثيرة •

اختيرت بقعة الى يسار الداخل الى الفناء ، على مقربة من الدرج الكبير  
الصاعد الى باب المسجد الرائع ، اختيرت هذه البقعة لجثمان اقبال، اتخذت  
هذه الخزانة لهذا الكنز ، بل اتخذ هذا الصوان لهذا الكتاب الخالد •

وقد رأيت ضريح اقبال سنة ١٩٤٧ م وكانت الحجرة التى فيها الضريح  
لم يكمل بناؤها • ثم زرته مرات من بعد حينما قدمت باكستان سفيرا •



وقد تمتّ الحجرة ونقش على أعلى جُدُرِها أبيات من شعر أقبال ، يتردد  
نظر العبرة والخشوع بينها وبين الضريح المائل الذي يحنو على رفات  
الشاعر الخالد .

وعلى الضريح صفائح من المرمر . وقد كتب على شاهده أن محمد نادر  
شاه ملك الأفغان أمر بصنع هذا الضريح اعترافا منه ومن الأمة الأفغانية  
بفضل الشاعر .

ان في هذا الضريح الثاوي في حضانة المسجد الكبير ، الذي بناه محيي  
الدين أورنگكزيب ، الذي بلغت دولة المسلمين في عهده أوج عزتها ،  
والقائم على مقربة من الآثار الرائعة التي خلّفها ملوك المسلمين في قلعة  
لاهور الهائلة - ان في هذا الضريح لوحيا لا يفتر ، وذكرى لا تنقطع ،  
من حاضر المسلمين وماضيهم ، ومن معالي الاسلام وشعر أقبال . وأن  
شعر أقبال ليُجَلّي لقارئه حضارة الاسلام وتاريخه ، في صور رائعة  
هائلة ، ويفسر هذه الآثار المحيطة به تفسيراً جميلاً جليلاً ، وأن من يقرأ  
شعر أقبال ليستأنف في الاسلام وتاريخه نظراً ، ويُجدد فيه تفكيراً ...  
ماذا عسى أن يقول قائل في أقبال وضريح أقبال . حسبك أيها القلم .  
برحم الله محمد أقبال .

#### صدي نعيه في الهند

كانت وفاة أقبال حسرة على مسلمي الهند بما فقدوا المرشد الهادي ،  
وافتقدوا الدليل الحادي ، وبما حرّموا هذا الينبوع الثرار بل النهر  
الهدّار .

وقد ردت هذه الحسرة مقالاتهم ، ورسائلهم وأشعارهم وشارك  
المسلمين غيرهم في الأسى عليه وأكبار فقده

وقراء العربية أكثرهم ، لا يعرفون كبراء الهند وأدباءها . فأثبت هنا  
طرفاً من أقوالهم . فحسبي أن أثبت مقال رجلين أحدهما زعيم سياسي مسلم ،

وثانيهما شاعر فيلسوف هندوكى ، ذانكم محمد على جناح رئيس العصبة  
الاسلامية ومؤسس باكستان . والثانى طاغور الشاعر الذى ذاع ذكره فى  
المشرق والمغرب .

قال محمد على جناح :

« كان شاعرا منقطع النظير ، طبَّقَ صيته الآفاق . وستبقى كلماته حيَّة  
أبدا . وان مساعيه لأمته وبلده لتضعه فى صف أكبر كبراء الهند . وان  
وفاته اليوم لخسارة كبيرة للهند عامة والمسلمين خاصة » .  
وقال فى خطاب ألقاه فى الاحتفال بذكرى اقبال فى جامعة بنجاب سنة  
١٩٤٠ م

ان حيتت حتى رأيت للمسلمين دولة قائمة فى الهند فخيرت بين الرياسة  
العليا فى هذه الدولة المسلمة ، وبين كتب اقبال لم أتردد فى اختيار الثانية .  
وكتب الى ابن اقبال بعد وفاته :

« كان لى صديقا ومرشدا وفيلسوبا . وكان فى أحلك الساعات التى  
مرت بالرابعة الاسلامية راسخا كالصخرة ، لم يزلزل لحظة واحدة قط » .  
وقال طاغور :

تركت وفاة اقبال فى أدبنا خلاء يشبه جرحا مهلكا ، ولن يملأ الا بعد  
مدة مديدة . ان مكانة الهند فى العالم ليست مكينة فموت شاعر عالمى  
كهذا مصيبة لا تحتلها البلاد .  
ومما قاله طاغور كذلك :

لا ريب عندى أن ما ناله شعر اقبال من قبول وصيت يرجع الى ما فيه  
من نور الأدب الخالد وعظمته . ويؤسفنى أن بعض النقاد وضع أدبى  
وأدب اقبال فى ميزان المنافسة ، وجهدوا أن يشيعوا أغلاطهم فى هذا  
الشأن . وهذا عمل لا يليق بالأدب الفسيح الذى يخاطب النوع الانسانى  
كله . لأن فى ساحة الأدب العالمى يقوم الشعراء وأولو الفن فى صف واحد  
من الأخوة الانسانية .

ويقينى أنى ومحمد اقبال عاملان للصدق والجمال فى الأدب . ونحن  
نلتقى حيث يقدم القلب الانسانى والعقل الى عالم الانسانية أجل هداياها  
وأروعها .



## الباب الثاني

### فلسفة اقبال

#### الفصل الأول منظومة أسرار خودي

يستطيع الناقد البصير أن يجد في شعر اقبال ، الذي أنشأه في صباه قبل سفره الى أوربا ، لمعاً من فلسفته ، وشرراً من ناره التي اشتعلت فأضاءت من بعد . وتتسع هذه اللمع ويكثر هذا الشرر على مرّ الزمان حتى ينشر أول دواوينه الفلسفية أسرار خودي سنة ١٩١٥ م فيتجلى مذهبه ، وتتضح طريقته في الفلسفة والشعر . ان نشر منظومة « أسرار خودي » حدّ بين عهدين . فالشعر الذي نشر قبله فيه نفحات من فلسفته ، ونفحات من شعره متفرقة غير جلية . ويتضمن هذا الشعر ديوان بانگك درا ( صلصلة الجرس )

وأسرار خودي تمتاز بأنها منظومة واحدة على القافية المزدوجة فيها فصول يوضح فيها اقبال فلسفته في الذات فكرة بعد فكرة ، ولكن هذه الفلسفة ممزوجة بالشعر عليها رونقه ومعها أخيلته وصوره . فهي فلسفة فيها شعر .

ويكتمل هذا الديوان ديوانه الثاني الذي نشره سنة ١٩١٨ : « رموز بي خودي » .

والدواوين التي أنشئت بعد ، شعر " في موضوعات شتى ، وصور لا ينالها حصر ، ولكن فلسفته تشيع فيه ظاهرة وخفية ، وصريحة ومكنية . ويسوغ أن نصف هذه الدواوين بأنها شعر فيه فلسفة .

نشرت منظومة أسرار خودي سنة ١٩١٥م فثار الناس لها بين راض وساخط ، ومستحسن ومستنكر ، بل بين مصفق طربا يشنى معجباً ، وصائح يتعجب

ويستنكر ، ويُدبر • ويسنفر وقبل أن أيِّن كيف تلقى الناس فلسفة اقبال كما بينها في كتابه « أسرار خودى » أثبت خلاصة المقدمة المنشورة التي صدر بها اقبال كتابه :

\*\*\*

يقول اقبال في رسالة الى الشاعر الكبير أكبر اله آبادى الملقب لسان العصر ، كتبها في ١٨ اكتوبر ١٩١٥ • بعد نشر أسرار خودى بستة أشهر :  
« الدين بغير القوة فلسفة محضة » • ١

« هذا حق لا ريب فيه • وهذا في الحقيقة ، ما دعاني الى كتابة المثنوى ( أسرار خودى ) • وأنا منذ عشر سنين في هم وتفكير من أجل هذا الموضوع • »

فقد لبث اقبال سنين يفكر في حال المسلمين ، ويتمعن النظر في أسباب ضعفهم ، ويَجِيل الفكر في ماضى الأمم وحاضرها ، ويقرأ فلسفاتنا حتى انتهى الى مذهبه الذى أبان عنه في منظومته هذه : ( أسرار خودى )

قدم الشاعر لهذه المنظومة مقدمة منشورة مجملة بحث فيها في نفس الانسان ومذاهب الأمم فيها ، وفي العمل واختلاف الفلسفات فيه • وحذف الشاعر هذه المقدمة بعد الطبعة الأولى ، ولكنها على اجمالها تبين المذهب الفلسفى الذى ذهب اليه الشاعر حين نظم كتابه • وتجمع للقارئ ما انتشر في هذا النظم من آراء •

وسأجل القول فيها على اجمالها :

---

(١) مأخوذ من بيت لأ كبر :

نهو مذهب مين گر زور حكومت

تو وه كيا هي ؟ ترا ك فلسفه هي



يبدأ اقبال المقدمة بقوله :

« هذه الوحدة الوجدانية أو نقطة الشعور المنيرة التي تستنير بها أفكار الانسان وعواطفه ورغباته ، أمر تحيطه الأسرار ، ينظّم مافي فطرة الانسان من كفيات متفرقة غير محدودة .

ما هذا الشيء الذي نسميه (أنا) أو (خودي) أو (مين) <sup>١</sup> الذي يبدو في أعماله ويخفى في حقيقته ، والذي يخلق كل المشاهدات ولكن لطافته لا تحتل المشاهدة . ؟ أهو حقيقة دائمة أم أن الحياة تجلت في هذا الخيال الخادع ، وهذا الكذب النافع ، تجليا عرضياً لتحقيق مقاصدها العملية إلهانة ؟ »

ان سيرة الأفراد والجماعات موقوفة على جواب هذا السؤال ..... ولكن جواب هذا السؤال لا يتوقف على المقسرة الفكرية في الأحاد والجماعات ، كما يتوقف على طباعها وفطرتها . فأمم الشرق المتفلسفة أميل الى أن تعتبر « أنا » في الانسان من خداع الخيال . وهي تعدّ الخلاص من هذا الغلّ نجاة . ويميل أهل الغرب الى العمل ساقهم الى ما يلائم طباعهم في هذا البحث . »

ويمضى اقبال في مقدمته قائلاً :

اختلطت في عقول الهنادك وقلوبهم ، النظريات والعمليات اختلاطاً عجيباً . ودقق حكماؤهم في حقيقة العمل واتفوا الى هذه النتيجة : أن حياة « أنا » المسلسلة ، وهي أصل المصائب والآلام ، منشؤها العمل ، وأن حالة النفس الانسانية نتيجة محتومة لأعمالها

(١)خودي بالفارسية معناها الذات أو الدانية ، ومين بالاردية معناها « أنا »

ولا ريب أن آراءهم جديرة بالاعجاب من جهة الفلسفة ، ولا سيما  
جراتهم على قبول كل نتائج هذه القضية ، وقولهم انه لا سبيل الى  
الخلاص من شرك « أنا » الا ترك العمل .

ولكن في هذا خطرا عظيما في حياة الواحد والجماعة . فلم يكن بد  
من أن يظهر في الهند مجدد بين حقيقة المقصود من « ترك العمل » . وكان  
هذا المجدد شري كرشن . فقد بين أن ليس المقصود ترك العمل حقا ،  
فالعمل مقتضى الفطرة وفيه قوة الحياة ، بل المقصود ألا يربط قلب  
الانسان بالعمل وتائه . وتبع هذا المجدد آخر هو شري رام نوج  
ولكن جاء على أثرهما شري شنكر أچاريه فخالقهما وحرّم الناس من  
ثمرات هذا التجديد .

— ٣ —

وكانت رسالة الاسلام في غربي آسيا دعوة الى العمل بليغة . فالاسلام  
يرى أن « أنا » مخلوق ينال الخلود بالعمل ، ولكن تشابها عجيبا في تاريخ  
الفكر الهندي والاسلامي ، يظهر في بحث هذه المسألة . فالفكرة التي  
فسر بها شنكر أچاريه ، كتاب الجيتا ( گيتا ) هي الفكرة التي فسّر بها القرآن  
محيي الدين ابن عربي الأندلسي . وكان له أثر بليغ في عقول المسلمين  
وقلوبهم . جعل ابن عربي بعلمه ومكاته مسألة وحدة الوجود عنصرا في  
الفكر الاسلامي . واقتفى أثره أوحد الدين الكرمانى<sup>١</sup> وفخر الدين  
العراقي<sup>٢</sup> حتى اصطبغ بهذه الصبغة كل شعراء العجم في القرن السادس  
الهجرى . ان مزاج الايرانيين الرقيق وطبعهم اللطيف ، لم يصبر على

(١) الشيخ أبو حامد أوحد الدين الكرمانى كان من تلاميذ ابن عربي وتتجلى وحدة الوجود  
في شعره . وله منظومة اسمها مصباح الارواح فيها بيان طريقته .

(٢) الشيخ فخر الدين العراقي ، لقي الشيخ صدر الدين القونوي خليفة ابن عربي  
واخذ عنه والف كتاب اللغات الذي كتب عليه الشيخ عبد الرحمن الجامي اشعة اللغات  
توفي سنة ٦٨٨ هـ



المشقة الفكرية التي لا بد منها في السير من الجزء الى الكل . فطوا  
المرحلة الوعرة التي بين الجزء والكل بالتخيل ، ورأوا في «عرق السراج»  
« دم الشمس » وفي « شرار الحجر » جكوة الطور ١ .

— ٤ —

خاطب فلاسفة الهند العقل في اثبات وحدة الوجود . وخاطب شعراء  
ايران القلب فكانوا أشد خطرا وأكثر تأثيرا ، حتى أشاعوا بدقاتهم  
الشعرية هذه المسألة بين العامة فسلبوا الأمة الاسلامية الرغبة في العمل .  
ولعل شيخ الاسلام ابن تيمية من علماء المسلمين ، وواحد محمود من  
فلاسفتهم ، أول من رفعوا الصوت باستنكار هذه النزعة ، ولكن مصنفات  
واحد محمود لا تلقى اليوم . ولا ريب أن منطق ابن تيمية القوي أثر أثره ،  
ولكن جفاف المنطق لا يقوى على مقاومة نضرة الشعر وفنتته .

وقال الشيخ على حزين : ان التصوف جميل في الشعر . فدل على أنه  
عرف حقيقة الأمر ، ولكن أقواله تدل على أنه لم يسجج من تأثير بيئته .  
فكيف كان الفكر الاسلامي في الهند يستطيع المحافظة على نزوعه الى  
العمل ؟

استولت على مرزا بيدل لذة السكون فلم يستحسن حتى طرفة العين .  
يقول :

« ان في بيت الزجاج لطائف محيرة . فلا تطرف عينك فتخدش صبغة  
هذا المنظر ٢

(١) هذا تمثيل لعبارات مألوفة في شعر الصوفية .

(٢) تراكت هاست دراغوش ميناخانه حيرت

مزه برهم مزن تانشكني رنگك تماشارا  
وبيت الزجاج « ميناخانه » هو هذا العالم التي تقوم فوقه القبة الزرقاء .

وللشاعر تمتنا بيت يقول فيه :

« انظر الى كل ما يأتى أمامك ولا تنطق • اتخذ عينا كمين مرآة وفما  
كفم الصورة »<sup>١</sup>

— ٥ —

وتمتاز أمم الغرب بين أمم العالم بميلها الى العمل • فأراؤهم خير دليل  
لأمم المشرق الى فهم أسرار الحياة •

بدأت الفلسفة الجديدة في الغرب من وحدة الوجود التي دعا اليها  
الفيلسوف الهولندي الاسرائيلي<sup>٢</sup> ولكن مَسْحَة العمل غلبت على  
طبائع الغرب • فلم يلبث طويلا طَلِسْمْ وحدة الوجود التي أُثْبِتَتْ بأدلة  
رياضية • سبق الألمان الى اثبات حقيقة ( أنا ) الانسانية المستقلة ، ثم  
تحرر من هذا الطلسم الخيالي فلاسفة الغرب على مر الزمان ولا سيما  
فلاسفة الانكليز •

والحق أن لأفكار الانكليز العملية فضلا على أمم الأرض كلها • فان  
« احساس الواقعات » عندهم أحد منه عند الأمم الأخرى • ولهذا لم  
يَرْمَجْ في بلاد الانكليز حتى اليوم كل نظام فلسفي من نسج الفكر لا يثبت  
في ضوء الواقعات •

— ٦ —

ويختم اقبال بقوله :

هذه خلاصة تاريخ المسألة التي هي موضوع هذه المنظومة • وقد

(١) ديكه جو كچه سامنى آجائى مونيه سى كچه نه بول  
آنكه آينيه كى بيداكى ، دهن تصويركا

(٢) يعنى اسبنوزا

— ٥٣ —



اجتهدت أن أحرر هذه المسألة الدقيقة من تعقيد الأدلة الفلسفية ، وألونها  
بألوان الخيال ليتيسر ادراك حقيقتها .

ولم أقصد بهذه الديباجة الى تفسير هذه المنظومة . ولكن أردت أن  
أدل على الطريق مَنْ لم يُلْمَ من قَبْلُ بدقائق هذه المسألة العسيرة  
ولا ينبغي هنا أن أتناول هذه المنظومة من حيث الشعر ، فأنا خيال  
الشعر فيها وسيلة الى توجيه الناس الى هذه الحقيقة :  
انّ لذة الحياة مرتبطة باستقلال « أنا » وبأبوابها واحكامها وتوسيعها .  
وهذه الدقيقة تمهد الى فهم حقيقة « الحياة بعد الموت » .

— ٧ —

وينبغي أن يعلم القراء أن لفظ « خودى » لا يستعمل في هذه المنظومة  
بمعنى الأثرة كما تستعمل في اللغة الأردنية غالبا . انما معناها الاحساس  
بالنفس أو تعيين الذات . وهى بهذا المعنى فى كلمة «بيخودى» كذلك .

\*\*\*

هذه خلاصة المقدمة المنشورة التى أثبتتها محمد أقبال فى الطبعة الأولى  
لأسرار خودى ثم حذفها فى الطبعات التالية .

وقد كتب الأستاذ نكلسون المستشرق الانكليزى ، مترجم مثنوى حلال  
الدين الرومى ومترجم أسرار خودى الى الانكليزية — الى اقبال يسأله  
أن يكتب مقالا يوضح فيه مذهبه فكتب اليه مقالا أجمل فيه فلسفته ،  
فأثبت نكلسون بعضه فى مقدمة ترجمته لأسرار خودى . والمقال أحسن  
مقدمة لهذه المنظومة وللفلسفة اقبال كلها .

وقد رأيت أن أثبته هنا فترجمته من النص الأردى مع تغيير قليل  
واختصار ، واليك المقال :

— ٥٤ —

« يقول الأستاذ بريدلى <sup>١</sup> ان الشعور يقع في مراكز معينة ويعبر عنه عبارات مختلفة ثم ينتهى الى أن يكون غير قابل للتفسير ، ولكن هذا الذى لا يقبل التفسير اذا تجاوز مراكز الشعور ينتهى الى وحدة يعبر عنها بالمطلق تفقد فيها كل مراكز الشعور المحدودة فرديتها كما تفقد القطرة في البحر .

يرى بريدلى أن هذه المراكز المحدودة ليست الا مظهرا . وفي فلسفته أن ثبوت الحقيقة بعمومها . فالحقيقة في نفسها محيطة . وكل محدود اضافى لا مطلق . فهو خداع نظر . كل شئ في الكائنات محدود ، فهو اضافى فهو باطل .

فمذهب الأستاذ بريدلى أن كل مركز للشعور محدود ، أى كل ذات مفردة ، خداع نظر وباطل . وأنا أقول ، على خلاف هذا ، ان مركز الشعور المحدود الذى لا يدرك ( الذات ) هو حقيقة الكائنات . فالذات حق لا باطل .

الحياة كلها فردية ، وليس للحياة الكلية وجود خارجى . حيثما تجلت الحياة تجلت في شخص أو فرد أو شئ . والخالق كذلك فرد ولكنه أوجد لا مثل له .

وظاهر أن هذا التصور للكائنات يخالف كل المخالفة ما ذهب اليه شراح فلسفة هيكل من محدثى الانجليز ويخالف أصحاب وحدة الوجود الذى يرون أن مقصد حياة الانسان أن يثنى نفسه في الحياة المطلقة أو « أنا » المطلق كما ثنى القطرة في البحر .

أرى أن هدف الإنسان الدينى والاخلاقى أثبات ذاته لا نفيها ، وعلى

---

(١) الاستاذ بريدلى Bradley كان أستاذ الفلسفة في جامعة اكسفورد . ولد سنة ١٨٤٦ وتوفى سنة ١٩٢٤ . وله كتب كثيرة في الفلسفة . وهو من القائلين بوحدة الوجود على مذهب هيكل الفيلسوف الالماني .



قدر تحقيق انفراده أو وحدته يقرب من هذا الهدف •

قال الرسول صلى الله عليه وسلم «تخلقوا بأخلاق الله» فكلما شابه  
الانسان هذه الذات الوحيدة كان هو كذلك فردا بغير مثيل •

اننا نسأل ما الحياة؟ وواضح أن الحياة أمر فردى • وأعلى أشكاله  
( التي ظهرت حتى اليوم ) « أنا » وبها يصير الفرد مركز حياة مستقلا  
قائما بنفسه • فالانسان من الجانبين الجسماني والروحي ، مركز حياة قائم  
بنفسه ولكنه لمَّا يبلغ مرتبة الفرد الكامل •

وتنقص فرديته على قدر بعده من الخالق • والانسان الكامل هو الأقرب  
الى الله ، ولكن ليس القصد من هذا القرب أن يتفنى وجوده في وجود  
الله ، كما تقول فلسفة الاشراق ، بل هو ، على عكس هذا ، يمثل الخالق  
في نفسه •

وقد بيّن جلال الدين الرومي هذه النقطة بيانا حسنا اذ قال : ان حلبة  
السعدية حاضنة الرسول صلى الله عليه وسلم افتقدته يوما وهو طفل •  
ففرغت وتولت ، فسمعت من الغيب هذا النداء : « لا تحزنى فلن تفقديه ،  
بل العالم كله يفقد فيه ! »

يعنى أن الفرد الكامل والانسان الحقيقي لا يضل في الكائنات بل تضل  
هى فيه أى تسخر له فيتصرف فيها •

وأنا أجاوز هذه المنزلة فأقول : يتفقد رضا الحق ( الله ) فى رضاه

الحياة رقى مستمر ، تسخر كل الصعاب التى تعترض طريقها •  
وحقيقتها أن تخلق دائما مطالب ومثلا جديدة • وقد خلقت من أجل اتساعها  
وترقيها آلات كالحواس الخمس والقوة المدركة لتقهر بها العقبات  
والمشقات •

وأشد العقبات في سبيل الحياة المادة أو الطبيعة ، ولكن المادة ليست شرا كما يقول حكماء الأشرار ، بل هي تعين الذات على الرقى ، فإن قوى الذات الخفية تتجلى في مصادمة هذه العقبات .

وإذا قهرت الذات كل الصعاب التي في طريقها بلغت منزلة الاختيار .  
الذات في نفسها فيها اختيار وجبر ، ولكنها إذا قاربت الذات المطلقة نالت الحرية الكاملة . والحياة جهاد لتحقيق الاختيار ، ومقصد الذات أن تبلغ الاختيار بجهادها .

### دوام الذات او الشخصية

مركز حياة الإنسان ذات ( خودى ) أو شخص ، أعنى أن الحياة حينما تتجلى في الإنسان تسمى ذاتا .

وشخصية الإنسان من الوجهة النفسانية حال من التوتر . ودوام الشخصية موقوف على هذه الحال . فان زالت هذه الحال عقبته حال من الاسترخاء مضره بالذات . فان يكن في حالة التوتر هذه كمال الإنسان فأول فرض عليه أن يعمل لدوام هذه الحال والحيلولة دون حال الاسترخاء . وكل ما يمكننا من ادامة حال التوتر يمكننا من الخلود .

وهذا التصور للشخصية يقوم معيارا لقيّم الأشياء أعنى أن في ذاتنا معيار الحسن والقبح . وبهذه تحل مسألة الخير والشر ، فما يقوى الذات خير وما يضعفها شر . ويجب أن يقوّم الدين والأخلاق والفنون بهذا المعيار .

واعتراضى على أفلاطون ، هو في أصله اعتراض على كل النظم الفلسفية التي تقصد الى الفناء لا البقاء ، والتي تغفل المادة ، وهي أكبر العقبات في سبيل الحياة ، وتدعو الى الفرار منها لا الى تسخيرها والتسلط عليها .

وكما تعرض مسألة المادة في مبحث حرية الذات ، تعرض مسألة الزمان في مبحث خلودها .



يقول برجسون : ان الزمان ليس خطا ممتدا الى غير نهاية يتحتم علينا المرور به . فهذا التصور للزمان غير صحيح فالزمان الخالص لا يدخل فيه تصور الطول أى لا نستطيع قياسه بمقياس الليل والنهار .

ان خلود الذات أمل ، من أراد أن يظفر به فليجد ويدأب لبلوغه . والظفر به موقوف على أن نسلك طريقا للفكر والعمل في هذه الحياة يعيننا على حفظ حالة التوتر . ولا يستطيع ابلاغنا هذا الأمل دين بودا والتصوف العجمي ، وما الى هذين من نظم الأخلاق الأخرى . لقد أضرت بنا هذه الطرق فأضرعتنا وأنامتنا . ان هذه المذاهب هي الليالي في أيام حياتنا .

وان قصدنا بأفكارنا وأعمالنا الى حفظ حالة التوتر في ذواتنا ، فأغلب الظن أن صدمة الموت لا تستطيع أن تؤثر فيها . تعرض بعد الموت حال من الاسترخاء يسميها القرآن الحكيم ، البرزخ . وتدوم هذه الحال حتى الحشر . ولا تبقى بعد هذا الاسترخاء الا النفوس التي أحكمت ذواتها أيام الحياة .

ان الحياة في ترقيقها تنفر من التكرار كل النفور ، ومع هذا يقول الأستاذ ولدن كار<sup>1</sup> بناء على القواعد التي وضعها برجسون ، ان حشر الأجساد معقول أيضا .

اننا نقسم الزمان الى لمحات فندخل فيه مفهوم المكان ، فيصعب علينا تسخيره . وأنما نستطيع أدراك معنى الزمان أدراكا صحيحا حينما ننظر في أعماق ذواتنا . أن الزمان الحقيقي هو اسم آخر للحياة . وأن الحياة تستطيع المحافظة على حالة التوتر التي حافظت عليها حتى الساعة . ولن

---

( ١ ) كان أستاذ الفلسفة في كنجس كولج King's College . توفى ١٩٣١

نخلص من عبودية الزمان مادما نعدده أمرا مكانيا •

أما الوقت المكاني قيّد توصلت به الحياة الى تسخير ما حولها •

### تربية الذات

لا ريب أن الذات تستحكم بالعشق • ومفهوم العشق هنا واسع جدا • ومعناه أرادة الجذب والتسخير وأعلى أشكاله أن يخلق مقاصده ويوجد في نيلها • وخاصة العشق أفراد العاشق والمعشوق • أعنى أظهر الأفراد والاستقلال فيهما • وإذا جدّ الطالب في طلب الأوحد الأسمى ظهر فيه التوحد ، ويتحقق ضمنا توحد المطلوب • لأنه أن لم يكن واحدا مستقلا بنفسه لم يسكن الطالب اليه • أنما يمكن عشق شخص أو وجود معين ولا يمكن لشخص عشق كائن غير مشخّص •

وكما تستحكم الذات بالعشق تضعف بالسؤال • وكل ما ينال بغير جهد يعدّ سؤالا • فالذي يرث مال غيره سائل • والذي يتبع أفكار غيره أو يدعيها لنفسه سائل •

والخلاصة أنه ينبغي لأجل أحكام الذات أن نخلق في أنفسنا العشق ونجتنب كل ضروب الاستجداء ( أي البطالة ) •

أن في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة للمسلم • فقد كانت حياته خير مثل للسعي الدائم • لقد كانت حياته كلها صورة للعمل •

أشرت في فصول من هذا المتنوى الى أصول فلسفة الأخلاق الاسلامية • وبيّنت أن لكمال الذات ثلاث مراحل :

١ - اطاعة القانون الالاهي

٢ - وضبط النفس

٣ - والنيابة الالاهية

والنيابة الالاهية في هذه الدنيا هي أعلى درجات الرقي الانساني •



ونائب الحق ( الله ) خليفة الله في الأرض • وهو أكمل ذات تطمح اليها  
الانسانية ، وهو معراج الحياة الروحي •

تلتئم في حياة نائب الحق عناصر النفس المتضادة ، توحدّها أعلى القوى  
وأعلى الأعمال • فيتوحد فيها الذكر والفكر ، والخيال والعمل ، والعقل  
والخصائص الجبليّة • فهو آخر ثمر في شجرة الأنسانية • تحبّب اليه  
الصعاب والشدائد في سبيل رقي الحياة • وهو الحاكم الحق لبني الأنسان  
لأن حكومته هي في الحقيقة حكومة الله ••• ونحن نقرب منه على قدر  
ارتقائنا وبهذا القرب تعلقو قيمتنا في الحياة •

وأول شرط لظهور نائب الحق أن ترقى الأنسانية في جانبيها الروحي  
والجسمي • فان ارتقاء الأنسانية يقتضى ظهور أمة مثالية تتجلى في أفرادها  
في الجملة هذا التوحد الذاتي ، وتصلح لأن يظهر فيها نائب الحق •

فمعنى سلطان الله في الأرض أن تقوم قبيها جماعة شوروية يتوحد أفرادها،  
ويقوم على هذه الجماعة واحد يمكن أن يُسمّى نائب الحق أو الانسان  
الكامل ، وهذا الأنسان الكامل يبلغ ذروة الكمال التي لا تتصور فوقها  
ذروة •

وقد رأى نظثه ( الفيلسوف الالماني المعروف ) ضرورة ظهور هذه  
الأمة المثالية ولكن دهريته واعجابه بالسلطان مسخا فلسفته كلها • «

### كيف تلقى الناس منظومة اسرار خودى

قال بعض الناس لأقبال أحسنت وأبدعت ، عرفت الداء ووصفت  
الدواء • وقال آخرون :

حدت عن الطريق • ولم يصحبك التوفيق • وأنكرت التصوف •  
وازدريت أئمة الصوفية •

وكرت المقالات في القبول والرد ، والمدح والقدح • وأقصد هنا الى

تبيين ما كان لأسرار خودى من أثر فى نفوس الناس، لماذا قبلها واستحسنها وأعجب بها وأشاد بناظمها من قبل واستحسن وأعجب وأشاد . ولماذا نفر منها من نفر واستنكرها من استنكر . ولعل فى بيان هذا وذاك بيانا للجديد فى هذه المنظومة ، والبيدع فيما حوته من آراء :

تلقى بعض الصوفية دعوة اقبال فى أسرار خودى بالاستنكار والرد ، اذ وجدوها دعوة الى « خودى » وهى كلمة تدل فى لغتها الفارسية على الأثرة والعجب والأنوية وما يتصل بها . وتستعمل كذلك فى الأردية فهى دعوة فى الاخلاق منكرة ، وفى التصوف أشد نكرا . وقد نقل اقبال « خودى » الى معنى آخر جعله أصل فلسفة له . فأراد بها الذاتية ، وقال فى فلسفته ان العالم قائم بهذه الذاتية وان الانسان بهذه الذاتية يقوّم ، على قدر قوتها وضعفها ، بل يخلد أو يفنى باستحكامها أو اضمحلالها ، وان مقصد الانسان فى هذه الحياة معرفة ذاته وتقويتها وتنمية مواهبها واستنباط مافى فطرتها . وليس من الخير فى شىء انكار الذات أو اضعافها ، بل هو الشر كل الشر . ولا ينبغى العمل لفنائها ولا الرضا به كما يفعل الهنادك وصوفية العجم - كما يقول اقبال - بل لا تفنى الذاتية فى الله تعالى وليس من الخير السعى الى افنائها فيه :

أحكم نفسك فى حضرته ، ولا تفن فى بحر نوره ١ .

ورأى الصوفية فى هذا أمرا نكرا ، اذ كان التصوف فى زعمهم يقصد الى اذلال النفس وتذليلها وأماتها حتى تؤهل للفناء فى الله . بل أدعى بعض المجادلين أن اقبالا ينكر التصوف ، ويدعو الى محوه .

وزاد الصوفية ثورة على اقبال أنه عمد الى امام من أئمتهم ، وشاعر من أعظم شعرائهم ، « لسان الغيب حافظ الشيرازى » فحطّ من شأنه ، وغضّ من طريقته ، ونهى الناس عنه وحذرهم منه . كتب فى مقدمة

(١) انخود محم گذار اندر حضورش مشونا بيد اندر بحر نورش



## المنظومة أبياتا في حافظ خلاصتها : ١

« احذر حافظا أسير الصهباء ، فإن في كأسه سمّ الفناء • ليس في سوقه  
الا المدامة ، وقد شعث كأسان على رأسه العمامة • ذلكم فقيه ملة المذممين ،  
وامام أمة المساكين • شاة علفت الغناء ، والدلال والفتنة العمياء •  
هو أركى من شاة اليونان ، ونعمة عوده حجاب الأذهان • فبرّ من كأسه  
فإن فيها لأهل الفطن ، خدرا كحشيش أصحاب الحسن ٢ »

وحذف اقبال هذه الأبيات بعد الطبعة الأولى ووضع مكانها فصلا  
عنوانه « اصلاح الآداب الاسلامية » بيّن فيه المعنى الذي قصد اليه حين  
حذر من طريقة حافظ وشعره ولم يذكر حافظا • فبلغ ما أراد ، وكفى نفسه  
عداء المعجبين بحافظ المتعصبين له •

## نبذ من رسائل اقبال الى المعارضين

وأقل نبذا من رسائل اقبال الى المعارضين ، وردة على ما أخذهم  
وشبهاتهم • لعل القارئ يجد في هذه النبذ ايضا حلا لآراء اقبال في التصوف ،  
وتميزه بين نوعين منه : التصوف الاسلامي والتصوف العجمي ، والتفريق  
كذلك بين التوحيد ووحدة الوجود ، ولعله يجد فيه تفسيراً لما غمض على  
الناظرين من فلسفته ، وأجعل هذا تمهيدا للكلام في فلسفة اقبال عامة ،  
وآرائه في « أسرار خودي » خاصة •

- (١) هوشيار از حافظ صهبا گسار  
جامش از زهر أجل سرمایه دار  
نست غير از باده در بازار او  
از دوجام آشفته شد دستار او  
آن فقيه ملت ميخوارگان  
آن امام ملت بيچارگان  
گوسفند است و نو آموخت است  
فته و نازوادا آموخت است  
از بز يونان زمين زيرك تراست  
پرده عودش حجاب اكبر است  
بگذر از جامش كه در ميناي خويش  
چون مريدان حسن دارد حشيش  
(٢) - يضر ب اقبال الشاه مثلا للضعف ، فلذلك يسمي حافظا شاة . وشاة  
اليونان افلاطون . والحسن الصباح امام الفرقة التي عرفت باسم الحشاشين

قال في رسالة الى السيد حسن نظامي مكتوبة في الثلاثين من كانون  
الأول سنة ١٩١٥ •

« انى بفطرتى وتربيتى أنزع الى التصوف • وقد زادتني فلسفة أوربا  
نزوعا اليه • فان فلسفة أوربا في جملتها تتوجه الى وحدة الوجود ،  
ولكن تدبّر القرآن المجيد ، ومطالعة تاريخ الاسلام بامعان أشعراني  
بغلطى • ومن أجل القرآن عدلت عن أفكارى الأولى وجاهدت ميلى  
الفطرى ، وحِدْتُ عن طريقة آبائى •

ان الرهبانية ظهرت في كل أمة ، وعملت لأبطال الشريعة والقانون •  
والاسلام في حقيقته هو دعوة الى استنكار هذه الرهبانية • والتصوف الذى  
ظهر بين المسلمين - أعنى التصوف الايرانى - أخذ من رهبانية كل أمة ،  
وجهد أن يجذب اليه كل نحلة ، حتى القرمطية التى قصدت الى التحلل  
من الأحكام الشرعية لم تعدم نصيرا من الصوفية •

ان اعتراضك ، حتى اليوم ، لم يعدْ مقدمة أسرار خودى • فلم يتناول  
المنظومة نفسها • وكيف أعمل قلمى ، ولست أدري ما اعتراضك عليها؟  
كيف أعمل قلمى في هذا الصدد • انما اعترضت على ما حسبته غضا  
من قدر حافظ الشيرازى • ولن يستبين الحق في هذا الأمر حتى يوفى  
البحث حقه •••

ان حالة السكر ( في اصطلاح الصوفية ) تنافر الاسلام وقوانين الحياة ،  
وحالة الصحو ، وهى الاسلام ، موافقة "قوانين الحياة • وانما قصد  
الرسول صلى الله عليه وسلم الى انشاء أمة صاحبة ( في حالة الصحو ) •  
ولهذا تجد في صحابة رسول الله الصديق الأكبر والفاروق الأعظم ولا  
تجد حافظا الشيرازى •

هذا بحث طويل تضيق عنه هذه الرسالة القصيرة • وسأفصل هذا



ان شاء الله حين تتاح الفرصة . ولكن ذكر ابن عربي يذكرني بمسألة أيّنها  
هنا حتى لا يبقى في فكرك لبس .

لا أنكر عظمة الشيخ وفضله ، بل أعده من كبار فلاسفة المسلمين .  
ولا أرتاب في اسلامه ، فانه يحتج على عقائده ، كقيد الأرواح ووحدة  
الوجود ، بالقرآن على حسن نية . فأراه على صوابها أو غلطها قائمة  
على تأويل القرآن . وأما أن تأويله غلط أو صواب عقلا ونقلها فمسألة  
أخرى . وعندى أن تأويله غير صحيح . فأنا أعده مسلما مخلصا ولا أتبعه  
في مذاهبه .

وأصل المسألة أن الصوفية أخطأوا خطأ كبيرا في فهم التوحيد ووحدة  
الوجود . ليس هذان الاصطلاحان مترادفين كما توهموا . فالأول مفهوم  
ديني . والثاني فلسفي محض . ليس التوحيد ضد الكثرة كما يظن بعض  
الصوفية بل هو ضد الشرك . وأما وحدة الوجود فهي ضد الكثرة .  
وكانت نتيجة هذا الغلط أن عدّ من الموحدين طائفة " ذهبوا الى وحدة  
الوجود - أو التوحيد في اصطلاح فلسفة أوربا الحاضرة - على حين أن  
المسألة التي ذهبوا إليها لا تتعلق بالدين بل بحقيقة نظام العالم .

ان تعليم الاسلام واضح بيّن . هو أن ذاتا واحدة تستحق العبادة ،  
وأن كل الكثرة التي ترى في العالم مخلوقة ...

ليست عقيدة وحدة الوجود من تعليم القرآن . فإن القرآن يبيّن  
المغايرة التامة بين الخالق والمخلوق أو العابد والمعبود .

— ٢ —

ويقول في رسالة أخرى الى سراج الدين بال مؤرخة ١٠ تموز سنة ١٩١٦:

« الحق أن التماس معان باطنية في قانون أمة هو مسخ لهذا القانون كما  
يُعلم من سيرة القرامطة . ولا يختار هذه الطريقة إلا أمة في فطرتها الخنوع والمذلة .  
وفي شعراء العجم جماعة في طباعهم الميل الى الاباحة . وهذا الميل في ايران

— ٦٤ —

من قبل الاسلام . وقد صدّ الاسلامُ حيناً هذا الميل الطَّبَعِي . ثم عاد فظهر حينما وجد فرصة . فوَضِع للمسلمين أساس أدب يقوم على وحدة الوجود . وقد افتنَّ هؤلاء الشعراء في ابطال شعائر الاسلام بأساليب عجيبة خداعة . وأبانوا عن وجه مذموم في كل أمر ممدوح في الاسلام . وأضرب الجهاد مثلاً . فقد التمس شعراء العجم معنى آخر في هذه الشعيرة التي يراها الاسلام من ضرورات الحياة . انظر في هذه الرباعية :

« يسلك الغازي كل سبيل من أجل الشهادة ، ولا يدرى أن شهيد العشق أفضل منه . كيف يستوى هذا وذاك يوم القيامة . هذا قتيل العدو وذاك قتيل الحبيب »<sup>١</sup>

وهذا جميل في الشعر ولكنه خدعة لأبطال الجهاد .

وإذا نظرت الى حافظ وكل شعراء ايران من هذه الوجهة ، بانت لك عجائب وغرائب .

وفي رسالة أخرى الى سراج الدين نفسه يقول اقبال :

كل شعر التصوف ظهر في زمان ضعف المسلمين السياسي . وكل أمة يصيبها ضعف كالذي أصاب المسلمين بعد غارات التتار ، تتبدل أنظارها<sup>٢</sup> ويجعل الضعف في أعينها ، وتركن الى ترك الدنيا . وفي هذا الترك تخفى الأمم ضعفها وهزيمتها في تنازع البقاء . انظر الى مسلمي الهند . فقد انتهى الأدب عندهم الى فنّ الرثاء في لكهنؤ .

---

(١) غازي زبي شهادت اندر تنگ وپوست

غافل که شهید عشق فاضل ترازوست

در روز قیامت این بآن کی ماند

این کشته . دشمن است واین کشته . دوست

(٢) يقول اقبال في ضرب الكلم . ان الامة ضعفت عن شريعة القرآن فحاولت ان تبدل القرآن ليلانها ، ولم تحاول ان تغير نفسها لتلائم القرآن تبدلت فاجهد ان تبدل شرعة فليس يطبق الظبي شرعة ضيفم



هذا طَرف ممّا أجاب به اقبال اعتراض المعترضين • ومن هؤلاء من قنعوا بقراءة مقدمة المنظومة أو الأبيات التي تضمنتها في نقد حافظ • ولم يقرءوا المنظومة كلها فيتدبروا دعوة اقبال ، أو قرءوها ولم يرتقوا الى الجدل فيها

\*\*\*

وأخرون من زعماء المسلمين في الهند تلقوا دعوة اقبال بالأكبار والأعجاب وقدروا حاجة المسلمين اليها ، وأثرها في أنفسهم • فأشادوا بفلسفة اقبال وأثنوا عليه بما يستحق •

ومن هؤلاء الزعيم مولانا محمد علي • قال بعد أن نشر اقبال أسرار خودى ورموزى خودى : ان شعر اقبال يحدو المسلمين في هذا العصر الى النشأة الثانية •

شرعت أنا وأخى شوكت علي في قراءة أسرار خودى فرأينا ضربا من الشعر يفوق ما قبل من قبل • وحق أنه بدلنا ، أول الأمر ، فأترا بجانب شعره الأردى الذى يرمى بالشرر ، ولكننا حينما فرغنا من الباب الأول الذى عرف فيه موضوع فلسفته عرفنا أنه شعر يبعث الحياة فى الجماد ••• لقد رأيت أنه فى هذا الابداع جلا حقائق اسلامية لم أدركها الا بعد مشقة وعناء •••

ان الحياة فى نظر اقبال صحراء جرداء • وادراك المرء «ذاته» هو ادراك مقاصد الحياة ••• لقد بيّن اقبال رسالة الاسلام وسنته الأخلاقية ، وأنحى على نظرية القومية والوطنية عند الغربيين التى تحد تعاون الناس ، وترمى الأمم فى الفرقة والاختلاف •

وكتب مولانا أسلم جيراجبورى سنة ١٩١٩ :  
ما زال بعض الناس يعترضون على اقبال منذ نشر كتابه أسرار خودى ، اذ جعل أفلاطون اليونانى وحافظ الشيرازى فى فصيلة الغنم •  
وليس حافظ الشيرازى عندهم شاعرا عظيما فحسب بل هو ولى مقدس ولو لم يكتب اقبال عن حافظ ما كتب لكان خيرا له • لأنه عرض نفسه لظعن الطاعنين ، ولأن المسألة الأصلية التى تنفع الأمة حجبت فى غبار هذا

الجدال • كما فعل بيرزاده مظفر أحمد اذ نظم « راز بيخودی » ليرده على اقبال ماقال عن أفلاطون وحافظ ، وأغفل الموضوع الأصلي •

## الفصل الثاني

### خلاصة اسرار خودی

أجل في هذا الفصل خلاصة آراء اقبال كما بيّتها في هذه المنظومة وأكتفى بزهرات من هذه الرياض ، وقطرات من هذه الحياض •  
أعرض على القارئ ما يعرف بفلسفة اقبال وشعره معا ، شعره الذي يصور به الفلسفة ، ويعرض مباحثها في معرض لم تألفه ، ولم يعهده الناس • ولا يروض الفلسفة للشعر ، ويطوع الشعر للفلسفة الا اقبال وأمثاله • « وقليل ما هم »

— ١ —

### المقدمة

كان اقبال يشعر بأنه أتى العالم بمذهب جديد ، ورأى يدع ، ان لم يكن اخترعه اختراعا ، فقد اخترع طرائقه وصوّره وجمع أجزاءه وألف أشناته ، وأدرك صلة هذا المذهب بالانسان حياته ومماته ، وآحاده وجماعاته ، وبيّن صلته بالاسلام خاصة ، فأتى بالعجب ، واستولى على الأمد •

ومن أجل هذا يعرب عن ثقته بنفسه ، وتأثير كلامه ، ويذكر طلوعه على العالم شمسا جديدة ، لا تعرف رسومه ، ولا تألفها سماءه وأرضه ، ويتحدث عن نفاذ بصره الى مكنون الحياة ، وامتداد عينه الى أسرار المستقبل :

يقول في مطلع المنظومة :

|                           |                        |
|---------------------------|------------------------|
| قطع الصبح على الليل السفر | فهى دمعى على خدّ الزهر |
| غسل الدمع سبات النرجس     | وصحا العشب بمسرى نفسى  |
| جرب الفارس قولى موقدا     | مصرعا ألقى وسيفا حصدا  |



انه حبّ دموعى زرعا  
 ذرة ، قد حازت الشمس يدي  
 طينتى من جام جمّ أنور<sup>١</sup>  
 صيد أفكارى ظباء لم ترم  
 زان بستانى عشب ما ظهر  
 محفل الشادين منى يرجف  
 صامت<sup>٢</sup> فى رباب الفطرة  
 انى شمس قريب المولد  
 لم يرع ضوءى سرب الزهر  
 ما رأت رقص ضيائى الأبحر  
 ما لهذا الكون عنى تعهد  
 مزق الظلمة فجرى فظهر  
 انى أرفب صحا معلما

نسج الروض وأتاتى معا  
 كم صباح فى فؤادى مرصد  
 من جنين الدهر عندى خير  
 لم تسيب بعد من قيد العدم  
 وجنيت الورد فى جوف الشجر  
 فى وتار الكون كفى تعزف  
 ما وعى عنى جليسى نفمتى  
 حبكا فى فلك لم أعهد  
 لم يترجرج زبقي فى البصر  
 ماكسا الأطواد ثوبى الأحمر  
 أنا من خوف طلوعى أردد  
 فبدا طلّ جديد فى الزهر  
 حبذا من حول نارى زمزما

\* \* \*

أنا لحن دون ضرب صعدا  
 كل سرّ دون عصرى يخفى  
 أنا فى يأس من الصحب القديم  
 بحر صحبى قطرة لا تزخر  
 من وجود غير هذا لى غناء  
 كم تجلى شاعر بعد الحمام  
 وجهه من ظلمة الموت سقر  
 كم بهذا السهب مرت قافلة  
 غير أنى عاشق ، دينى النواح

أنا صوت<sup>١</sup> شاعرى يأتى غدا  
 ما بهذا السوق يشرى يوسفى<sup>٢</sup>  
 مشعل طورى ليغشاه كلبم  
 قطرتى كاليم فيها صرصر  
 ولركب غير هذا لى حذاء  
 يوقظ الأعين حينا وينام  
 ونما من قبره مثل الزهر  
 كخفاف النوق رهوا سابلة  
 ثورة المحشر منى فى الصباح

(١) كأس جمشيد فى اساطير الفرس كانت ترى فيها الاقاليم السبعة .

(٢) اشارة الى قصة يوسف الصديق .

أنا لحن كل عنى الوتر      لا أبالي أن عودى يكسر  
أبعد القطرة عن سيل طمى      وليجن البحر منه خضر ما  
لا تمى موجى هذى الأنهر      لا يعى موجى الا أبحر

\* \* \*

ليصدقنى القارئى لقد أردت أن أثبت هنا ابياتا قليلة تنطق  
باعتداد اقبال بنفسه وشعوره برسالته ، فلم أدر ماذا آخذ وماذا أدرع  
فكتبت هذه الأبيات كلها .

ولست فى حاجة الى أن أفسر للقارىء هذه الأبيات لأدله على  
شعور اقبال بأنه أدرك أسرار الحياة ، وبصر بما فى ضمير الغيب ، وأنه  
رسالة الغد الآمل الى اليوم اليأس ، والمستقبل العزيز الى الحاضر الذليل

### جلال الدين الرومى

يقول اقبال فى مقدمة هذه المنظومة ان جلال الدين الرومى هو الذى  
أيقظه ونبّه ودعا الى أن يسلك هذه السبيل ويقصد هذا القصد ويشيع  
فى الناس بيانه ويلفهم رسالته . وهو يعترف لجلال الدين بالأمامة فى مواضع  
كثيرة من كتبه . ولما نظم منظومته الخالدة جاويد نامه وقص فيها سفره  
فى الأفلاك السبعة ، جعل جلال الدين دليله فى هذا السفر .

يقول فى مقدمة أسرار خودى :

صير الرومى طينى جوهرى      من غبارى شاد كونا آخرا  
ذرة تصعد من صحرائها      لتنال الشمس فى عليائها  
اننى فى لجه موج " سرى      لأصيب الدر فيه نيرا

ويقول بعدة انه بات شاكيا نائحا فأخذه النصب والنوم فلاح له  
جلال الدين :



قال يامجنون بين العاشقين  
 شق في العين حجاب البصر  
 واجعلن الضحك ينبوع البكاء  
 أنت كالكم صموت أبكم  
 صعذن من كل عضو كالجرس  
 أنت نار فأضيء للعالمين  
 من حَمِيَّ العشق فاجرع كل حين  
 وأثر في القلب هول المحشر  
 واملأ القلب دموعا من دماء  
 انشرن كالورد ، ريحا يفغم  
 نوحك الصامت - في كل نفس  
 بلهب منك أذكِ الآخريين

الى أن يقول :

جرسَ الركب ! تنبّه لا تم  
 واعرف اللذة في نظم النغم

وبهذا البيت ينتهي كلام جلال الدين كما حكاه اقبال . ويقول الشاعر  
 بعده مبينا أثر هذا الكلام في نفسه :

صرت نارا في ثيابي تسعر  
 صرت كالنأى هياجا أضمر  
 ثرت من أوتار نفسي نغما  
 صغت من حُسن بياني أراما  
 فرفعت الستر عن سرّ خودى  
 مظهرَ الاعجاز من أمر خودى

\*\*\*

رأى القارىء من مقدمة أسرار خودى المنشورة ومن جدال اقبال  
 ومخالفه أنه خالف الصوفية في وحدة الوجود وانكار الذات ، وسمى  
 التصوف المتضمن هاتين العقيدتين تصوفا غير اسلامى . ويراها هنا يعترف  
 بأمامة الرومى ، ويقر له بالفضل بما أوحى اليه هذه الطريقة . وقد كرر  
 هذا في مواضع من دواوينه الأخرى .

ولا يتسع المجال هنا لبيان ما بين جلال الدين واقبال من التشابه ،

وأَسبابِ اعجابِ أقبالِ بجلالِ الدينِ واكبارهِ اياه • ولعلِّي أبيتُ هذا بعد الفراغِ من بيانِ فلسفةِ أقبالِ •

### اقبال والاسلام

ويقول في المقدمة بعد حديث جلال الدين الرومي :

كان كوني هيكلا لم يكمل      كان عطنلا سَقَطًا لم يتقبل  
مِبْرِدُ العَشِقِ براني رجلا      كيفَ هذا الكونَ والكمَّ جلا  
فرأيتَ النبضَ في جسمِ ذكاء      وبعرقِ البدرِ تسيارَ الدماء<sup>١</sup>  
فاض للانسانِ دمعى في الظلم      فشقتُ السرَّ عن عيشِ الأممِ  
فبدا لى سر تقويم الحياة      وشببتُ النفسَ في نار الحياة  
في هذه الأبيات يذكر أنه بكى على الانسان وأطال التفكير في أمره حتى اهتدى الى سر الحياة • وفلسفة أقبال في عمومها انسانية ، ومذهب الذاتية لا يخص واحدا ولا جماعة ولا أمة •

ويقول أقبال بعد هذه الأبيات :

أنا مَنْ في ظلمة الليل أنار      في طريق الملة البيضاء غبار  
أمةٌ دوَّتْ بأفاقِ الورى      لحنُها في القلبِ نارا قد سرى  
ذرةٌ أَلقتْ وشمسا حَصَدتْ

ألف رومي وعطار جنت<sup>٢</sup>

وهنا يذكر الأمة الاسلامية ويقول انه غبار أقداسها • وحب أقبال الاسلام ، واعجابه بتاريخ المسلمين ، ورؤيته في العرب الأولين المثل الأعلى في نضج « الذاتية » تلقى قارىء شعره جيشا قلب صفحات دواوينه • وهذه الأمة خصها أقبال بتطبيق فلسفته • فهي فلسفة انسانية تجد موضوعها ومثلها وغايتها في أمة الاسلام • وسأعود الى هذا بعد ان شاء الله •

(١) رأى دورة الدم في عروق القمر •

(٢) جلال الدين الرومي وفريد الدين العطار •



### فصول اسرار خودى

هذه أمهات الفصول فى ديوان أسرار خودى وتكاد هذه العناوين كلها تكتب بلفظها العربى فى تركيب فارسى :

١ — أصل نظام العالم من الذاتية ، واستمرار أعيان الوجود موقوف على استحكام الذاتية •

٢ — حياة الذاتية بتخليق المقاصد وتوليدها

٣ — تستحكم الذاتية بالمحبة والعشق

٤ — ضعف الذاتية بالسؤال

٥ — اذا استحكمت الذاتية بالمحبة والعشق سخرت قوى العالم الظاهرة والباطنة •

٦ — حكاية فى معنى أن مسألة نفى الذاتية من مخترعات الأقوام المغلوبة لتضعف أخلاق الأمم الغالبة من طريق خفية •

٧ — فى معنى أن أفلاطون اليونانى — الذى أثر كثيرا فى أفكار الأمم الاسلامية وآدابها — ذهب مذهب « الغنم » ، والاحتراز من خيالاته واجب •

٨ — حقيقة اصلاح الشعر والآداب الاسلامية •

٩ — تربية الذات لها ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى الاطاعة ، والثانية ضبط النفس ، والثالثة النيابة الإلهية . ويتنظن أقبال فى البيان فى هذا الفصل التاسع فيقص قصصا حقيقية أو خيالية لتصوير مذهبه منها :

(أ) - حكاية شاب ذهب الى الشيخ على الهجویری شاكيا جور أعدائه ( وقد بين له الشيخ أن العدو له عليه فضل بما ينبت قواه ، ويقوى ذاته )

(ب) - حكاية الطائر الذي أنهكه العطش ( وجد ماسة فلم يستطع التقاطها ثم وجد قطرة ماء فالتقطها ، الماسة مثل الذات القوية ، وقطرة الماء مثل الذات الضعيفة )

(ج) - حكاية الشيخ والبرهمن ، ومحاورة نهر الجَنجَا وجبل هِمالا في معنى أن تسلسل حياة الأمة من الاستمسك بسننها •

١٠ - في بيان أن مقصد حياة المسلم اعلاء كلمة الله وأن الجهاد ان كان سببه « جوع الأرض » فهو حرام في الاسلام •

١١ - نصيحة ميرنجات النقشبندی المسمى الأب الصحراوي التي كتبها لمسلمي الهند •

١٢ - الوقت سيف •

١٣ - دعاء ( يختم به المنظومة )

### نظرة عاجلة في هذه الفصول

- ١ -

### الذاتية

يبدأ المنظومة بالكلام عن الذاتية ، أنها أصل الكون • يقول :  
هيكل الكون من آثارها ، وكل ماترى من أسرارها ، انها حينما أيقظت  
نفسها أظهرت عالم الفكر • مائة عالم خفية في ذاتها • وغيرها مثبتت بأبوابها •  
بذرت في العالم بذر الخصومة ، اذ حسبت نفسها غيرها - يعني أنها  
حقيقة واحدة اتخذت ذوات مختلفة ، فتباينت وتنافست - الى أن يقول :  
تدمى مائة روضة لأجل وردة ، وتثير ألف نوحه لأجل نعمة ، وتمنح



فلما واحدا مائة هلال ، وتكتب من أجل كلمة واحدة مائة مقال • وعلة  
هذا الاسراف وهذه القسوة ، خلق الجمال المعنوي وتكميله - يعنى ان  
التكامل يقتضى فناء أشكال ، وعدم ضور ، وامحاء أطوار • فمائة  
روضة تنشأ لتكمل فيها وردة • وهلم جرا •

وتصوير صعوبة التطور وعسر التكامل ، سبق اليه بعض شعراء  
الصوفية مثل سنائى الغزنوى •

ثم يقول أقبال : و تراها من أجل عملها ، عاملا ومعمولا ، ووسيلة وغاية •  
تنبعث وتثور وتطير وتضئ وتختفى وتحترق وتقتل وتموت وتنبث<sup>١</sup>  
وظاهر أن الشاعر يريد قوة الحياة التى تتجلى فى مظاهر مختلفة ،  
وتداولها أحوال شتى ، ولكنها الحياة المتعينة المتشخصة فى الذوات  
الكثيرة •

ثم يقول :

حياة العالم من قوة الذات ، فالحياة على قدر ما فيها من هذه القوة  
فالقطرة حين تقوى ذاتها تصير دُرّة • والجبل اذا غفل عن ذاته انقلب  
سهلا وطفى عليه البحر • ويضرب الشاعر فى هذا المعنى أمثالا شعرية عدة •  
انما أقصد هنا الى تبين فلسفة أقبال ، وقد جعلت الكلام فى منظومة  
أسرار خودى وسيلة الى هذا التبيين • فلا حرج أن أترك هذه المنظومة  
حينا الى غيرها من دواوين أقبال • قد بث الشاعر فكرة الذاتية فى شعره

(1) نظم اقبال كل هذه الانمال فى بيت واحد •

كله . ذكرها أحيانا مجملة ظاهرة وخفية وصريحة ومكنية ، وأفاض أحيانا في الأبانة عنها وموالاته وصفها والتمثيل لها . ومن مواضع الأفاضة منظومته « ساقى نامه » من ديوانه الذى سماه بال جبريل (جناح جبريل) واليكم نبذة من كلامه عن الذاتية فى ساقى نامه :

تكلم عن الحياة الثائرة ، والزمان السائر ، وعن الأمم والآحاد ، فى هذا الجهاد ثم قال :

« ما هذا النّصّ الحى - ؟ سيف . ما مسنّ هذا السيف ؟ الذاتية . ما الذاتية ؟ سرّ الحياة الباطن . ما الذاتية ؟ يقظة الكائنات . أنها ثملة بالجلوة ، ومغرمة بالخلوة ، أنها بحر فى قطرة ... أنها ظاهرة فىك وفى ، وهى بريئة منى ومنك ( يعنى ليست مقيدة بكون محدود ) . ماضيها الأزل ، وآتيها الأبد . ليس لها ماض ولا آت يحد ... »

تغيّر وسائل التحرى ، وتبدل منظرها بين حين وحين . والصخرة الثقيلة خفيفة فى يدها ، والجبال رمال من ضربها . والسفر مبدؤها ومنتهاها ، وهو السر من تقويمها . هى ضياء فى القمر ، وهى شرار فى الحجر ... وهى فى هذا الكفاح منذ الأزل ، وقد صورت كذلك فى صورة الانسان .

ان مستقرّ الذاتية قلبك ، كما يحوى الفلك انسان العين . وسمّ هذه الذاتية العيش الذليل ، والعزة ماؤها السلسيل . «

أردت أن أعرض على القارىء صوراً للذاتية فى شعر أقبال ليتأمل فيها . وما أردت أن أحجبه عن الشاعر بكلامى وبيانى .

— ٢ —

### المقاصد والآمال

ويقول فى الفصل الثانى :

ان هذه الذاتية تحيا بخلق المقاصد والجد فى المسير اليها ، وعلى قدر



عظم مقاصدها تعظم ، وعلى قدر المشقة التي تحتلها تقوى •

والأمل في شعر اقبال كله ، هو الحياة ، والجهاد الدائب هو حافظ هذه الحياة • وان قارئ اقبال ليروعه اعظام اقبال الأمل ، وتصويره اياه واشادته بالعمل الدائب والجهد المستمر ، بل يرى اقبال أن الجهاد في سبيل المقصد أعظم لذة من بلوغه :

طوبى لمن لا يزال في أثر المحمل • أى لذة في الاضطراب دون وصول

ويقول في هذا الفصل من « أسرار خودى » :

|                           |                                   |
|---------------------------|-----------------------------------|
| انما يَبقى الحياة المقصد  | جس" في ركبها ما تقصد <sup>٢</sup> |
| أصلها في أمل مُستتر       | سرها في السعى منها يَضمَر         |
| أحى في قلبك هذا الأمل     | أو يحلّ طينك تريبا مهملا          |
| فحياة القلب من نار الرجاء | ماسوى الحق لدى القلب هباء         |
| فاذا عى بتخليق المنى      | هيض سيقظا وعن الطير ونى           |
| ويُسميت الحى فقدان الرجاء | يُطفىء الشعلة فقدان الغذاء        |

بل يرى أن العقل نشأ من الأمل :

|                         |                         |
|-------------------------|-------------------------|
| رأس مال في الحياة الأمل | وكذاك العقل منه يُنسل   |
| كل فكر وخيال واعتبار    | كل حسّ وشعور وادّكار    |
| هى آلات الحياة الجاهدة  | حين تمضى في وغاها صامدة |

(١) خوشا كسى كه بدنبال محمل است هنوز طبیدن ونرسیدن چه لدنى دارد

(٢) يعنى أن المقصد كجرس القافلة يؤذنها بالمسير كل حين •

## المحبة والعشق

العشق ، عشق الأمل وعشق المثل الأعلى ، يشعل الذاتية ويظهر مافيهما  
من قوى • ومثل المسلم العاشق هو الرسول صلوات الله عليه •

وإذا استحکم العشق لم يحل بين الأنسان وأمله عقبه ولا مشقة ، ولم  
تأخذه فيه رغبة ولا رهبة وسخر الانسان قوى العالم •

زائد بالحب في الذات رمواء

وحياة واشتعال وبقاء

مُشعل بالحب منها الجوهر يتجلي من قواها المضمّر

لا يهاب العشق في السيف المضاء

ليس من ماء وترب وهواء

هو في العالم حرب وسلام وهو ماء حياة وحسام

\*\*\*

ولا يتسع المجال هنا لتفصيل القول في العشق ، عند الصوفية وعند  
اقبال ، وفي الموازنة بين العشق والعقل وبين الفكر والذكر •

وقد صور اقبال هذا صورا كثيرة ، ولم يمتل من ذكره وتكراره •  
ويجده القارىء في هذه المنظومة « أسرار خودى » وغيرها • فليرجع الى  
ترجمة هذه المنظومة ، وليرجع الى ديوانيه رسالة المشرق وضرب الكلم  
ومقدمتيهما<sup>١</sup>

(١) يرجى نشر ترجمة اسرار خودى ورموزى خودى بعد هذا الكتاب •

وقد نشر من قبل رسالة المشرق وضرب الكلم •



ولا تخلو فصول الكتاب الآتية من حديث في هذا الشأن •

— ٤ —

### الذات تضعف بالسؤال

الثقة بالنفس ، والاعتداد بها ، والاعتماد عليها ، والاستغناء بها ، بقوى  
الذات • والشك فيها ، والالتجاء بها الى الناس ، وحملها عليهم ، يضعفها •

يبدأ أقبال هذا الفصل بقوله يخاطب المسلم :

أيها الجابي من الليث الخراج      صرت كالثعلب خبئاً باحتياج  
ذلك الأعواز أصل العلل      كل أدوائك من ذا المعضل  
من كنوز الدهر أخرج ما تريد      وخذ الصهباء من دن الوجود<sup>١</sup>

ويضرب مثلاً عمر رضى الله عنه اذ سقطت درته من يده وهو راكب ،  
فنزل ليأخذها ، وأنف أن يسأل أحد الرجال أن يناوله درته •

ثم يقول : « لا تبغ رزقك من نعمة غيرك ، ولا تستجد ماء ولو من عين  
الشمس • واستعن الله وجاهد الأيام ، ولا تثرق ماء وجه الملة البيضاء

طوبى لمن يحتمل الضر من الحرور والظما ، ولا يسأل الخضر كأساً من  
ماء الحياة • »

— ٦ —

### نقى الذات من اختراع الأمم المغلوبة

يتحدث اقبال في هذا الفصل عن الاقوام المغلوبة كيف خدعت الاقوام  
الغالبة عن نفسها وزينت لها « نقى الذات »

(١) يعنى اطلب رزقك في ارض الله لا تستجد احداً ولا تعول على غيرك .

ويضرب مثلاً قطعاً من الغنم تسلطت عليه الأسود ، تصول عليها  
وتنال منها ماشاءت كلما شاءت .

ففكر كبش في أمر جماعته فبدأ له أن يضعف في الأسود نزعة التغلث ،  
والصولة ، ويصرفها عن الاعتداد بالقوة . فادعى أنه نبيّ مرسل إلى  
الأسود . ودعاها إلى الزهد والاستكانة وانكار الذات . ونهاها عن أكل  
اللحم وعلّمها أن الجنة للضعفاء ، وأن القوة خسران مبین . وقال :  
« يا ذابح الشاة اذبح نفسك ، واغفل عنها ان تكن عاقلاً »

أطبق عينيك وأذنيك وشفتيك ليصعد ففكرك فوق الفلك ١ . ان هذه  
الدنيا مرعى العدم ، فأياك أن تركز إلى هذا الوهم .

ويصور الشاعر أثر هذه الدعوة في الأسود بهذه الأبيات :  
كانت الأسد جهاداً مكلت وتمنت منه عيش الدعة  
عن هوئى أصغت إلى النصيح المثيم  
ودهاها الكبش بالسحر العظيم

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| جواهر الآساد أضحى خزفاً  | حين أضحى قوتهن العلقا      |
| ذهب العشب بناب عسّر      | أطفأ الأعين ذات الشرر      |
| هجر الصدر فؤاد مقدم      | فاذا المرآة فيه تظلم       |
| وذوى في القلب شوق العمل  | وجنون السعى ملء الأمل      |
| ذهب الأقدام والعزم الأمر | والسنا والعز والمجد الأغر  |
| برثن الفولاذ فيها قد وهن | واستكان القلب في قبر البدن |
| ونما الخوف بنقص المنّة   | قطّع الخوف جذور النخوة     |
| كل داء في سقوط الهمة     | انه العجز وضعف الفطرة      |
| نامت الأسد بسحر الغنم    | سمت العجز ارتقاء الفهم     |

(١) إشارة إلى حكمة شرقية يمثلها قرود يضع أحدها يديه على عينيه والثاني يضمهما على  
أذنيه والثالث على فمه



### مذهب افلاطون واثره في الآداب الاسلامية

ينكر أقبال ، في كثير من أقواله ، على أفلاطون مذهب في عالم المادة وعالم المثال ويبين سوء أثره في الحياة ، ويقول انه يدعو الناس أن يهجروا عالم الحس الى عالم الخيال ، وأن يفروا من هذه الحياة . ويرى أقبال أن عالم المادة كائن لا ريب فيه ، وأن على الأنسان أن يقهره ويسخره ، ويجوزه الى مقاصده ، وأن في العمل لتسخير هذا العالم قوة النفس الانسانية وارتقاءها .

يبدأ أقبال هذا الفصل من أسرار خودى بقوله :

|                              |  |
|------------------------------|--|
| راهبُ الماضي أفلاط الحكيم    | «مذهبُ الشاء» تولّى في القديم <sup>١</sup> |
| طُرفه في ظلمة المعقول ضل     | في حزون الكون قد أعيا وكل <sup>٢</sup>     |
| فكره في «غير محسوس» فتن      | صد - عن كف وعين وأذن <sup>٢</sup>          |
| قال : في الموت بدا سر الحياة | وخمودُ الشمع يُعلَى من سناه                |
| ويقول في هذا الفصل أيضا :    |  |

عالم الأماكن للحى - وطن  
عالم «الأعيان» للميت سكن  
مُشفق راهبنا لا يُقدم  
في وغى العالم نِكس مُحجم  
قلبه يعيشو لنار خامده  
صوّرت يمناه دنيا هاجده  
ولا يتسع المجال هنا للقول في مذهب أفلاطون وتطوره الى مذهب أفلوطين من بعد ، وأثر هذا في المسيحية وفي بعض مذاهب الصوفية .  
وحسبنا أن نقول ان اقبالا يدعو الى ادراك الذات وتقويتها ، والى العمل الدائب ، والجهاد الذى لا يقتر . ويرى أن الحياة في العمل والجهاد ، والموت في الاستكانة والسكون . ويرى أن عالم المادة كائن لا خيال ،

(١) يعنى مذهب الفنان الذى بينه في الفصل المادى في قصة الاسود والغنم .

(٢) يعنى افعل ما يلمس ويرى ويسمع .

وأن عمل الانسان تسخير هذا العالم ، وفي الجهاد لتسخيره قوته وكماله .

وهذا مذهب يخالف مذهب أفلاطون والمذاهب التي تفرعت منه في  
جلتها وتفصيلها ، ومذاهب فلاسفة الهند . ويخالف التصوف غير الاسلامي  
أو التصوف العجمي كما يقول أقبال .

— ٨ —

### حقيقة الشعر واصلاح الآداب الاسلامية

بيئت آتفا أن أقبالا كتب أبياتا عن حافظ الشيرازي يذم مذهبه ،  
ويحذر الناس منه ، وأنه حذف هذه الأبيات بعد الطبعة الأولى ، وأثبت  
مكانها أبياتا في اصلاح الآداب الاسلامية .

استهل الشاعر هذا الفصل ببيان الأمل وأثره في الحياة ، صور هذا  
تصويرا بليغا جميلا كدأبه حين يتحدث عن الأمل في شعره .

ثم قال أننا نأمل ما هو حسن وجميل ، بل الحسن يخلق الأمل :

|                            |                         |
|----------------------------|-------------------------|
| كل خير وحسين وجميل         | هو في صحرائنا خير دليل  |
| يَطْبَعُ القلبَ على أشكاله | خالقا في القلب من آماله |
| يخلق الحسن ربيعَ الأمل     | وجهه يبدى بديعَ الأمل   |

ثم يقول ان الشاعر يدرك الجمال ويجلوه للناس ، ويزيد الجميل جمالا ،  
ويزيد الفطرة بهجة ، ويدعو الأمة الى الجميل ويحدوها اليه

فإن لم يكن في الشاعر هذا الإدراك ، ولم تشع في شعره الدعوة الى  
الحير والجمال والتغنى به وحفز الهمم اليه ، ساء أثره في أمته ، وحداها  
الى الهلاك



|                            |                                    |
|----------------------------|------------------------------------|
| يُلبس النفعَ ثيابَ الضريرِ | ويثرى الموت جميل المنظرِ           |
| شِدوهُ فينا يزيد الكللا    | كأسه فينا تزيد الملا               |
| سَيْلَ برقِ ماحوى نيسانه   | آلُ لونٍ وشذوى بستانه <sup>١</sup> |
| حُسنه بالصدق لا يعترف      | بحره ما فيه الا الصدف              |
| نوَّمت ألحانه يقظتنا       | أطفأت أنفاسه وقدتنا                |
| بَلبل للقلب سمَّ نغمه      | ضغث ورد فيه يثوى أرقمه             |

ويمضى في بيان أثر هذا الشاعر في أمته ، الى أن يقول :

خَسَّة في ذلَّة في شَموة

يأئس مستسلم للخبيثة

نوحه رُوحك منه في سقام      قد حمى أصحابه طيبَ المنام  
ويل عشق قد ذكا في الحرَم      ناره باخت بيت الصنم  
ولا شك أنه يعنى بهذا شعراء اللهو والمجون ، وشعراء اليأس  
والتشاؤم ، وشعراء العزلة والحلوة ، وشعراء الفناء والسكر من الصوفية .  
وهى الأبيات التى كتبها مكان أبيات ذكر فيها حافظا الشيرازى كما قدمت .  
وينتهى فى هذا الفصل الى دعوته دعوة الحياة والقوة والأمل والعمل .  
والهمة والاقدام ، يقول :

|                               |                         |
|-------------------------------|-------------------------|
| صير فى القول! ان تَبِع النجاة | فاجعل معياره شرع الحياة |
| نَيَّرَ الفكر يقود العملا     | مثل رعد بعد برق جلجلا   |
| بث فكرا صالحا فى الأدب        | ارجعن يا صاح نحو العرب  |
| وسئلى العرب يا صاح اعشقر      | أطلعن صبح الحجاز المشرق |
| فى ربيع الهند سرحت البصر      | وبروض العجم جمعت الزهر  |
| يممَّ البيد ، اشربن من حرّها  | وعتيق الراح خذ من تمرها |
| أسلكن رأسك يوما صدرها         | والقن فى حرّها صرصرها   |
| كم وطلت الورد فى طول المدى    | غاسلا كالورد خدا الندى  |

(١) بستانه سراب من اللون والريح - الال السراب . ونيسان (ابريل) من شهور الربيع .

فعلى رمل الصحارى المضرّم      أقدم النفس ، وغص في زمزم  
 فألام العشب بين الظلل      وألام النوح مثل الببل ؟  
 ابن عشا حيث لا تبني الأنوق      تختفي فيه رعود وبروق  
 لترى أهلا لعصار الحياة  
 وتذيب النفس في نار الحياة

— ٩ —

### مراحل تربية الذات

لتربية الذات مراحل ثلاث : الطاعة ، وضبط النفس ، والنيابة الالهية ،  
 فأما الطاعة فيضرب الشاعر فيها الجمل مثلا ، يسير بأثقاله صابرا في غير  
 ضوضاء . ويقول ان الطاعة تجعل في الجبر اختيارا ، وأن الانسان الحر  
 يسخر هذا العالم ولكن يقيد نفسه بالشرعة .

بامتثال الأمر يعلو من سفك      وهوى الطاغى وان كان الجبل  
 سخر الأفلاك في همته      وثوى في القييد من شرعته  
 قد سرى النجم يوم المنزلا      طوع قانون له قد ذكلا

\*\*\*

وأما ضبط النفس فيقول فيه اقبال مشبها النفس بالجمل أيضا :

جمل " نفسك تربو بالعلق      في آباء وعناد وصلف  
 فكن الحر وقدها بزمام      من حضيض تبلغن أعلى مقام

ويقول : ان الذى لا يحكم فى نفسه حرى أن يحكم عليه غيره .

ويرى أن ضبط النفس لا يكون الا بنفى الخوف والشهوات .

وان التوحيد المطلق ينفى عن النفس الاستكانة للمخاوف والمطامع .



من يمسك بعصا من «لا إله»      طينم الخوف تحطمه يده  
كل من بالحق أحي نفسه      ليس للباطل يحنى رأسه

\* \* \*

وأما المرحلة الثالثة من مراحل تربية الذات ، وهي النيابة الالهية ، فهي مرحلة يكون الانسان فيها مسيطرا على العالم ، مسخرا قوى الكون ، نافذا الحياة في كل شيء ، مجددا شباب كل هرم . يهب الحياة بأعجاز العمل ، ويجدد مقاييس الأعمال ، ويرد العالم الى الأخاء والسلام . هذا الانسان الذي يذكر القارىء بالانسان الأعلى في تعليم نطشه الفيلسوف الألماني وبالانسان الكامل الذي تحدث عنه بعض الصوفية كعبد الكريم الجليلى ، ذكره اقبال في مواضع كثيرة من شعره بوصف الرجل المؤمن « مرد مؤمن » وهو في العالم أمل وعمل ، واصلاح وعمران وسلام ووثاق ، لا تعجزه عقبة ولا تبعد عليه شقة .

وان الفطرة لتكد فكرها ، حتى تنظم مثل هذا الانسان في الحين بعد الحين .

يقول اقبال في هذا الفصل :

فطرة" علية" تبغى مظهرا      تنجلى من فكره مثل الزهر  
تتغى في الكون خلقا آخر  
تتضج الفطرة بالضرم      رن عود القلب من مضرايه  
غير هذا الكون أكوان" آخر  
يخرج الأصنام من بيت الحرم  
يقظ" بالحق ثومان" به      باعث" في الشيب ألحان الشباب  
ناشر في الكون ألوان الشباب  
هو جندي" وراع وأمير      هو في الناس بشير ونذير

مُحضّر من تحت طريف الزمان      حينما يمسك منه بالعنان

قسرّ الدنيا بتفسير جديد      عبّر الرؤيا بتعبير جديد

الى أن يقول مخاطباً هذا الانسان المرجو :  
ايه يا فارس طرف الزمن ايه يانوراً بعين الممكن

قم فسكن من ضجيج الأمم  
جدد دن في الناس قانون الأخاء  
واملاً الأذان حلوا النفسم  
وأدر بها كأس حب وشفاء  
أرجعن في الأرض أيام الوئام  
أبلغ الناس رسالات السلام  
لبنى الانسان أنت الأمل  
أنت من ركب الحياة المنزل  
أذبلت كفه الخريف الشجرا  
فاغد في الروض ربيعا نظيراً

\*\*\*

ويمضى الشاعر فيقص قصة الرجل الذى شكى الى الشيخ على الهجویری<sup>١</sup>  
احاطة الأعداء به ، وخوفه بأسهم ، فأجابه الشيخ مبيناً فضل العدو عليه  
بما يثير قواه الكامنة . ونصحه بنفى الخوف من نفسه ، واحكام همته وعزمه :

يوقظ الخصم قواك الهامدة  
قوة العزم تذيب الحجرا  
مثل ما تحيي الموات الراعدة  
ما يبالي السيل صخرا ان جرى  
تمتحن العزم قطع المنزل  
ما حياة دون عزم متحكم  
ماغتاء العيش مثل النعم ؟

وكذلك يقص اقبال قصة الطائر الظمان الذى حاول التقاط ماسة فلم  
يستطع ، ووجد قطرة ماء فالتقطها ، يضرب الماسة مثلاً للذات الناضجة  
المحكمة ، والقطرة مثلاً للذات النيئة الضعيفة .  
ثم يقص قصة الماس والفحم مثلاً للذات القوية والذات الضعيفة كذلك .

(١) احمد كبار الصوفية له كتاب بالفارسية اسمه كشف الحجاب : ومزاده في لاهور مقصد

الزائر من أرجاء الهند .

(٢) العقاب جمع مقبة .



وينتقل الى قصة أخرى فيها شكوى ناسك هندي الى شيخ مسلم أته  
فكر في أقطار الأرض والسماء ولم يهتد الى ما يطمئن اليه ، وتصح  
الشيخ اياه بأن ينزل الى الأرض مفكرا في نفسه وعيشه ويدع آفاق  
السماء . ويبيّن له الشيخ ان في التمسك بالسنن ، ولو كانت سنن  
الكفار ، قوة للأمة واجتماعا .

ثم يضرب مثلا محاوراة بين جبل هيمالة ونهر جَنجَا ،  
ويقول على لسان النهر للجبل : ماجدوى الوقار والرفعة وأنت محروم من  
السير . انما الحياة سير متصل ووجود الموج في تحركه :

صاغك الله نجية للسماء      وحمىٰ رجلك سيرا في الفضاء  
قيدت رجلك عن سير فما      هيئة فيك ورأس " قد سما ؟  
انما العيش مسير ووصلا      وحياة الموج أن ينتقلا

فأجابه الجبل :

ان هذا السير فيه الحين لك      من يزُل عن نفسه يوماهلك  
انما العيش نمو في المكان      وبروض «الذات» قطف الأقحوان  
أنت تفنى في خضم خضم      وقلالي مسجد للأنجم  
وبعيني ضياء سرّ الفلك      وبسمى طيران الملك  
صخر قلبي، ونارى في الصخر      ليس للماء الى نارى ممر

— ١٠ —

مقصد حياة المسلم اعلاء كلمة الله . والجهاد للاستيلاء على الارض حرام  
لا تظهر الصلة بين هذا الفصل والفصول السابقة لطول الاستطراد  
وكثرة الأمثال . فليذكر القارىء ان هذا الاستطراد وذلك التمثيل عقيب  
الكلام في النيابة الالهية . وقد وصف الشاعر نائب الحق بأنه خليفة الله  
في الأرض ، الى أوصاف أخرى كثيرة . فلما بلغ الغاية من البيان والتصوير

— ٨٦ —

رجع يبين أن هذا السلطان الذي يناله المسلم الحق ينبغي أن يكون لاعلاء  
الحق لا لفتح البلاد وقهر العباد .

يقول اقبال أول هذا الفصل :

انما المسلم بالحب قهر  
غض للحق ، وللحق نظر  
مسلم لا حب فيه قد كفر  
وله في الحق نوم وسهر

في ربي التوحيد أرسى العمسدا  
وعلى الناس جميعا شهدا

وعليه يشهد الداعي الأمين  
شاهد "أصدق كل الشاهدين

امى أن يقول ان الحرب ان أردت بها صلاح الناس فهي خير . وان  
رمت بها مالا أوجاها فهي شر .

خير " الحرب اذا رمت الالاه  
فاذا لم يعمل حقا سيفنا  
شر " الحرب اذا رمت سواه  
اكتسى بالحرب عارا جندا

\*\*\*

ثم قص قصة الشيخ ميانمير أحد كبار الصوفية ، اذ زاره أحد سلاطين  
الهند . وكان السلطان مولعا بالحرب والفتح . وبينما السلطان يلتبس  
من الشيخ أن يدعو له بالنصر ، تقدم أحد المريدين الى الشيخ بدرهم  
قائلا : كسبت هذا بكدي ، وألتبس من الشيخ أن يقبله منى . فقال  
الشيخ للمريد : أعط هذا الدرهم سلطاننا . فهو أفقر الفقراء ، وأحرص  
الناس على الاستجداء . كم أخرج بلادا وقتل عبادا ليشبع . قد بطش  
جوعه بالخلق ، وأهلك الحرث والنسل .



### نصيحة ميرنجات النقشبندی لسامى الهند

لا يميز القارىء في هذا الفصل كلام ميرنجات من كلام اقبال • ولعلها كلمة موجزة أثرت عن الشيخ فبنى عليها اقبال هذا الفصل الرائع فكرا وشعرا •

يقول اقبال في هذا الفصل :

أن سرّ الحياة أن يفوص الانسان في نفسه ثم يبرز منها كما تفوص القطرة في البحر فتصير لؤلؤة ، وأن يجمع الشرار تحت الرماد فيصير شعلة تبهر الأبصار ، وأن الحياة أن تجعل نفسك حرماً لنفسك ، وتبرأ من الطواف حول غيرك •

هذه المعاني كررها اقبال كثيرا في شعره • هو يرى أن تقوى الذات ، ويرى أن قوتها بأن تعرف نفسها ، وتجمع قواها • وقد ضرب مثلاً باختفاء القطرة في البحر ، والشرار تحت الرماد ، قبل أن تصير القطرة لؤلؤة ، والشرار شعلة •

ثم يقول :

طيرٌ وحرر نفسك من جذب التراب ، واحفظها من الهوى الى الأرض ثم ينقل عن جلال الدين الرومى قوله :

ان العلم اذا اتصل بالجسم فهو عدو ، واذا اتصل بالروح فهو صديق •

ويستطرد الى القصة المعروفة في سيرة جلال الدين ، قصته هو وشمس الدين التبريزى ، اذ جادله شمس الدين في جدوى الفلسفة والعلوم التى كان يعلمها جلال الدين • واشتد الجدل بينهما كل يفند صاحبه •

فهاج شمس الدين وألقى نظرات على كتب جلال فاذا هي تحترق .  
وتبع جلال الدين شمس الدين فاقلب صوفيا اماما ، وكتب كتابه  
الخالد « المثوى » وديوانه الرائع الذى نسه الى صاحبه فسمّاه ديوان  
شمس تبريز .

ثم يمضى اقبال بعد القصة قائلا :

انما يكمل علم المسلم بحرقة القلب ، وان معنى الاسلام ترك ما يأفل .  
ان ابراهيم حينما ترك الآفلين ، لم تحرقه النار ١ .

اطلب ماء الحياة من بريق الخنجر ، ومن فم التتين ماء الكوثر ، ولا تبغ  
حرقة العشق فى علم العصر ، لا تطلب لذة الحق من كأس هذا الكافر .

ان هذا العلم هو الحجاب الأكبر ، يصنع الأصنام ويبيعها ويعبدها .  
وهو فى قيد الظواهر ، لم يستطع الخلاص من حدود الحس . وقد عثر فى  
طريق الحياة ، ووضع خنجره على حلقه . ان فيه نارا ولكنها باردة  
كالشقائق ٢ .

الى أن يقول فى اهمال المسلم نفسه ، وتقليده غيره :

ان مخفل المسلم احترق بسراج غيره ، ومسجده اشتعل من شرار الدبر .  
قد أجفل من سواد الكعبة كالظبي ، فمزقت جنبه أسهم الصياد . ان  
كعبتنا عامرة بأصنامنا ، وان الكفر ليضحك من اسلامنا . وان شيخنا

---

(١) اشارة الى قصة ابراهيم حين نظر الى كوكب والقمر والشمس فوجدها كلها تأفل . فقال

« لا احب الآفلين » وآمن بالله الواحد .

(٢) بمعنى شقائق النعمان ، فيها حمرة النار لا حرها .



قامر بالاسلام في عشق الأصنام ، واتخذ خيط مسبخته من الزنار . هو  
في سفر دائم مع مردييه ، وفي غفلة عن حاجات أمته . الوعاظ والصوفية  
عبدوا المناصب ، وأضاعوا حرمة الملة البيضاء . واعظنا الى بيت الصنم  
ناظر ، ومفتينا بالفتوى يتاجر .

— ١٢ —

### الوقت سيف

ويستمر الشاعر في بيانه وقصصه وتمثيله ، حتى يعقد هذا العنوان .  
« الوقت سيف » . فيثني على الإمام الشافعي الذي أثرت عنه هذه  
الكلمة . ويبين الشاعر مذهبه في الوقت وقد أجمله في كتابه الى الأستاذ  
نكلسون الذي قدمنا ترجمته<sup>١</sup> . ويقول في هذا الفصل : ان الانسان توهم  
الوقت خطأ ممدودا ، وقاسه بالليل والنهار . فوقع في شباك الوقت .  
والحق أن الوقت هو الحياة ، هو الأمل والعمل والسير والدأب .

|                             |                                  |
|-----------------------------|----------------------------------|
| كان هذا السيف في كف الكليم  | فشأى التدبير بالفعل القويم       |
| شق صدر البحر لمع القبس      | صير القلزم مثل البيس             |
| وبهذا السيف يوم الخطر       | زلزلت خير كف الحيدر <sup>٢</sup> |
| ممكن ابصار دور الفلك        | وتوالى صبحه والحلك               |
| يا أسير اليوم والأمس انظرا  | انظرن في القلب كونا آخر          |
| أنت في النفس بذرت الباطلا   | وحسبت الوقت خطا طائلا            |
| وذرعت الوقت طولا ، للشقاء ، | بذراع من صباح ومساء              |
| واتخذت الخط زنارا فما       | كنت في الباطل الا صنما           |
| اقطع الزنار حرا لا تهن      | شعنة في محفل الأحرار كن          |

(١) انظر ص ٥٨

(٢) الحيدر على بن ابي طالب ، والاشارة الى ماثره في فتح خيبر .

ايه يا غافل عن سرّ الزمان  
 كم تثرى في أسر صبح ومساء  
 من مسير الوقت كلّ يظهر  
 ما من الشمس زمانى يوجد  
 وبه الشمس أضاءت والقمر  
 قد بسطت الوقت بسطا كالمكان  
 وقتنا من قلبنا يزدهر  
 هو من صبح منير أنور  
 الحياة الدهر يا من عرفا  
 كيف تدرى ما خلود الحيوان  
 «لى مع الله» بها الوقت أضاء ٢  
 والحياة السرّ منه يبهر  
 تلك تفتى وزمانى يخلد  
 وبه فى العيش ماساء وسرّ  
 وفرقت اليوم من أمس الزمان  
 ليس فيه أول أو آخر  
 هو فى الحى حياة يزهر  
 «لاتسبوا الدهر قول المصطفى ٢

ثم يمضى الشاعر فى بيانه فيقول : ان الفرق بين الحر والعبد أن الحر  
 يحتوى على الزمن ، والعبد يحتوى عليه الزمن . فالحر يتصرف لا يحد  
 عمله يوم وغد ، ولا نهار وليل ، ولا يعتل بحكم الزمان . وللعبد تعلات  
 من حدود الزمان وأحكام الوقت . وحسبى من أبيات كثيرة هذه الأبيات :

نسج العبد عليه كفنا  
 وترى الحرّ على التثرّب علا  
 فطرة العبد حصول الحاصل  
 فى مقام من همود راكد  
 ومن الحرّ جديد الحلقة  
 قيّد العبد صبايح ومساء  
 وأرى الحرّ مشيرا للقدر  
 من صبايح ومساء ، مذعنا  
 ناسجا هيمته فوق الملاك  
 ليس فى أفكاره من طائل  
 نوحه ليلا وصبايح واحد  
 كلّ حين وجديد النعمة  
 وثوى فى فمه لفظ القضاء  
 صورت كفتاه أحداث الدهر

(١) الحيوان الحياة . وفى القرآن الكريم : « وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون »  
 (٢) اشارة الى حديث يرويه الصوفية : « لى مع الله وقت لا يسمعى فيه نبى مرسل ولا  
 ملك مقرب » .

(٣) اشارة الى الاثر المروى : لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر .

(٤) الملا واحد اللوين . وهما الليل والنهار .



سرّ غيب وحضور ، في القواد رمز وقت ومرور ، في القواد

— ١٣ —

### دعاء

ويختتم اقبال هذه المنظومة بدعاء يسأل الله فيه أن يهب المسلمين العشق وحرقة السعى . ويشكو من نار تشتعل بين جنبيه ويضرع الى الله أن يهبه نجياً يتلقى عنه دعوته ، ويدرك أسراره ، أو يسلبه هذه النار التي تضطرم في صدره .

## الفصل الثالث

### المنظومة الثانية

#### رموز نفى الذات (رموز بي خودى)

بنى اقبال فلسفته على الذات . ودعا الى اثباتها وتربيتها وتقويتها ، كما يرى القارىء في الخلاصة التي قدمتها من منظومة «أسرار الذات» ، عنى الشاعر في هذه المنظومة (أسرار خودى) بالاعتراف بالفرد ، والايمان بقواه الكامنة ، وبما تفعل هذه القوى في هذا العالم اذا أثرت .

ثم أكمل اقبال فلسفته بالتأليف بين الفرد القوى - ، أو الذات الكاملة ، وبين الجماعة التي يعيش فيها .

يرى اقبال أن الذاتية أو الفردية أساس العالم ، وأن الخير كل الخير في تقوية ذات الانسان ، واستخراج ما في فطرتها من قدرة . وكذلك يرى اقبال أن هذه الذات لا تربي وتكمل الا في الجماعة ، وأن عمل الجماعة أن تمكن الفرد من بلوغ كماله باظهار كوامن فطرته ومنتهى قدرته .

فالمنظومة الأولى تتناول الذات وتربيتها ، ولا تخلو من كلام عن صلة

— ٩٢ —

الفرد بجماعته • فأن عسيرا أن يفصل الباحث أو الشاعر بين الموضوعين  
فصلا تاما •

والمنظومة الثانية تعالج الموضوع الثاني : الجماعة ، نظامها وكمالها ،  
وتنشئة الفرد فيها • ولا يخلو كلامه في هذا من كلام في الذات كذلك •

والى القارىء خلاصة هذه المنظومة « رموز بى خودى » :

يبدأ المنظومة بتمهيد في ارتباط الفرد والأمة • ثم يعقد الفصول الآتية:

١ - الأمة تنشأ من اختلاط الأفراد ، وكمال تربيتها بالنبوة

٢ - أركان الأمة الاسلامية :

١ - الركن الأول التوحيد •

ويستطرد في بيان التوحيد الى فصول أخرى :

أن اليأس والخوف والحزن أممات الخبائث ، وقاطعات

الحياة وأن التوحيد يزيل هذه الأمراض الخبيثة •

ويعقد الشاعر فصولا آخر للتمثيل •

ب - الركن الثانى الرسالة • وفى هذا العنوان فصول منها :

- أن مقصد الرسالة المحمدية الحرية والمساواة والأخوة بين

بنى آدم • ويقص فى هذا الفصل قصصا شتى •

- وأن الأمة المحمدية مؤسسة على التوحيد والرسالة فلا

يحددها مكان

- وأن الوطن ليس أساس الأمة •

- وأن الأمة المحمدية لا يحددها زمان • ودوامها موعود

- وأن نظام الأمة لا يكون بغير القانون • وقانون أمة

محمد القرآن •

- وأن تضح الأمة باتباع الشريعة الالهية •



- وأن حسن سيرة الأمة بالتأدب بالآداب المحمدية .
- ٣ — حياة الأمة تقتضى مركزاً محسوساً . ومركز الأمة الإسلامية الحرم .
- ٤ — الاجتماع الحقيقى لا يكون الا بمقصد يقصد اليها . ومقصد الأمة المحمدية حفظ التوحيد ونشره .
- ٥ — توسع حياة الأمة بتسخير قوى العالم . وكمال حياة الأمة أن تحس ذاتها كما يحس الفرد . وينشأ هذا الاحساس ويكمل بحفظ سنن الأمة .
- ٦ — بقاء النوع بالأمومة . وحفظ الأمومة وتبجيلها من قواعد الاسلام
- ٧ — السيدة فاطمة الزهراء أسوة كاملة لنساء الاسلام
- ٨ — خطاب الى المسلمات .
- ٩ — خلاصة مطالب المنظومة فى تفسير سورة الاخلاص .
- ١٠ — مناجاة المصنف الرسول الذى بعث رحمة للعالمين .
- وأعبر مع القارىء هذه الفصول عبثاً موجزاً كل الايجاز :

#### التمهيد فى ارتباط الفرد والجماعة

يبين الشاعر العروة الوثقى التى تربط الفرد بجماعته، يبين أن الفرد مرآة الجماعة ، والجماعة مرآة الفرد . وهما كالجواهر والسلك ، وكالنجوم والمجرة . الجماعة تنتظم بالأفراد . والفرد يقوّم فى الجماعة .

ثم يقول ان الفرد يغفل عن المقاصد ، وتنتشر قوته ، فتعلمه الأمة ضبط النفس ، وتقيده بالقانون لتحرره .

|                           |                         |
|---------------------------|-------------------------|
| فإذا الواحد فى الجمع اتمى | فهو كالقطرة صارت خضراً  |
| جمع الماضى له فى حسنه     | والتقى الغابر والآتى به |
| وصلة الغابر والمستقبل     | وقته من أبد أو أزل      |
| هو بالأمة قلب طامح        | وهو بالأمة سعى راجح     |
| روحه من قومه ، والبدن     | سره من قومه والعكن      |

ويمضى الى أن يقول : ان الفرد غلط فلم يبيّن اثبات الذات من نفى

الذات • ويبيّن له قيمة الذات وقوتها ، وكيف تتجلى من خلوتها فاذا هي  
مقسّمة في الجماعة عاملة فيها •

\*\*\*

— ١ —

الامة تنشأ من اختلاف الافراد وكمال تربيتها بالنبوة

يبين كيف تنتظم الجماعة من الأفراد ، كما يجذب النجم النجم ،  
ويستحكم الكوكب بالكوكب •

ويقول ان الجماعة تسير سادرة غافلة ، بالمقاصد جاهلة ، لا تتجلى  
قدرتها ، ولا تشهد عزيمتها ، حتى يبعث الله فيها هاديا :

|                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| عازف " لحن حياة ينفث " | فاذا الطين حياة " تبعث |
| ينشر الأنفس منه نفس    | وبكأس منه بزهو مجلس    |
| شقة تحيي وعين تجذب     | وحد الاثنين هذا الطلب  |
| فترى الأمة منه سائرة   | في لهيب منه حرّى نائرة |
| شرر في قلبها يشتعل     | فاذا الطنسة منها شعل   |

ويأتي هذا الهادي الى العقل فيحبوه ويكسوه ويمدّه ، وينفخ النار  
في موقده الهامد ورماده الخامد • ويحرر الناس من عبادة الاوثان والبشر  
ويعبدهم للقانون والسنن :

|                         |                      |
|-------------------------|----------------------|
| ويقك العبد من أغلاله    | ويجير القس من أقياله |
| صائحا أن لستَ عبدا لأحد | حرّرك نفسك لله الصمد |

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| يجعل الشرع قيادا في اليد | يجذب الإنسان شطر المقصد |
| نكتة التوحيد بوحيا اليه  | أدب الطاعة يمليه عليه   |



## اركان الامة الاسلامية

### ١ - الركن الأول التوحيد

هو الأكسير الذى يُحيل التراب ذهاباً ، والسرّ الذى يتجلّى منه الدين  
والشرع والحكمة والقوة والسلطان . وهو الدواء الذى يُعيت الخوف  
والشك ، ويحيى العمل والأمل . ويقهر كل صعب ويذل كل عقبة .  
كلمة التوحيد هى الروح فى أمتنا ، وهى اللحن فى عودنا . وبها الحياة  
وبها القوة :

هو قلب ان حواها حجرٌ      كلُّ قلب لم تنرّه مدرٌ  
قد أضاء القلب من وقدها      واستشاط الكون من آهتها

ويمضى الشاعر مبيّناً كيف جَمع الناس التوحيد . وسوّى بين الأبيض  
والأسود . الى أن يقول : أن أمتنا قائمة بالتوحيد لا بالنسب ولا بالوطن .

أمم قد عبّدت أوطانها      وبنّت من نسب بنيانها  
أترى الأوطان أصل الأمم  
تعبّد الأرض بها كالصنم ؟

هذه الأنساب فخر السفهاء      حُكمتها فى الجسم ، والجسم هباء  
ولنا فى الحق أسٌ آخر      هو فى الأبواب منّا مضمّر  
قد خلصنا من حدود وقيود      قلبنا فى العيّب اذ نحن شهود  
ثم يتكلم اقبال عن الخوف واليأس وأثرهما فى الحياة ويضرب فى هذا  
المثل بعد المثل .

\*\*\*

ب - الركن الثانى الرسالة

يبين في هذا الفصل أن الرسالة تجمع أشتات الأفراد وتنظم منها الأمة . فتوحّد كثرتها ، وتحكم ألفتها ، ويقول : ان المسلمين من الرسالة في دائرة مركزها الحرم ، ومحيطها غير محدود . ويبين كيف يربط الكتاب الحكيم بعض المسلمين ببعض الى أن يقول :

قد هداانا الحقّ هذا المرسلُ      في سبيل الحقّ نحنُ الشُعَلُ  
بحرّه أخرج هذا الجوهرا      نحن رُوح واحد بين الوري  
ختم الله علينا شِرعته      وعلى المرسلِ فينا بعثته  
مَحفلُ الأيامِ منا يُنظّم      ختمِ الرُّسلِ بنا والأُمم

\*\*\*

ثم يمضى اقبال في بيانه عن الرسالة حتى يضع هذا العنوان :

« مقصود الرسالة المحمدية المساواة والحرية والاخوة بين بنى آدم »

فبيّن كيف كان الانسان عبدا للملوك والقسيسين من النصارى والمجوس والبراهمة . حتى بعث الرسول صلوات الله عليه ، فأعطى كلّ ذى حق حقه ، وحرّر الناس ورفع عنهم الآصار ، ووضع عنهم الأغلال .

قوة هدت قديما الصوَر      شيّدت حصنا جديدا للبشر  
أشرق الكون بها في الظلم      كعبة شادت بيت الصنم

ويضرب مثلا في الأخوة الاسلامية ، قصة القائد الفارسى الذى أسر فاستأمن أسرّه فأمنه ، وهو يحسبه جنديا من الجنّد . فلما تبين أنه قائد أراد الجنّد قتله .

فقال قائد المسلمين أبو عبيد الثقفى : « لقد أمّنه واحد منا . ونحن



سواء » • وهى السنة التى سار عليها المسلمون وجاء فيها الحديث .  
« المسلمون تكافأ دماؤهم وبسعى بذمتهم أدناهم » •

ثم يقص الشاعر قصة أخرى : غضب السلطان مراد العثمانى على  
مهندس بنى له مسجدا فلم يعجبه • فضربه فقطع يده • فسار المهندس  
الى القاضى فدعا السلطان ، وحكم عليه بالقصاص • فتقدم السلطان  
خاشعا خائفا ماداً يده للقطع • فعفا عنه المهندس •

وينتهى الشاعر الى عنوان آخر :

### الامة المحمدية مؤسسة على التوحيد والرسالة

#### فلا يحدد مكانها

|                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| لا ترى المسلم يحويه عطن  | تأيه في قلبه كل وطن      |
| حصل القلب فقى وُنعته     | ضل هذا الكون في فسحته    |
| عقدة الأقوام حل المسلم : | هجّر الدار النبىء الأعظم |
| أمة ملء البرايا أسسا     | وضع التوحيد فيها أسسا    |
| أسبغ الفضل علينا وهدى    | سائر الأرض جميعا مسجدا   |

ويعقب هذا العنوان عنوان آخر :

### الوطن ليس اساس الامة

قول فيه أن العصبيات الوطنية قطعت أرحام الأمم • ويبين كيف هجر  
النصارى دين عيسى « وتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب با لدبهم  
فرحون » •

ويذكر مكيا فى الايطالى وأثره فى سياسة أوروبا الى أن يقول :  
جعل الملك الاها دينه كل قبيح ناله تحسينه  
وزن الحق بربح وجدى ولدى الملك خوعا سجدا  
سائر الخيلة فتا محكما فزها الباطل ممّا علما

ثم يثت الشاعر هذا العنوان :

### الامة المحمدية ، ليس لها نهاية زمانية

فيُيَسِّن ، كما ييسن من قبل ، أنها أمة لا تفضى ، لأنها قائمة على أصول  
خالدة لا ينال منها تقلب الزمان ، وكرور الأيام •

ثم يبين ما أصاب المسلمين من مصائب ، ويذكر فتنة التتار ويصف  
أهوالها • ثم يقول : ولكن المسلمين سلموا من هذه النار كما سلم الخليل •  
بادت الأقوام ، وفنيت الأجيال • وثبتت الأمة الاسلامية على الخطوب  
الجسام ، والحوادث العظام

أمة الاسلام تبقى أبداً      وأدان الحق فيها خلدنا  
أحيت العشقَ قلوب تُسعِر      شبَّها من « لا اله » الشرر

ويمضى الشاعر الى هذا العنوان :

### لا تنتظم امة بغير شريعة • وشريعة الامة الاسلامية القرآن

فيبيِّن أثر النظام في الأمم ، وفي النبات والجماد وغيرهما بياناً موجزاً  
قائلاً :

من نظام الصوت تبدو النغمة      وهو من دون نظام ضجَّة  
انما في الحلق موج من هواء      يعلّق النظم به فهو غناء  
صاح هل تعرف مادستورنا ؟      كيف في الدهر مضى تدييرنا ؟  
الكتاب الحى والذكر الحكيم      حكمة في الدهر تبقى لاتربم  
نسخة الأسرار من هذه الحياة      يستمد الضعف أيندا من قواه  
قوة فيه تشد الحوراً      وبها يرمى الزجاج الحجر

\*\*\*



الى أن يقول :

الذي يُصدع منه الجبل وعلى الأفلاك منه وجَل  
ذلك ينبوع من آماننا قد حواه الصدر من أطفالنا

ويذكر اقبال المسلم العربي الذي ربّاه القرآن حتى :

شمل الدنيا جميعا عدته عرشَ جَمٍّ وطئته رجله ١  
مُدناً قد شيّدت هَبّوته ورياضا أنبتت وردته

ويصل هذا الفصل بآخر يشبهه عنوانه :

### نضج سيرة الامة من اتباع الشرع الالهى

فبين دعوة الاسلام الى القوة . وتقوية المسلم بالشرعية .  
ويقول ان الشرع يريدك حين الحرب ، شعلة تذيب الصخر . ويمتحن  
قوتك بالصعاب ، ويضع في طريقك العقاب ، ويقول لك انسف الطود  
بعزمتك ، واسحقه بضربتك . ويهيك بالعمل عسبا من حديد .

ويمضى قائلا : ان المسلم القوي الذي نشأته الصحراء ، وأحكمته  
رياحها الهوجاء ، أضعفته رياح العجم ، فصار فيها كالنأى نحولا ونواحا ،  
وأن الذي كان يذبح الليث كالشاة ، تهاب وطء النملة رجلاه ، والذي كان  
تكبيره يذيب الأحجار ، انقلب وجلا من صفير الأطيّار . والذي هزى  
عزمه بشمّ الجبال ، غل يديه ورجليه بأوهام الانكال . والذي كان ضربه  
في رقاب الأعداء ، صار يضرب صدره في اللأواء ، والذي نقشت قدمه

(١) جم : جمشيد من ملوك الاساطير الفارسية

على الارض ثورة ، كسرت رجلاه عكوفاً في الخلوة ، والذي كان يمضى  
على الدهر حكمه ، ويقف الملوك على بابه ، رضى من السعى بالقنوع .  
ولذله الاستجداء والخنوع .

ويلى هذا فصل عنوانه :

### حسن سيرة الامة من التادب بالآداب المحمدية

ويقص في هذا الفصل القصة التى أجملتها حين الكلام على والد اقبال ٢  
قصة السائل الذى آذاه اقبال ، فحزن والده لما رأى ووعظ ابنه واشتد  
في تأنيبه .

ويزيد على ما أسلفت فى ذلك الفصل قوله على لسان والده :

« ان فطرة المسلم الرحمة ، وللرحمة يده ولسانه فى هذه الدنيا . وان  
الرسول بعث رحمة للعالمين ، فأنبأ بعدت عن سنته فليست مناً .

أنت طائر فى بستاننا ، تغرّد بتغريدنا . فان تكن ذا نعمة ففى بستاننا  
فقتن بها . كل حى تهلكه العناصر المضادة . فان تكن بلبل ففى الروض  
طيرانك وتغريدك ، وان تكن عقاباً ففى الصحارى مسرحك ومصيدك .  
وان تكن كوكباً فأضىء فى حياكك ولا تحدد عن أفلاكك .

الى أن يختم الفصل بقوله :

ان طينة المسلم الطاهرة لؤلؤة ، من بحر النبى ماؤها ولألاؤها . فياقظرة

(٢) ص ١٧ من هذا الكتاب



نيسان غوصى في بحره ، ثم اصعدى درة من درمه<sup>١</sup> وكونى في الدنيا أضوا  
من الشمس ، وليدم ضوءك على الدهر أبدا »

ثم انظر خلاصة الفصل الذى عنوانه :

— ٣ —

### حياة الامة تقضى مركزا محسوسا ومركز الامة الاسلامية الحرم

يبدأ الفصل قائلا : أحل لك عقدة من أمر الحياة وأنبئك بسر الحياة •

ويصف الحياة في فرارها وقرارها ، الى أن يقول :

ان الحياة طائر لا عش له • انها ليست الا الطيران • انها طائر طليق وفي  
القفص حبيس ، يخلط تغريده بنواحه • الحياة تعقد العقد في أمورها ، ثم  
تحل ما انعقد بتدبيرها •

ان الحياة السريعة تقيد قدمها في الطين ، لتزيد لذة نمائها وسيرها كل  
حين • وان في حرقتها ألحانا لا تنفد ، وان وليد يومها الأمس والغد •  
هى كالرائحة حركة لا تقرر ، ولكن تسكن الصدر فتصير تقسا حيا •

عقد الحياة فيها ورق وثمر كالحبة ، تفتح عينها على نفسها فاذا هى  
شجرة • وتلبس الحياة خلعة من الماء والطين ، فاذا هى حواس مدركة • «  
يعنى أن الحياة وهى دائبة السير والتقلب لا تتجلى الا فى صورة ثابتة  
محدودة • ويقول بعد :

---

(١) يزعم القدماء ان قطرات مطر نيسان ( ابريل ) تنزل فى الامصار فتطبق عليها حتى  
تصير لؤلؤة

كذلك سنّة ميلاد الأمم ، أن تجتمع الحياة في مركز • المركز من الدائرة  
كالروح من الجسد ، أن خطّها مضمرّ في نقطتها •

بالمركز انتظام الأقوام ، وبالمركز يقدر لها الدوام • وان سرّنا في الحرم،  
وفيه بكاؤنا وغناؤنا لاجرم :

بستاننا من نداء زاهر ، وزرعنا من زمزمه ناضر • وبه علا في الدنيا  
صوتنا ، ووصل قديمتنا حديثنا • ان التمام الملة البيضاء من الطواف  
بالحرم • به توحدت كثرتنا . واستحكمت بقيد الوحدة عزيزتنا «

ان الاجتماع روح الأمم ، والاجتماع هو السرّ في هذا الحرم •

ثم يضرب الشاعر مثلا باليهود تقطعوا في الأرض حين فقدوا المركز •

ويختم الفصل قائلا :

ياشاكيا جور الزمان ، ويا أسير الوهم والحسبان ! اجعل قميصك ثوب  
الأحرام ، وأطلع الصبح في هذا الظلام • واستغرق كآبائك في السجود ،  
حتى تكون سجدة للواحد المعبود • ان المسلم الأول خضبع للخلاق ،  
فسيطر على الآفاق • ومشى على الشوك في سبيل الحق ، فأثبت الورد  
في الغرب والشرق •

— ٤ —

الاجتماع الحقيقي بالسعى الى المقصد

ومقصد الامة المحمدية حفظ التوحيد ونشره

يبدأ الفصل قائلا :

أعلمك لغة الكائنات . ان أعمال الحياة حروف واضحة وكلمات •



ويبين الشاعر أثر المقصد في الأمة كما بيّن أثر المقصد في الواحد في كتاب أسرار خودى . فيقول ان مقصد الحياة سر بقائها ، وبه يأتلف ماتفرق من قواها . واذا تنبّهت الحياة مفسدها ، وجّهت أسباب العالم اليه . وتوجهت نحوه تجنى وتنتقى وترد . انما هام قيس في الصحراء ، من أجل محمل ليلي . وقد هجرنا الصحارى حين سكنت ليلانا المدائن .

واقبال معجب بالصحراء رياحها وشمسها ، وسعتها ، والضرب في ارجائها يرى فيها قوة النفس ، ومضاء العزم

ثم يقول :

ان المقصود هو روح العمل ، يستمد كل عمل منه كيفه وكمه .  
فلتكن كالمجنون هياما بمقصدك ولتطف بهذا الشمع كالفراش<sup>١</sup> ان  
من يغفل نفسه واحدا يبعد عن المنزل ألف فرسخ .

\*\*\*

ثم يقول ماقال قبلا : ان الكون يعمل جاهداً حتى يبلغ مقصداً من مقاصده . فهو يغرس ألف مقصبة ليظفر بأثة من ناي<sup>٢</sup> . وكم صور ورمى وكسر حتى أثبت صورتك في لوح الحياة . وكم بث ثواحا في النفس حتى صعد صوت أذان . وكم حارب الأحرار ، ونصر الأشرار ، وبذر الايمان في طين الانسان حتى قرأ على لسانك كلمة التوحيد .

وهنا يبلغ ماقال في العنوان أن مقصد الأمة المحمدية حفظ التوحيد

---

(١) يشير الى قصة مجنون ليلي

(٢) الناي يتخذ من قصب . فالطبيعة تثبت الف مقصبة حتى تخرج نايًا واحداً

اي أن الرقى والكمال فيها صعب بطيء

ونشره . فبين خطر التوحيد وقيمه ويقول انه مركز دوران العالم ،  
ومنتهى أمره - الى أن يقول :

ان نعماته كامنة في موسيقى الكون ، وان هذه الموسيقى تنتظرك أيها  
العازف ... ان في دمك مئات الالحن ، فهيّا فاضرب على أوتارها ...  
فأن في التكبير سر كيائك ، وحفظ « لا اله » ونشرها مقصود حياتك .  
ويفيض اقبال في بيان تبعة المسلم في اعلاء الحق ، وأن دين الاسلام قرين  
الحياة ، ولا تكون الحياة الا به . الى أن يقول :

ان فكر الانسان ناحت صنم ، وعابد صنم . يخلق في كل زمان  
صنما . وقد جدّد اليوم لنفسه أوثانا من اللون والنسب والوطن .

وان الانسانية ذبحت على أقدام هذه الاوثان . فهيّا ياربيب التوحيد !  
وامح بسيف التوحيد هذا الباطل اللابس ثوب الحق .  
ويختم الفصل بقوله :

انى لأرعد من خزيك يوم يسألك الرسول . قد أخذت منا كلمة الحق،  
فلماذا لم تسلّمها الى الخلق ؟

— ٥ —

ويمضى الشاعر الى فصل عنوانه :

توسيع حياة الامة بتسخير قوى العالم  
وكمالها ان تحس نفسها كالفرد وتحفظ سننها

يقول ان هذا العالم مسخّر للانسان ، وان للانسان فيه جهادا ، وأن  
لذة الانسان وكماله في هذا الجهاد . ومن سخّر المحسوسات فقد أنشأ



علما من ذرّة • ان الجبال والصحارى والبحار لوح لأرباب النظر • أيها  
النائم بالأفيون ، والمحتقر عالم الأسباب • افتح عينك ، واعرف قدر  
هذا العالم • ان غايته توسيع « ذات » المسلم وامتحان ممكناته • ان  
الزمان يضربك بسيفه ، ليشعرك ان فى بدنك دما •

وان الله جعل هذه الدنيا نصيب الاخيار ، وجلا محاسنها لعين المؤمن •

هذه الدنيا طريق للقافلة ، هذه الدنيا امتحان لقوة الايمان • فسخرها  
لثلاث سخرتك •

ان فكر الانسان يسبح فى العالم ليسخر قواه ، ويتصرف فيه فنون  
التصرف • فاركب الهواء ، واصدع الجبال ، واستخرج اللؤلؤ من البحار •

ان فى هذا الفضاء مائة عالم ، وان شموسا كامنة فى كل ذرّة : فأظهر  
الأسرار ، واكشف الحفايا للانظار • ان هذه النجوم ثابتها وسيارها ، هذه  
التي اتخذها القدماء آلهة ، ليست الا عبيدا خاضعة لك ، مسخرة لأمرك

الى أن يقول :

ان القطرة التي تدرك نفسها ، تنقلب فى عروق الكرم خمرا ، وعلى أوراق  
الورد ندى ، وفى قاع البحر در •

ويختم الفصل قائلا :

يامن عى حماره فى طريق الحياة ، ومن غفل عن معركة الحياة ! قد بلغ  
المنزل رفاقك ، وأنزّلوا ليلى من محلها • وأنت كقيس فى الصحارى هائم ،

ان فى علم الأسماء « قيمة الانسان ، وان فى حكمة الأشياء قوة  
الانسان » •

ويمضى اقبال فيبين ان كمال حياة الأمة أن تحس نفسها كالفرد ، وأن نشأة هذا الاحساس وكماله بحفظ سنن الأمة .

فيبدأ بالحديث عن الطفل ، لا يدرك ذاته ولا يعرف الا أمه .  
مولع بالرضاع والبكاء والنوم ، ومغرم بالطلب والسؤال كل حين .  
فكره في كل أمر ، وقابل لكل نقش ، وهو عالة على غيره .

حتى يقع نظره على نفسه فيقول « أنا » وتعرفه بنفسه الذكرى وتربط  
أمنه بغده . فتنظم أيامه في هذا السلك الذهبي ، كما ينتظم اللؤلؤ . ويتغير  
بدنه كل ساعة ولكن يقول في نفسه :

« هأنذا كما كنت » . « أنا » هذه فاتحة الحياة ، ونعمة اليقظة في  
موسيقاها .



وكذلك الأمة الوليدة تنشأ كالطفل ، ترى غيرها ولا تبصر نفسها .  
وتقلب بها الوقعات حتى تعرف نفسها وتصل بالذكري ماضيها وحاضرها .  
ويضيء لها الطريق تاريخها . . . فأن نسيت واقعاتها ارتكست في العدم .  
أيها العاقل ! ان اتصال أيامك ، هو الخيط الذي يمسك كتاب وجودك .  
اتصال الأيام ثوب لنا ، خياطه حفظ السنن القديمة . ما التاريخ يا غافلا



عن نفسه ؟ أترأه قصصا وأحاديث وخرافات ؟ انه الذى يعرفك نفسك ،  
ويبصرك طريقك . انه حرارة الروح ، وأعصاب الملة . انه المسن الذى  
يشحذك كالخنجر ، ثم يضرب بك فى هذه الدنيا .

ويمضى الشاعر فى بيانه واحسانه حتى يقول :

أحکم تاريخك تحکم نفسك ، وصل بيومك أمسك . ان حالك يطلع  
من ماضيك ، ويشرق من حالك آتيك . فان ترد الحياة الخالدة فلا تقطع  
سلسلة هذه الثلاثة . انما الحياة موج هذا التسلسل .

— ٦ —

بقاء النوع بالأمومة . وحفظ الامومة وتعظيمها

#### من قواعد الاسلام

يتكلم فى هذا الفصل عن الأم ، يُعلى قدرها ، ويبيّن فى الأمة  
خطرها . ومهما يثّض شاعر فى الاشادة بالأمومة فقدّرنا أكبر ، وفضلها  
أكثر .

يقول فيما يقول :

ان المسلم الذى لا يقدر المرأة قدرها ، لم ينل نصيبا من حكمة  
القرآن . ان الأمومة رحمة ، ولها الى النبوة نسبة ، وانها لكاتبه سيرة  
الأمة . ومن يفكر فى لفظ الأمة والأم تبين له دقائق الحكيم . وقد  
قال سيّد الكائنات : الجنة تحت أقدام الأمهات . ان الأمة من صلة  
الأرحام ، والحياة بدونها لا تبلغ المرام .

وبالأمومة تسير الحياة سيرها ، وتجلو أسرارها .

ثم يقول :

ربما تنجب بنت الزارع الجاهلة ، التي لا تحسن الكلام ولا تتيين في الخِصام، مسلما نجيبا غيورا ، للحق نصيرا . ان حياتنا من آلام الأم وصبحنا من ظلامها .

وهذه العقيم الرحيم ، ذات النظرات الثائرات ، الخالية من الأحمال . التي أضاء بنور الغرب فكرها ، واختلف باطنها وظاهرها ١ قد قطعت أوصال الملة البيضاء ، حين نثرت نظراتها الرعناء . حريتها وقاحة وفنتة ، وصفاقة وجراة . لم يطق حمل الأمومة علمها ، ولم يضىء في ليلها نجمها ٢ الى أن يختم الفصل قائلا :

ان ثروة الأمة قادتها الهادون ، لا الأمتعة والفضة والذهب . وان رأس مالها نسل شديد ، ذو فكر خصب وعزم جديد . الأمهات للأخوة حافظات ، وعلى القرآن والأمة قائمات .

— ٧ —

### سيدة النساء فاطمة الزهراء أسوة كاملة للمسلمات

يصف في هذا الفصل فاطمة البتول رضى الله عنها بما هي أهله . ويذكر ولديها الكريمين الحسن والحسين .

ويقول :

قد أدبها الصبر والرضا ، فهي تتلو الكتاب وتدير الرجي . وكهم ذرفت في الصلاة الدموع ، من القنوت والخشوع .

(١) يقول : هي في الظاهر امرأة ، وفي الباطن ليست امرأة

(٢) لم تسعد بولد



لولا نهى الدين ، وأمر النبي الأمين ، لطفت حول ثربتها وسجدت على  
ترابها .

— ٨ —

### خطاب الى المرأة المسلمة

خَلَقْتِكِ الطاهرة لنا رحمة ، وأنت قوة الدين وحِصن الملة • يامن  
تفطمين فينا الوليد ، على كلمة التوحيد ، ان جبك لينحت أطوارنا ،  
ويصور أعمالنا وأفكارنا • وبرقنا الذي ربّاه سبحانه الوضوء ، غشى  
الجبال وطوى الصحراء •

يا أمينة على الشرع المبين ، ان في أنفاسك حياة الدين •

ان هذا العصر ذو فتون ، قافلته تقطع طريق الدين • وقد عمى ادراكه  
فأنكر الخالق ، وقيّدت سلاسله كل مارق •

صيده يخال نفسه حراً ، وقتيله يسمى نفسه حياً • لا تسلكي الا  
سبيل الآباء ، ولا تبالي بما تلقين من عناء •

احذرى الزمان في سيرك ، وضمي أولادك الى صدرك •

هذه العصافير بعدت من أعشاشها ، قبل أن تطير بها أجنحتها

يا فطرة " نزاعة الى العلاء ، لا تغمضي عينك عن سيرة الزهراء •

لعل حسينا في حجرك يزهو ، فيترعرع بستاننا وينضو •

— ١١٠ —

ويختتم الشاعر منظومته بفصل عنوانه :

— ٩ —

### خلاصة مطالب الكتاب بتفسير سورة الاخلاص

ولا أجد حاجة الى تلخيصه ، على ما فيه من معان قيّمة وصور رائعة ،  
وحسبى ما أجملت آتفا من فصول المنظومتين •

\*\*\*

عبرت مع القارىء منظومتى الأسرار والرموز ، واستخلصت له  
مقاصدهما ، وأجملت له مطالبهما ، ودلته بالقليل على الكثير ، وبالزهرات  
على الروض النضير •

آثرت أن أصل التلخيص بالأدب أكثر مما أصله بالفلسفة • وكذلك  
أراد الشاعر أن يلبس فلسفته ثوبا من الشعر يجملها ويقرّبها الى القراء •

## الفصل الرابع

### أوجه أخرى لفلسفة اقبال

أساس فلسفة اقبال الذاتية ، تدور آراؤه على محورها ، وتتفرع أفكاره  
من أصلها ، ولكن لفلسفته أوجها كثيرة منها ما عرفه القارىء فيما عرضت  
عليه من فصول المنظومتين أسرار خودى ورموز بن خودى • ومنها  
ما يتجلى فى دواوين أخرى • ومنها ما أبانه فى لغة الفلسفة لا الشعر ،  
فى محاضرات ومقالات كثيرة •

ولا يتسع المجال لتفصيل القول فى أوجه فلسفة اقبال التى لم يرها



القارىء فيما أسلفت من فصول هذا الكتاب . وقد تعمدت أن يكون هذا الكتاب أقرب الى الأدب من الفلسفة ، كما اختار محمد اقبال الشعر لفلسفته في معظم أصولها وفروعها .

وحسبى في هذا الفصل أن أعرض على القارىء هذا الاجمال .

— ١ —

ذكرت في سيرة اقبال أنه ألقى محاضرات في مدراس وبيدر آباد وعليكره سنة ١٩٢٨ م . ألقاها باللغة الانكليزية

وهذا تبّت هذه المحاضرات :

- ١ — العلم والدين
- ٢ — والوحى الدينى فى معيار الفلسفة
- ٣ — وادراك الله ومعنى الصلاة
- ٤ — والنفس الانسانية حريتها وخواودها
- ٥ — وروح الثقافة الاسلامية
- ٦ — والحركة فى العقائد الاسلامية
- ٧ — وهل التدين ممكن ؟

هذه محاضرات لا بد لدارس فلسفة اقبال من قراءتها ، ففيها آراؤه فى موضوعات عدة مجتمعة مرتبة فى لغة فلسفية

طبعت المحاضرات فى اكسفورد وفى الهند وشاعت . وكتب لها المحاضر مقدمة مختصرة بدأها بقوله :

« الاسلام دين يعنى بالعمل أكثر مما يعنى بالفكرة . »

ويقول بعد أسطر قليلة :

« لا ريب أن طوائف الصوفية الحققة قد عملت كثيرا في توجيه تطور الادراك الدينى وتحديدده ، ولكن المتأخرين من الصوفية جهلوا العقل الحديث فعجزوا عن تقبل الأفكار الجديدة . انهم يسرون على طرائق نشأت في أجيال لها وجهة في الثقافة تخالف وجهتنا في كثير من الأمور .

مثلا نجد في القرآن الكريم : « ما خلقتكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة » فأدراك الوحدة الحيوية التى تعنيها هذه الآية يحتاج الى نظرات طبيعية ونفسانية غير التى ألفوها .

« دعت الى هذه المحاضرة الجمعية الاسلامية فى مدراس وألقيتها فى مدراس وحيدر آباد وعليكر . وقد حاولت فيها أن أسد-حاجة المسلمين بعض السداد ، حاولت أن أجدد بناء الفلسفة الاسلامية مراعىا سنن الاسلام الفلسفية ، وأحدث ما بلغته المعرفة الانسانية . ولا شك أن هذا الوقت ملائم لهذه المحاولة .

« ان علم الطبيعة تعلمت أن ينقذ قواعده . فأدعى هذا النقد الى أن اختفت هذه المادية التى جعلها العلم الطبيعى ضرورة أول الأمر .

« وأحسب أن ليس بعيدا اليوم الذى يلتقى فيه الدين والعلم على وفاق لم يحزره أحد من قبل .

« وينبغى أن نتذكر ألا نهاية للتفكير الفلسفى . ولعل تقدم المعرفة واتضح سبل للتفكير جديدة ، يؤدىان الى آراء جديدة . وعسى أن تكون أصح من الآراء التى أعرضها فى هذه المحاضرات .



« ان علينا أن نعلم بمراقبة تقدم الفكر الانساني . وتقوم منه مقام الناقد المستقل »

— ٢ —

### نظرة في هذه المحاضرات

كان الفيلسوف الشاعر في هم دائم ، وحزن مستمر ممثلاً آله أمر المسلمين في الفكر والعمل .

وقد فكر كثيراً في فلسفته التي عرفنا بها آتفاً ، ثم خص العقائد الاسلامية بهذه المحاضرات القيمة .

وكان يريد أن يسميها « الاسلام كما أفهمه » ثم سمّاها الاسم الذي شاعت به .

وكان اقبال ، حين أدركته المنية ، يعدّ العدة لكتاب واف في التشريع الاسلامي . فأى خسارة خسرها المسلمون بوفاة محمد اقبال قبل أن يخرج لهم هذا الكتاب .

\*\*\*

يئن اقبال ما قصد اليه في محاضراته بقوله في احداها ، مبيّناً صلة المسلمين بفلسفة أوروبا وحاجتهم الى النظر في آرائهم الدينية بعد ما كشف عنه العلم من حقائق في الكون وطرائق للنظر :

« ان أظهر ظاهرات التاريخ الحديث سرعة اتجاه المسلمين اتجاهها روحياً شطر الغرب . وليس في هذا خطأ . فثقافة أوروبا . في جانبها العقلي ،

ليست الا استمرار التطور في جوانب مهمة من الثقافة الاسلامية . والذى نخشاه أن يقف المسلمون عند المظاهر البراقة في هذه الثقافة الأوربية فلا يدركوا حقيقتها ، ويفقهوا بواطنها .

لقد لبثت أوروبا في عصور غفوتنا الفكرية ، جادة تفكرت في المسائل الكبيرة التى عنى بها فلاسفة المسلمين وعلمائهم كل عناية .

وقد تقدم الفكر البشرى الى غير نهاية ، منذ العصور الوسطى التى انتهت فيها فرق المتكلمين المسلمين . ثم تسلط الانسان على الطبيعة أوحى اليه ثقة بنفسه ، وإيمانا بتفوقه على ما يحيط به فى العالم . وعرضت للناس أنظار محدثة ، وأعيد النظر فى مسائل قديمة فى نور التجارب الحديثة ، ونشأت مسائل أخرى لم تعرف من قبل . وكان عقل الانسان تفوق على كلياته الأساسية ، من الزمان والمكان والحدوث . بل أخذ تصورنا الأشياء يتغير بتقدم العلوم . فنظرية انشتاين غيرت نظرنا الى العالم ، وبيّنت طرائق جديدة فى النظر الى مسائل يشترك فيها الدين والفلسفة .

فلا عجب اذا ، أن ينتظر ناشئة المسلمين فى آسيا وأفريقيا توجيهها جديدا لعقائدهم . ان يقظة المسلمين تقتضى أن ننظر ، ولكن بعقل مستقل ، ماذا فكرت فيه أوروبا ؟ وكيف نستعين بالنتائج التى بلغت ، فى اعادة النظر فى المذاهب الدينية الاسلامية ، بل اعادة بنائها ان لم يكن من هذا بد . «

ويتصل بهذا قوله فى محاضرة أخرى :

« ان على المسلم اليوم عملا شاقا . عليه أن يعيد النظر فى الاسلام كله دون اقطاع عن الماضى .

لعل شاه ولى الله الدهلوى أول من شعر بالحاجة الى نظر جديد ،



ولكن الذى أدرك كل الادراك خطر العمل وسعته ، هو جمال الدين الأفغانى . وكان حريئاً أن يكون حلقة حيّة بين الماضى والمستقبل بنظره الثاقب ، ونفاذه الى حقيقة تاريخ المسلمين وتاريخ ثقافتهم ، الى ما أوتى من ادراك واسع يسرته له تجاربه فى الناس والأخلاق .

فلو قصر جهاده الدائب على الاسلام من حيث هو نظام للعقائد والأعمال الانسانية لكانت قواعد الفكر الاسلامى اليوم أقوى وأقوم .

ليس لنا اليوم الا أن نقوم من العلم الحديث مقام المتكبير له القادر على تقده ، وأن تقوم الفكر الاسلامى فى نور هذا العلم ، وان أدنى هذا الى أن نخالف سلفنا .



هذا الشعور بحاجة المسلمين الى الأخذ من العلم الحديث أخذ الناقد المعتد بنفسه ، واعادة النظر فى المذاهب الاسلامية ، هو الذى أوحى الى اقبال أن يفكر التفكير الواسع العميق ، ويتناول الموضوعات العسيرة الخطيرة التى تناولها فى هذه المحاضرات .

أعرض على القارىء جملة مختصرة من هذه المحاضرات ومساءل قليلة ممّا فيها لعله يتشوف الى قراءتها كاملة والتأمل فيها ، وادراك معانيها ومراميها .<sup>١</sup>

#### ١ - فى المحاضرة الأولى « العلم والادراك الدينى »

يبين اقبال فرق ما بين المعارف المستقاة من ينابيع مختلفة . ويقول ان القرآن يسوّى بين نواحي الادراك الانسانى كلها فى الاستمداد منها لمعرفة الحقيقة النهائية .

---

(١) استعنت فى هذا التلخيص بكتاب صديقى الاستاذ سيد عبد الواحد .

ويقول : ولا بد ، من أجل ادراك هذه الحقيقة ، أن يصحب الادراك الحسى هذا الادراك الذى يسميه القرآن القلب .

وتكلم اقبال فى هذه المحاضرة عن قيمة الادراك الدينى فى المعرفة الانسانية . وبين قدر الالهام . وللالهام فى فلسفة اقبال مكانة عالية . وهو يرى أن الفكر والالهام ليسا متناقزين .

ب - وفى المحاضرة الثانية التى عنوانها « التمهيد الفلسفى للادراك الدينى »

يتحدث اقبال عن الامتحان العقلى الذى يمكن تطبيقه على المدركات الدينية . ويبين أن الادراك الدينى يقبل تمحيصا مشابها للتمحيص الذى تعالج به أنواع المعرفة الأخرى .

ج - وفى المحاضرة الثالثة التى عنوانها : « تصوّر الله تعالى ومعنى الصلاة »

يبين اقبال تصوّر الله تعالى فى القرآن ، ويقول ان أكبر عناصر هذا التصور ، من وجهة فكرية خالصة ، الخلق والعلم والقدرة والبقاء .

ومن أمثلة نظرات اقبال فى هذه المحاضرة قوله ان تسمية الله تعالى نورا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ينبغى أن تفسّر تفسيراً آخر . قد بيّن علم الطبيعة الحديث أن سرعة النور لا تمكن الزيادة عليها ، وأنها لا تختلف باختلاف طرائق الراصدين . فالنور فى العالم المتغير أقرب شئ الى الوجود المطلق . فتسمية الله بالنور مجازاً ينبغى أن يفسّر ، فى هدى العلم الحديث ، بالاطلاق ، لا بالحضور فى كل مكان ، هذا الوصف الذى يؤدى الى عقيدة وحدة الوجود .



ويقول اقبال في هذه المحاضرة كذلك :

ان الحقيقة العليا ذات • ومن هذه الذات العليا تتجلى الذوات الأخرى بالخلق فحسب • والعالم في كل أجزائه ، من الحركة الآلية فيما نسميه الذرة المادية الى حركة التفكير الارادية في الانسان ، ليس الا تجليا من الذات العليا • وكل ذرة ذات حركة الالهية هي ذات ، مهما انحطت مكائنها في الوجود •

وينتقل اقبال بعد هذا الى الكلام في الصلاة فيقول ما خلاصته :

الدين لا يقنع بالتصور فحسب بل يطلب اتصالا بمقصوده • ووسيلة هذا الاتصال العبادة أو الصلاة • الصلاة وسيلة الى استنارة روحية تعرف بها الذات الانسانية - هذه الجزيرة الصغيرة - أنها موصولة بحياة أوسع ، وكون أفسح • وكل طلب للمعرفة هو في حقيقته صلاة • فالباحث في العلم الطبيعي هو كالصوفي في صلاته •

وتزيد الصلاة قربا من مقصودها بالاجتماع • وكل عبادة هي في جوهرها جماعية • والعبادة ، فردية كانت أم اجتماعية ، هي اعراب عن تلهف الوجدان الانساني الى استجابة له في صمت العالم الهائل •

ومن وحدة الذات الكبرى التي تخلق كل الذوات وتمدها تنشأ وحدة النوع الانساني • والقرآن الكريم يقول :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا • »

صلاة الجماعة في الاسلام اعراب عن التطلع الى تحقيق الوحدة الانسانية برفع كل الحجب بين الانسان والانسان •  
د - وفي المحاضرة الرابعة

يتكلم عن الذات الانسانية حريتها وخلودها • ويبين كيف عمّت المسلمين جبرية مشنومة ، على خلاف ما علّمه الاسلام ووكّده من حرية الذات • ويقول ان هذه الجبرية التي عرفها الأوربيون في كلمة «قسمة» ترجع الى غلبة الفكر الفلسفي والى المطامع السياسية ، وضعف نبض الحياة التي بثها الاسلام في نفوس المسلمين •

ثم يقول اقبال :

نشأت ، على خلاف دعوة أئمة المسلمين ، جبرية مهلكة ، وشاعت نظرية الأمر الواقع لتحصيل منافع لبعض الناس ، وتيسير مطامعهم •

وليس هذا أمرا بدعا • فقد احتج فلاسفة محدثون بحجج عقلية على أن نظام رأس المال في الجماعة نظام أبدى •

حدث مثل هذا في تاريخ المسلمين ، ولكن درج المسلمون على التماس أدلة مذاهبهم في القرآن ، ولو على خلاف معانيه الواضحة ، فكان للتأويل الذي يُحتج به على الجبرية آثار بالغة في الاضرار بالجماعة الاسلامية •

#### هـ - والمحاضرة الخامسة ( روح الثقافة الاسلامية )

يقول فيها اقبال ان القرآن يبيّن أن الادراك الباطني ينبوع واحد من ينابيع المعرفة الانسانية • وللمعرفة ينبوعان آخران هما الطبيعة والتاريخ • وبلاستقاء من هذه الينابيع الثلاثة تبلغ الثقافة الانسانية أنضج صورها •

ويقول اقبال ان الفكر الاغريقي لم يحدد خصائص الثقافة الاسلامية •

ويقول : ان فكرة في الاسلام عظيمة لم تقدر قدرها ولم تعرف قيمتها في الثقافة الاسلامية • وتلكم فكرة ختم النبوة • ان النبوة في الاسلام بلغت أوج كمالها اذ عرفت الحاجة الى ختمها • لا بد لكمال الوجدان



الانسانى من أن يوكل الى نفسه •

قد أبطل الانسلام سلطان الأجار والرهبان ، وألغى وراثه الملك • ودعا القرآن الى الرجوع الى العقل ، والاعتبار بالتجارب • ووجه النظر الى الطبيعة والتاريخ على أنها ينبوعان للمعارف البشرية •

وكل هؤلاء أوجه مختلفة للفكرة نفسها ، فكرة النهاية والكمال •

ثم يقول المحاضر :

وأعظم خصائص الثقافة الاسلاميه توكيدها فى الأنس « تصور عالم متحرك » وسنن مستمرة •

ومن قواعد الهدى الاسلامى أن الأمم والجماعات مأخوذة بأعمالها فى هذه الحياة • ولهذا يكثر القرآن من قصص الماضين ، ويأمر بالنظر فى تجارب الأمم غابرها وحاضرها •

ويقوم تعليم القرآن فى هذا الشأن على أصليين :

الأول وحدة الأصل الانسانى • ويبيّن القرآن كثيرا أن الناس خلقوا من نفس واحدة •

والثانى قوة الشعور بأن الزمان حقيقى ، وتصور الحياة سيرا مستمرا فى الزمان •

وان يدرك قادة العقول والأرواح فى الأمم حقيقة هذه الأصول الاسلاميه ، يظفر الانسان بعالم للمعيشة أفضل من هذا •

و — والمحاضرة السادسة : « الحركة أصل فى التعليم الاسلامى »

تكلم فيها الفيلسوف المسلم عن تصوّر الاسلام العالم على أنه عالم حركة . وقال ان الاسلام ينكر أواصر الأنساب ، ويعترف بالأواصر الروحية ، ويقرر أن حياة الانسان روحية في كنهها . ولا يمكن التطلع الى أساس نفساني تقوم عليه الوحدة الانسانية الا اذا عرفنا أن الحياة الانسانية روحية .

ويقرر الاسلام أن أصل الوحدة الانسانية في التوحيد . ان أصل الحياة كلها دائم يتجلى في مظاهر متغيرة . والجماعة القائمة على هذا الأصل ينبغي أن تجمع في نفسها هاتين الصفتين ، الدوام والتغير . ومن يتصور الأصول الدائمة الأبدية غير قابلة للتغير فقد وقف ما هو متحرك بطبيعته . «

ومعنى هذه الفقرات التي نقلتها عن اقبال ان حياة الانسان لا تحدّها أنساب ، ولكنها قائمة على أصول روحية بها وحدة الانسان ، وأن هذه الحياة الروحية دائمة في أصلها متغيرة في مظاهرها . فالجماعة الانسانية ينبغي أن تقوم على أصول دائمة من عقائدها وسننها ، متغيرة في مظاهرها وأحوالها .

ثم يقول :

« والحركة في الجماعة الاسلامية بالاجتهاد . ويؤسفنا أن هذا الأصل الذي يهب الأمة الحياة لم يعمل عمله في المسلمين . ان من أقوى أسباب ضعف المسلمين اهمال هذا الأصل ، أعنى ابطال الاجتهاد . «

ثم يتكلم اقبال عن الاجماع أصلا من أصول الشرع الاسلامي . فيقول:

« والأصل الثالث من أصول الشرع الاجماع . وهو عندى أعظم السنن الشرعية . وعجيب أن هذه السنة الرشيدة نالت كثيرا من بحث المسلمين وجدالهم ، ولكنها لم تعد التفكير الى العمل . وقلما صارت سنة عملية



في بلد اسلامى • ولعل اتخاذها سنة دائمة ونظاما محكما لم يلائم مطامع الملك المطلق الذى نشأ فى الاسلام بعد الخلفاء الراشدين • ولعل ترك الاجتهاد لأفراد من المجتهدين كان أقرب الى منافع الخلفاء من بنى أمية وبنى العباس ، من تأليف جماعة دائمة عسى أن تفوقهم قوة •

ومما يبعث على الرضا والأمل أن سيرة الحوادث فى هذا العصر ، وتجاريب أمم أوروبا ، أشعرت الفكر المسلم الحديث بقيمة الاجماع وعرفته أنه ممكن • وشيوع النزعة الجمهورية ، ونشوء مجالس التشريع ، يمهدان السبيل الى العمل بسنة الاجماع • «

ز - وفى المحاضرة السابعة « هل التدين ممكن ؟ »

يقول اقبال : ذلكم سؤال يشغل الانسان فى كل عصر ولا سيما فى عصرنا ، والعالم كله يلتمس أساسا يبنى عليه وئام الناس وسلامتهم •

ويقول :

« ان الدين فى أعلى صورته ، ليس أحكاما جامدة ، ولا كهنوتية ، ولا أذكارا • ولا يتيسر الا بالدين تهيئة الانسان المعاصر لحمل العبء الثقيل الذى يحمله اياه تقدم العلوم فى عصرنا • والدين وحده يرد الى الايمان والثقة اللذين يستران له اكتساب شخصية فى هذه الدنيا والاحتفاظ بها فى الآخرة •

ولا بد للانسان من الارتقاء الى تصور جديد لماضيه ومستقبله ليستطيع التغلب على المجتمع المتنافر المتصادم ، ويقهر هذه المدنية التى فقدت وحدتها الروحية بالتصادم الباطنى بين الدين والمطامع السياسية •

والحق أن سير الدين والعلم ، على اختلاف وسائلهما ، ينتهى الى غاية

واحدة ، بل الدين أكثر من العلم اهتماما ببلوغ الحقيقة الكبرى . اهـ

\*\*\*

هذه نظرة عاجلة في بعض ما حوته هذه المحاضرات . وهى جديرة  
بعناية من تعينهم أحوال المسلمين في هذا العصر .

— ٣ —

### أثر اقبال في افكار المسلمين

في الخمس عشرة سنة التى مضت من وفاة اقبال الى يومنا هذا ، ألفت  
كتب باللغة الأردية والانكليزية في سيرته وفلسفته ، وفي صلة هذه الفلسفة  
بالاسلام ، وبيان التشابه بين اقبال وبين فلاسفة آخرين أو بين شعره  
وشعر غيره من كبار الشعراء . كتب في هذه الموضوعات زهاء أربعين كتابا .

وكتبت مقالات كثيرة . وتنشر في لاهور مجلة اسمها اقبال تنشر  
مقالات بالأردية والانكليزية في فلسفة اقبال وشعره

تجد في هذه المجلة مثل هذه المقالات :

التطور في فلسفة اقبال

الفن في مذهب اقبال

ابليس في تصور اقبال

فلسفة الذاتية عند اقبال

اقبال ومسألة الاجتهاد

معنى العشق في شعر اقبال

معنى الفقر في شعر اقبال

ولا تكاد تخلو مجلة أدبية في باكستان من مقال عن اقبال

(١) ترجم صديقى الاستاذ عباس محمود هذه المحاضرات الى العربية . ويرجى ان تطبع قريبا



وفي يدى الآن مجلة باكستان ، عدد نيسان ، وفيه هذه المقالات •  
اقبال شاعر الاسلام - اقبال رسالة أمل مشرق - اقبال والوطنية -  
اقبال الشاعر الفيلسوف - بيت " من شعر اقبال - اقبال ومسجد قرطبة •

\*\*\*

ونجد الكتاب يبينون عن آراء اقبال اجمالا وتفصيلا ويستشهدون بما  
كتب في الفلسفة ، وبما جاء في شعره • وشعره فصول فلسفية في صورة  
شعرية كالاسرار والرموز اللذين أجملتهما آتفا ، أو شعر يتضمن فِكرا  
متفرقة من فلسفته، ولثمعا مختلفة من آرائه ينظمها الكتاب بعضها الى بعض  
ليبينوا المذهب الذى نشأت عنه هذه الأقوال •

عرض هذا الشاعر الفيلسوف على العقول ما أيقظها وشغلها ، وعلى  
القلوب ما أنبضها وأثارها •

ولا يزال الباحثون يجدون في فلسفته وشعره ما يشغل أقلامهم ، ويملا  
صحفهم على كثرة ما كتبوا • فماذا عسى أن أفصل من فلسفة اقبال ؟  
وكيف أحاول الاحاطة بها في كتاب هو أول ما كتب في لغتنا العربية عن  
هذا الشاعر ، سيرته وفلسفته وشعره •

وانما قصدت الى أن يكون هذا الكتاب مقدمة لقراءة دواوين اقبال التى  
ترجمتها الى العربية ما طبع منها وما يطبع ان شاء الله •

وقد كتبت لهذه الدواوين مقدمات فيها طرّف من فلسفة اقبال ولا سيما  
الآراء التى هى موضوع الديوان • فلعل القارىء المتقصى يضم هذه  
المقدمات الى هذا الكتاب ليتبين سيرة اقبال وفلسفته •

## الفصل الخامس

### اجابة اقبال المترضين على فلسفته في اوربا

ترجم الاستاذ نكلسون منظومة أسرار خودى الى الانجليزية وكتب لها مقدمة أثبت فيها ما كتبه اقبال اليه ايضاحا لفلسفته<sup>١</sup> فاهتم بها بعض المتفلسفين هناك .

وكتب بعضهم تقدا لآراء اقبال . واعترض بعضهم على فلسفته بأنها فلسفة قائمة على تعظيم القوة والدعوة اليها ، كفسفة نطشه الفيلسوف الالماني ، وبأنها فلسفة ليست انسانية عامة ، بل تخاطب أمة من الناس هي أمة المسلمين .

وأجاب اقبال موضحا مذهبه ، راداً على من قرئوه بنطشه ومن عابوا على فلسفته أنها تخص المسلمين .

وأجمع جواب في هذا الموضوع ما كتبه اقبال الى الأستاذ نكلسون . فسأكتفى به ، ثم أكتفى منه بخلاصته :

يبدأ اقبال الكتاب بالأعراب عن سروره باهتمام المفكرين بكتابه حين تُرجم الى الانكليزية .

ثم يقول ان بعض النقاد الانكليز رأوا مشابهة ظاهرية بين أفكاره وأفكار نطشه فوقعوا في غلط كبير . ويرد على من زعم أنه أخذ نظرية الانسان الكامل من نظرية نطشه في الانسان الذى سَمَّاه فوق البشر ( Superman )

(١) بينا هذا في الفصل الاول من هذا الباب .



ويقول انه كتب قبل ثلاثين سنة ، مقالا عن الانسان الكامل عند الصوفية ولم يكن حينئذ اطلع على كتب نطشه ولا سمع باسمه .

ويمضى اقبال الى أن يقول في خطابه الى الاستاذ نكلسون :

أعجبنى لقد درِ كَسْتَن أكثر من كل نقد فأنا أعالج المسائل الآتية في نقده :

### ( ١ ) المسألة الأولى :

يتبيّن مما كتبه مستر درِ كَسْتَن الى<sup>١</sup> أنه يرى أنى أحث على السعى الى القوة المادية بل أبلغ في تعظيمها درجة العبادة . والحق أن هذا غلط محض . فدعوتى الى القوة الروحية لا القوة المادية .

أرى أن محاربة أمة أمة<sup>٢</sup> لحماية الحق والخير فرض أخلاقي عليها ولكن محاربتها لأجل « جوع الأرض » حرام في رأي<sup>١</sup> .

وحق<sup>٢</sup> قول درِ كَسْتَن ان الحرب مدمرة سواء أكانت لنصرة الحق أم لبسط السلطان فيجب تجنب الحرب ، ولكن التجارب ترينا أن المؤتمرات، والمعاهدات ووسائل أخرى لا تمنع الحرب . وان منعت الحرب ظاهرا بأحدى الوسائل اتخذت الأمم ذوات<sup>٣</sup> المطامع ذرائع أخرى لاستعباد أمم أضعف منها . فلا بد لنا من شخص يحلّ مشاكلنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ويفصل في خصوماتنا بالعدل ويقيم الأخلاق الدولية على قواعد أثبت وأمتن<sup>٢</sup>

### ( ٢ ) المسألة الثانية :

(١) انظر اسرار خودى ، والفصل الثانى من هذا البعب ص ٨٦ وما بعدها  
(٢) انظر فصل النبابة الالهية في اسرار خودى وفي هذا الكتاب ص ٥٩ وص ٨٤

ثم يذكر دِكْسُنُ فلسفة الكدح التي تدعو الى الرجولة والصلابة، وهذه الدعوة قائمة على معنى الحقيقة الذي بينته في المنظومة . أرى أن الحقيقة هي مجموعة الشخصيات أو «الذاتيات» وأن تأليفها الاجتماعي ينشأ من الجِلاد . ومن هذا الجِلاد ينشأ الانتظام والائتلاف آخرا .

هذا الجِلاد ضروري للبقاء الشخصي وهو أعلى درجات الحياة

نطشه ينكر البقاء الشخصي . وغلظه في هذا نتيجة غلظه في تصوّر الزمان أو الدهر . هو لم يبحث في مسألة الزمان من الجانب الانساني . . وأنا ، على خلافه ، أعتقد أن البقاء الشخصي أعظم الآمال ولا بد له من الجِد والجهد الكاملين . لهذا دعوت الى الحركة والجِد والكدح وكل ضروب العمل ، بل الحرب ، حتى تستحکم الذات . ولهذا نهيت كل النهي عن جمود الصوفية ، وسكون الرهبان .

وهذا الجِلاد الذي أدعو اليه هو في حقيقته أخلاقي لا سياسي . ولم يقصد نطشه الا الى معناه السياسي .

### ( ٣ ) المسألة الثالثة :

واعترض مستر دِكْسُنُ على فلسفتي بأن دائرتها محدودة وان كانت أصولها عامة ( يعني أن اقبالا خاطب المسلمين ، وطبق فلسفته عليهم وحدهم ) .

حق " أن الفلسفة والشعر ينبغي أن تكون لهما مقاصد انسانية عامة ، ولكن هذه المقاصد اذا أريد تحقيقها في أعمال الحياة لم يكن بد من تحقيقها أول الأمر في جماعة بعينها لها مسلك معين ومذهب



مستقل ، ولكن طرائقها في العمل تتسع بالدعوة والتبليغ الى غير نهاية . وعندى أن هذه الجماعة هي الأمة الاسلامية . فالاسلام عدو لعصبيات الألوان والأجناس . وهي أصعب العقبات في سبيل اتحاد أمم العالم . - قد غلط رينان حين قال ان الاسلام والعلم ضدان . والحق أن الاسلام وعصبيية الأقبوام لا يجتمعان - ان أكبر أعداء الاسلام ، بل الانسانية ، هذه العصبيية . فعلى محبى الانسانية أن يجاهدوا جهد طاقتهم هذه العصبيية التي اخترعها ابليس .

قد رأيت أن عالم الاسلام كذلك سرت فيه القومية والوطنية القائمتان على عصبيية الأمة والوطن . ورأيت المسلمين يكفلون عن مقاصدهم العامة ، ويقعون في شبك القومية والوطنية فرأيت فرضا على ، بأنى مسلم أو محب للانسانية ، أن أوجههم الى مقاصدهم الحق .

لا أنكر أن عصبيات القبائل والأمم نافعة ، الى حين ، في نشوء الحياة الاجتماعية وارتقائها ، فلست أعترض على الاهتمام بهذه العصبيات من هذه الجهة ، ولكن اذا عُدت القومية أعلى درجات الرقى الانسانى فهى عندى أكبر لعنة على الانسانية .

لا ريب أنى أحب الاسلام وأهيم بحبه ، ولكن خطأ قول دِ كسن أنى خصصت المسلمين بكلامى عصبيية لوطن أو أمة . لم يكن لى وسيلة أخرى لتطبيق هذه الفلسفة . اذ رأيت الجماعة الاسلامية أكثر الجماعات ملاءمة لمقصدى .

ثم الاسلام ليس من الضيق كما يتوهم دِ كسن . فالتعليم الاسلامى لا يخص قبىلا دون قبيل ، ولكن يقصد الى أخوة البشر كافة . فهو يدعو الناس أجمعين الى التعاون والتآخى ، وأن يتغفل في هذه السبيل ما بينهم من اختلاف جزئى .

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد  
الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . »

وأكبر الظن أن مستر دِكْسُن لا يزال في أسر الوهم القديم ، وهم  
أهل أوربا أن الاسلام يدعو الى القتل وسفك الدماء . والحق أن سلطان  
الله على الأرض ، لا يخص المسلمين بل يمكن أن يعم الناس أجمعين ، على  
أن يتركوا عبادة الأصنام ، أصنام النسب واللون والقوم والوطن .  
لا تستطيع اسعاد الناس معاهدات الصلح ومجالس الأمم ، وأوامر الملوك .  
لن يستطاع هذا الا بالاعتراف بحرية الناس وتساويهم دون نظر الى  
نسب أو وطن . . . .

لا أنكر أن المسلمين كغيرهم خاسموا وحاربوا وسخروا الأقطار ، وأن  
بعض سلاطينهم ألبسوا مظامعهم لباس الدين ، ولكنني على يقين أن الفتح  
والتسخير ليسا من مقاصد الاسلام ، بل أعتقد أن الفتوح عاقت نماء النظام  
المبارك ، نظام الشورى الذى نجد أصوله في القرآن والحديث . ولم يكن  
للمسلمين بد من اقامة الممالك العظيمة في أرجاء الأرض ، ولكنهم اضطروا  
في سبيلها الى العدول عن بعض سننهم القويمة . وغلب على أغراضهم  
السياسية مسحة غير اسلامية . فأغضوا عيونهم عن سعة المقاصد  
الاسلامية وعمومها .

لا ريب أن الاسلام قصد الى دخول الناس فيه ولكن دون اكراه . . . .  
ان العقائد الاسلامية يسيرة معقولة . فهي توافق العقل السليم ، وتسلم  
من تعقيد الفلسفة .

ان في فطرة الاسلام مزايا تيسر له أن يبلغ أوج الظفر . انظر الى  
الصين مثلا ، فيها من المسلمين عشرات الملايين دخلوا في الاسلام بالدعوة ،  
وما كان للمسلمين في الصين سلطان سياسى . وفي هذا برهان على أن  
الاسلام يفتح القلوب بغير سلطان سياسى ودون اكراه .



قد طالعت فلسفة العالم أكثر من عشرين سنة ففى وسعى أن أدلى برأى  
بريتا من التعصب • وأن أتقد حوادث العالم غير متحيز •

انى أقصد فى دواوينى الى أن أضع أمام أعين الناس مثلاً عالية عمرانية  
شاملة ، ولكنى لم أستطع حين صوّرت هذه المقاصد ، أن أغضّ البصر عن  
نظام اجتماعى مقصده أن يحو بين الناس فروق الأشخاص والدرجات  
والانساب والألوان ، ودَعَوته أن يعمل الانسان لدينه ويعلو على مطامع  
هذه الدنيا ما استطاع ولا يرجو الا رضاء الله • ان الاسلام يدعو  
الى أن يأخذ الانساب نصيبه من الدنيا ثم يدعو أن تهجر كل لذات الدنيا  
فى سبيل مقاصد الحياة العليا •

وان أوروبا محرومة من هذا التعليم ، هذا الكنز الثمين • وتستطيع أن  
تأخذ عنّا هذا المتاع النفيس الذى لا يُقوّم •



ثم مسألة أخرى أختتم بها : ان الأقوال التى بعثتها اليك فأدرجتها فى  
مقدمة أسرار خودى ، قد بيّنت مذهبى فى ضوء آراء مفكرى الغرب  
ومذاهبهم • وانما اخترت هذه الطريقة لأيسر لقراء الانكليزية فقه  
آرائى • ولو شئت لاستشهدت بالقرآن الحكيم ، وأقوال الصوفية  
الكرام ، وحكماء المسلمين ، كما فعلت فى المقدمة التى أثبتتها فى الطبعة  
الأولى لأسرار خودى •

انى أدعى أن فلسفة أسرار خودى مأخوذة من آراء صوفية المسلمين  
وحكمائهم ، وأن أبحاث برجسان<sup>١</sup> فى الزمان والوقت ليست جديدة

---

Bergson (1)

عند صوفيتنا • قد بيّنت هذه المسائل في كتب التصوف بطرائق مختلفة •

القرآن المجيد ليس كتاب فلسفة أو الاهيات ، ولكن فيه هدى الى مقاصد الحياة وريقها ، وفيه أصول فلسفية يقينية • ولو أن مسلماً متفلسفا بيّن المسائل القرآنية في ضوء الأفكار والتجارب الحديثة ماصح اتهامه بأنه يقدم شراباً جديداً في زجاجة قديمة ، كما يقول مستر د كسّن • أنا لا أعرض أفكاراً جديدة في ثياب قديمة ولكنى أبيتن حقائق قديمة في ضوء الأفكار الجديدة •

ما أشد أسفى لجهل أهل الغرب الاسلام والفلسفة الاسلامية !

ليت الفرصة تتاح لى فأكتب في هذا الموضوع كتاباً ضخماً فأعلم حكماء الغرب الحقيقة فيروا مقدار التشابه بين فلسفتنا وفلسفتهم •



## الباب الثالث

### شعر اقبال

أنظر في هذا الباب نظرات في دواوين اقبال وما فيها من فنون شعر •  
وغنى عن البيان أنى لا أفصل القول في اللغة والتركيب والأسلوب اذ كان  
هذا كتابا لقراء العربية الذين لا يقرأون دواوين الشاعر في لغتها الأردنية  
والفارسية •

فسأقصر كلامى على تعداد دواوين اقبال وذكر موضوعاتها اجمالا ،  
وعلى مذهب اقبال في الفنون الجميلة عامة والشعر خاصة وعلى نظرات  
عاجلة في شعره •

وأقسم هذا الباب على هذه الفصول :

الاول : دواوين اقبال

والثاني : مذاهب النقاد ومذهب اقبال في الفنون الجميلة

والثالث : مذهب اقبال في الشعر ، وبيان هذا المذهب في شعره

والرابع : شعر اقبال ، موضوعه وأشكاله وأساليبه ، ولغته

والخامس : أمثلة من شعر اقبال

## الفصل الأول

### دواوين اقبال

أقصد في هذا الفصل الى تعريف القارىء بدواوين اقبال ، موضوعاتها ومقاصدها ولغاتها وأزمنتها ، دون تفصيل فيما تحويه من فلسفة وشعر • وأجعل هذا التعريف تمهيدا للكلام في شعره •  
والتعريف بهذه الدواوين على ترتيب زمانها • وليس من مقصدي ، ولا في مكنتي أن أنظر في تطور أفكار اقبال على الزمن • فهو موضوع يقتضى بحثا مطولا في كتاب كبير •

— ١ —

#### بانك درا ( في اللغة الاردية )

ديوان بانك درا ( صلصلة الجرس ) نشر أول مرة سنة ١٩٢٤ م • ونشر الشاعر قبل هذه السنة منظومتي الأسرار والرموز وبيام مشرق ، ولكنى بدأت بهذا الديوان بما يحوى شعر الصبا الذى نظمته قبل هاتين المنظومتين وغيرهما •

وقد عرفنا الشاعر بتاريخ القصائد في هذا الديوان اجمالا اذ قسمته هذه الاقسام :

القسم الأول الى سنة ١٩٠٥ • وفيه زهاء ستين قصيدة وقطعة ، نظمها منذ شرع ينظم الشعر الى أن سافر الى أوروبا سنة ١٩٠٥ م كما قدمت في سيرته •

وفي هذا القسم قصائد قومية ووطنية ، الى قصائد اسلامية وانسانية •

والقسم الثانى من ١٩٠٥ م — ١٩٠٨ • وهو ما أنشأه في أوروبا حينما ذهب اليها للدرس كما بينت في سيرته •

— ١٣٣ —



وهو زهاء ثلاثين قصيدة وقطعة • وهذا القسم جدير بالعناية بما يبين عن شعور الشاعر أول عهده بالاقامة في أوروبا ، ورؤيته حضارتها في مواطنها على اختلاف وجوهها ، وتعدد مظاهرها •

والقسم الثالث من ١٩٠٨م الى أن نشر الكتاب سنة ١٩٢٤ وفيه زهاء ثمانين قصيدة وقطعة •

وآخر القصائد الطوال في هذا القسم قصيدتان عنوانهما : «خضر راه» و « طلوع الاسلام » أنشد الأولى في احتفال « أنجمن حمايت اسلام » سنة ١٩٢٢م والثانية في احتفال الجمعية نفسها سنة ١٩٢٣م • وقد وصف في الأولى مصائب المسلمين • وفي الثانية آمالهم • نظر في الأولى الى ما أصاب الدولة العثمانية في هزيمتها في الحرب العالمية الأولى ، وفي الثانية الى انتصار الترك في حرب الاستقلال • ثم يذكر الحوادث صراحة ولكن أشار إليها اشارات يدركها القارىء •

في هذا الديوان شعر لاقبال أنشأ بعضه في صباه وبعضه في سن الخمسين • فأى مراد لقارىء ، وأى مجال لباحث ، هذا الشعر الذى أنشأه شاعر نابغ بين حدائمه وكهولته •

— ٣ و ٢ —

### أسرار خودى ورموز بى خودى

( أسرار الذاتية ورموز نفي الذاتية )

( في اللغة الفارسية )

منظومتان على القافية المزدوجة • وهى تسمى المشنوى- في عرف شعراء الفارسية ومن تبعهم من شعراء التركية والأردية •

— ١٣٤ —

وهما منظومتان طويلتان يبين فيهما الشاعر فلسفته • وقد عبّرتهما  
مع القارىء فى باب الفلسفة •

نشرت المنظومة الأولى سنة ١٩١٥ ، والثانية بعد ثلاث سنين •

— ٤ —

### بيام مشرق « رسالة المشرق »

« فى اللغة الفارسية »

طبع هذا الديوان أول مرة سنة ١٩٢٣ •

وكتب الشاعر فوق عنوان الديوان : « والله المشرق والمغرب » وكتب  
تحتة :

« جواب ديوان الشاعر الألماني كوته »

وهو روضة من الشعر تختلف أزهارها ونوَّارها وضروب النبات فيها  
وألوانه ، وصنوف الريحان فيها وروائحه • جمعت أشتات الزهر ، من  
المشرق والمغرب •

وفىها الأقسام الآتية :

١ - شقائق الطور ، وهى رباعيات

٢ - الأفكار ، وهى احدى وخمسون قطعة وقصيدة

٣ - الخمر الباقية ، وهى قصائد صوفية رمزية من الضرب الذى يسمى  
فى اصطلاح الأدب الفارسى غزلا • وهو غير الاصطلاح العربى • والغزل  
فى اصطلاح شعراء الفرس آيات قليلة لا يلتزم فيها الشاعر موضوعا  
واحدا • وعدد الغزليات فى هذا القسم خمس وأربعون •



٤ - نقش الفرنج ، وهي أربع وعشرون قطعة وقصيدة يذكر فيها  
اقبال بعض شعراء أوربا وفلاسفتها وينقد مذاهبهم وآراءهم فيقبل  
منها ويرد .

٥ - الدقائق ، وهي قطع صغيرة وأبيات مفردة ألحقها بالديوان .  
وقد ترجمتُ هذا الديوان الى العربية . وطبع في كراچی قبل ثلاث  
سنين .

- ٥ -

### زبور عجم

( باللفة الفارسية )

نشره سنة ١٩٢٩ م . وهو من أجود شعره ، وأدقته معنى ، وأبعده  
مرمى .

صدره بكلمة الى القراء يقول فيها :

« تحجب عيني شعرة حينا ، وترى عيني العالمين حينا . ان وادي العشق  
سحيق وطويل ، ولكن طريق مائة سنة تطوى بأهه حينا . جد ولا يهين  
أملك وعزمك . قرب سعادة تواتي على قارعة الطريق حينا » .

وهذا الديوان أربعة أقسام :

الأول فيه دعاء وست وستون قطعة أكثرها بدون عنوان

والثاني فيه خمس وسبعون قطعة تقل فيها العناوين أيضا .

والثالث حديقة السر الجديدة ( كلشن راز جديد ) وهو على طريقة  
( كلشن راز ) الذي ألّفه الشيخ محمود الشبستري اجابة لأسئلة في  
التصوف أرسلها اليه بعض الصوفية . ولهذا سمى اقبال منظومته  
( كلشن راز جديد ) .

• وفيه يجيب اقبال تسعة أسئلة فيها دقائق فلسفية وصوفية •

السؤال الأول مثلا :

« أنا في حيرة من فكري • ما الشيء الذي يسمّى فكرا ؟  
أي فكر يدلنا على الطريق ؟ لماذا تكون الطاعة حينا ، والمعصية حينا • »

والسؤال التاسع :

من الذي انتهى الى سرّ الوحدة ؟ وما الذي انتهت اليه معرفة العارف ؟

والقسم الرابع من هذا الديوان : « كتاب العبودية »

يتن فيه آثار العبودية في الحياة ، والفنون الجميلة ، على مذهبه المعروف •  
هذه الأقسام كلها تعرف باسم زبور عجم • وقد جمعت في مجلد واحد  
عليه هذا العنوان ، ولكن يتبين من العناوين الداخلة أن القسمين الأولين  
هما زبور العجم ، وألحق بهما القسمان الأخيران بعنوانين منفصلين •

— ٦ —

جاويد نامه

( بالفارسية )

وديوان جاويد نامه طبع سنة ١٩٣٢ ، ومعناه الكتاب الخالد ، وفيه  
تورية الى جاويد ابن الشاعر •

وهو منظومة مزدوجة القافية ( مثنوية ) في بحر واحد هو الرمل مثل  
منظومتى الأسرار والرموز • وهى من أعمق شعره ، يحتاج قارئها الى زاد  
كثير من المعرفة بالتصوف والفلسفة والتاريخ •

وجاويد نامه قصة سفر في الأفلاك كقصة داتى الشاعر الايطالى ، فيها  
زهاء ألفى بيت •

لل قصة مقدمة فيها مناجاة وفصول أخرى ، الى أن تظهر روح جلال

— ١٣٧ —



الدين الرومى صاحب المثنوى المشهور • فيشرح أمرار المعراج • وهو دليل الشاعر فى هذه الرحلة • ثم يأتى زَروان وهو روح الزمان والمكان فيحمل الشاعر ودليكه جلال الدين الى العالم العلوى ، فيسيحان فى الأفلاك الستة ، القمر وعطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزحل • ثم فيما وراء الأفلاك • وتختتم المنظومة بأبيات كثيرة يخاطب فيها جاويد ( ابنه ) والجبل الجديد<sup>١</sup>

وفى هذه الأسفار يلقى الشاعر كثيرا من الفلاسفة والصوفية والشعراء والملوك والساسة القدماء والمحدثين •  
مثلا يقابل فى فلك القمر جمال الدين الأفغانى وسعيد حلیم باشا •  
ويلقى فى فلك الزهرة فرعون وكشنر والمهدى السودانى •  
وفى فلك المشتري يلقى الحلاج والشاعر غالب وقرّة العين الطاهرة •  
وفىما وراء الأفلاك يرى نطشه الفيلسوف الألمانى والسيد الهمدانى ونادر شاه ، وأحمد شاه الأبدالى والشاعر الهندى برترى هرى •  
وكانت هذه المنظومة أول ما فكرت فى ترجمته من دواوين اقبال ، ولكن بدا لى من بعد أن أقدم عليها رسالة المشرق ثم ضرب الكلم ثم الأسرار والرموز •  
ولا أدرى متى يتيسر لى ترجمتها والله ولىّ التيسير •

— ٧ —

### مسافر

« باللغة الفارسية »

وفى سنة ١٩٣٤ نشر مسافر ( باللغة الفارسية ) وهى منظومة مزدوجة ( مثنوية ) سجّل فيها ما جال بفكره ، وجاش فى قلبه حينما سافر الى

(١) انظر وصية اقبال لاحد اصحابه بقراءة هذه الابيات ص ٤٣ من هذا الكتاب .

أفغانستان بدعوة من الملك نادر شاه كما قدمت في الكلام على سيرته •  
وخاطب في هذه المنظومة الملك نادر شاه ، وقبائل الأفغان ، وهو كثير  
الاعجاب بشجاعتهم وحرّيتهم •

وكذلك وقف على ضريح الملك بابر رأس الدولة التيمورية في الهند ،  
وهو من أعظم ملوك العالم ، وعلى قبر الشاعر الصوفي الحكيم سنائي •  
وهو طليعة شعراء التصوف العظام في اللغة الفارسية • وأدّى حق التاريخ  
بوقفة على قبر السلطان محمود الغزنوي « يمين الدولة وأمين الملة ... »  
محمود بن سبكتكين » وزار أيضا قبر أحمد شاه بابا ، الملقّب دُرّاني  
وختم المنظومة بأبيات خاطب بها الملك ظاهر شاه ابن نادر شاه • وقد  
قتل نادر شاه رحمه الله بعد عودة الشاعر من أفغانستان فخلفه ابنه  
ظاهر شاه •

— ٨ —

### بال جبريل ( جناح جبريل )

#### ( باللغة الاردية )

نشره سنة ١٩٣٥ م • وفيه هذه الأقسام :

١ — احدى وستون قطعة تتناول أفكاره الشائعة في شعره في  
صور شتى ، ورباعيات قليلة •

٢ — وقصائد نظمها في الأندلس حينما زارها كما بينت في سيرته •

وهي دعاء في مسجد قرطبة ، وقصيدة طويلة رائعة في وصف هذا  
المسجد ، وقصيدة عن المعتمد بن عباد في سجنه ، وأول نخلة غرسها عبد  
الرحمن الداخل في الأندلس ، وقصيدة عن أسبانيا ، ثم دعاء طارق في المعركة

— ١٣٩ —



٣ - ومن عيون القصائد في القسم الثالث منظومة عنوانها لينين أمام  
الله . وهي في صورة قصة تمثيلية ، وأشعار نظمت في فلسطين ، ومنظومة  
عنوانها « الملائكة يودعون آدم خارجا من الجنة » ومحاورة طويلة بين  
جلال الدين الرومي ومريد هندي

وأبيات عنوانها على قبر نابليون ، وأخرى عنوانها مشونيسي

٤ - وقطع أخرى كثيرة .

- ٩ -

« بس جه بايد كرد اي اقوام شرق »

« ما ينبغي ان نعمل يا امم الشرق »

( باللغة الفارسية )

منظومات مثنوية نشرها سنة ١٩٣٦ م بعد أن استولت إيطاليا على  
الجيشة . ووضع عليها كلها عنوان المنظومة التي ذكر فيها حرب الحبشة  
وعصبة الأمم . وهو العنوان الذي صدرت به هذه الأسطر ولكن فيها  
عناوين متعددة في موضوعات مختلفة مثل :

خطاب الشمس ، الحكمة الكليمية ، الحكمة الفرعونية ، لا الاله الا الله ،  
الفقر ، الرجل الحر ، في أسرار الشريعة ، كلمات الى الأمة العربية الخ .

وهذه المنظومات في جملتها حكمة بالغة ، وشعر بليغ نفثها الشاعر  
حين حزنه أحوال المسلمين ، وحزبه ما رأى من فتون الحضارة الأوربية ،  
وضلالها وجور ساستها ، وقسوة قاداتها ، وعدوانهم على الأمم الضعيفة .

- ١٤٠ -

### ضرب كلیم

( باللفة الاردية )

نشره سنة ١٩٣٧ • ولم ينشر في حياته ديوان بعده •  
وهو ديوان مفصل على أبواب فيها نظرات في الاسلام ، والترية ،  
والمرأة ، والفنون الجميلة والسياسة وغيرها •  
فالفلسفة فيها واضحة ظاهرة في أفكار معينة في موضوعات محددة •  
ودعوة اقبال فيها واضحة •  
وهو ثانى دواوين اقبال التى ترجمتها الى العربية • وقد كتبت له مقدمة  
وافية فليرجع اليه من يشاء •

### أرمغان حجاز « هدية الحجاز »

( باللغتين الفارسية والاردية )

هذا الديوان نشر بعد وفاة الشاعر • فيه آخر أفكاره ، وختام نظراته ،  
ولكن فيه منظومة مهمة عنوانها مجلس شورى ابليس كتب فوقها « سنة  
١٩٣٦ » • ولا أدري لماذا لم تنشر من قبل في ضرب كلیم الذى نشر سنة  
١٩٣٧ • لعل الشاعر لم يجدها ملائمة لهذا الديوان ، وهو آخر ما نشر في  
حياته فجُمعت ، الى ما نظم بعد ضرب كلیم ، في هذا الديوان الآخر ، ديوان  
أرمغان حجاز •



والقسم الفارسي من هذا الديوان ، وهو أكثره ، رباعيات مقسمة على  
هذه العناوين :

الى الحق ( الله تعالى ) - الى الرسول - الى الأمة - الى العالم  
الانسانى - الى رقاء الطريق •

وبين الرباعيات التى جعل عنوانها الى الأمة ، احدى عشرة رباعية  
يخاطب بها شعراء العرب •

وفى كل قسم من هذه الأقسام عناوين أخرى تنقسم الرباعيات •  
والقسم الأردى - أعظم شأنًا :

فيه مجلس شورى ابليس • وهو محاوره بين ابليس ومشيريه ،  
وشكوى بعض المشيرين من الديمقراطية يخافون أن تصلح العالم، وشكوى  
آخر من الشيوعية ، ومحاوره بين المشيرين ، وجواب ابليس بأنه لا يخشى  
كل ما ذكروه من المذاهب ، ولكن يخشى الاسلام ان تنبه المسلمون •  
ففيه دون غيره القضاء على سلطان ابليس •

ومن عيون قصائد هذا القسم رثاء راس مسعود صديق الشاعر •  
وهو رثاء بلغ فيه اقبال من الفلسفة والعاطفة الدرجات العلى •

وفى هذا القسم محاورات أخرى • وآخره رباعيات

## الفصل الثاني

### مذهب اقبال في الفنون الجميلة

— ١ —

#### مقدمة

للفلاسفة والنقاد مذاهب وآراء في الفنون الجميلة عامة وفي الشعر خاصة .

تختلف مذاهبهم وآراؤهم في قَدْر الفنون وخطرها ، وتختلف في مقاصد الفنون وغاياتها ، وتختلف في مقاييس الحسن والقبح ، والكمال والنقص فيها .

وذلكم موضوع واسع مفصل لا يتسع المجال لبحثه كله أو بعضه . فحسبى التمثيل ببعض المذاهب وأصحابها تمهيدا للأبانة عن مذهب اقبال :

#### ١ - الفن له مقاصد

يرى كثير من النقاد أن الفنون محاكاة الطبيعة . وأقدم من أثرت آراؤهم في هذا ، أفلاطون وأرسطو . قالوا ان الفن محاكاة للطبيعة ولكنهما يختلفان فيما بعد هذا .

فأفلاطون يحقر الفنون بأنها محاكاة الطبيعة ، والطبيعة نفسها مظاهر خادعة أو ظلال لا حقائق لها . ومذهبه في عالم الحقائق أو المثل وعالم المادة معروف . ويذم أفلاطون التمثيل لأنه يثير العواطف فيصعب كبجها . ويحقر الشعراء بأن خيالاتهم الكاذبة في الله والناس سيئة الأثر في عقول الشبان .

ويستحسن أرسطو الفنون بأنها محاكاة الانسان لأعمال الاله . انها تحاكي الطبيعة والاله هو المحرك الأول لها . ويحمد أرسطو الفن كذلك بما يثير العاطفة ويهذبها فتسهل السيطرة عليها .



ويؤخذ من هذه الكلمات أن الفيلسوفين يقيومان الفنون بما تؤدي اليه من خير وشر . فهما ممن يتبعون الفن المقاصد الأخلاقية . وأكثر النقاد على هذا المذهب ، يقيمون الفن بأثره في الانسان وصلته بالأخلاق .

ولأفلاطون خاصة عناية بأثر الفن في الأخلاق . يرى أن الفن في مادته وصورته ، ينبغي أن يقصد الى الأخلاق والمعرفة ، وأن سحر الفن ينبغي أن يستعان به على خلق المواطن الصالح .

ويرى أن تحظر الموسيقى الا الألحان التي تدعو الى الشجاعة والاقدام والألحان التي تنبه الأنسان ، وتبث في نفسه حب الاعتدال والنظام وتقديس الآلهة .

وأما السرور الذي يبعثه الفن فهو يعين العقل على هداية الانسان الى الصراط السوي .

ويذم أفلاطون أصحاب الفنون المفسدين ويوصي بأن ينفوا من البلاد . كثير من النقاد ، بل أكثرهم ، يوجبون أن يكون للفن مقاصد ، ويقومونه بأثاره في حياة الانسان . وفي طليعة هؤلاء أفلاطون وفي مؤخرتهم برنارد شو .

منهم من يجعل غاية الفن السرور . ويؤثر عن أرسطو قوله ان الفن محاكاة لها مقصد نفساني واجتماعي . وهذا المقصد هو اللذة التي تنشأ من انطلاق الانفعال المكظوم .

ويؤثر عن سنت أغسطين في العصور الوسطى ، أن مقصد الفن خلق الجمال ، والجمال هو ما تسر الانسان رؤيته . وذهب هذا المذهب نقاد في كل عصر حتى عصرنا هذا . ومنهم العالم النفساني فرويد ، يرى أن الفن يريح فكر الفنان والرائي من التوتر ، بأرضاء الرغبات المكظومة . والفريق الثاني من القائلين بأن للفن مقاصد ، منهم من يقول أن مقصد

الفن الحياة نفسها • ومنهم قائم ان الفنان معلم • وأعلى مقاصده أن  
يُنْبِض قلب الانسان • والقلب مركز الحياة • فالفن موصول بحياة  
الانسان لا محالة ، موصول بكونه المادى والأخلاقى • ويقول آخر ان  
الفن نقد الحياة • ويقول تليستوى ان مقصد الفن أن ينقل الى النفوس  
أنبل العواطف وأعلاها •

ويدم الفن الفرنسى فى عصر الانحطاط لأنه يعبر عن عواطف الحكام  
الأراذل •

### ب - الفن للفن

فى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى ، انتشرت دعوة الى تقويم  
الفن بنفسه ، وانكار أن يكون للفنون مقاصد الا نفسها • وقال دعائها انما  
يعالج الفن للفن<sup>١</sup> •

وكان من دعائها فى فرنسا فلوير وبندليير<sup>٢</sup> ، وفى روسيا بوسكين وفى  
انجلترا اسكار وايلد ووولتر بيتر<sup>٣</sup> •

وكانت هذه الدعوة فى الحقيقة تطورا لمذهب الطبيعيين<sup>٤</sup>

ومعنى هذه الدعوة أن الفن يتقصد لجماله • وأما الحق والخير وما يتصل  
بهما فليس لها صلة بالفن ، أو هى تابعة وليست المقصد الأسمى •••  
ليس للفن غاية الا نفسه ، لا يقصد الا اياه •

ليس للفن رسالة الا أن يثير فى النفس الاعجاب بالجمال • وان قصد أمر  
آخر كالأخلاق والتعليم والمال والصيت ، وضع هذا القصد من قيمة الفن •

L'art Pour L'art (1)

Flaubert, Baudelaire (2)

Oscar Wilde, Walter Peter (3)

RomanTiers (4)



الفن مقصد لا وسيلة • ومن قصد في الفن الى غير الجمال فليس بفنّان •  
والشيء اذا صار نافعا لم يبق جميلا •

يقول أسكار وايلد :

أول شرط للابتكار أن يدرك النقاد أن عالم الفن وعالم الأخلاق  
متباينان كل التباين • «

وكانت هذه الدعوة ، من الجهة الاجتماعية ، دعوة الى الفردية المطلقة  
أنشأت فنونا مدمّرة كل الفضائل التي عرفتها العصور الماضية •

### ج - اصحاب العبارة

وذاعت قبل هذه الدعوة ، واستمرت بعدها ، دعوة أخرى تشبهها • هي  
الدعوة الى تقويم الفن بصورته لا بمعناه ، الى تقويم الشعر مثلا بالألفاظ  
والوزن والأسلوب لا بالموضوع والمعنى • فهي تميز بين القصة - مثلا -  
ومعانيها وأشخاصها ، ومسارحها ، وعواطفها ، وبين اللغة والعبارة والسياق  
والوزن •

وقد ثار من قبل الجدال بين أدبائنا أدباء العرب على البلاغة أم هي في  
الألفاظ أم في المعاني • وكتب في هذا عبد القاهر الجرجاني صاحب دلائل  
الاعجاز وأسرار البلاغة وغيره •

وتذكرنا كلمات ابن خلدون في مقدمته بدعوى هؤلاء اللفظيين • يقول:

« فالمعاني موجودة عند كل واحد ، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء  
ويرضى • فلا تحتاج الى صناعة • وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج  
للسناعة كما قلناه • وهو بمثابة القوالب للمعاني • فكما أن الأواني التي  
يفترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج  
والخزف ، والماء واحد في نفسه ، وتختلف الجودة في الأواني المبلوءة بالماء  
باختلاف جنسها لا باختلاف الماء ، كذلك جودة اللغة وبلاغتها في الاستعمال

تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، باعتبار تطبيقه على المقاصد .  
والمعاني واحدة في نفسها . »

وقال المتأخرون من أصحاب هذا المذهب :

ليس الاعتبار بما تعبر عنه بل بما تعبر به ، ولا قيمة للمعنى بل للأداء  
فربما تعرب عن قبيح أو جميل ، وعن حق أو باطل ، وعن صواب أو غلط  
ولا يدخل شيء من هذه في تقويم الفن ، ولكن يقوّم الفن بالصورة التي  
تبين بها عن هذه الأشياء . »

قابل هؤلاء شعراء « الفن للفن » بشعراء « العبارة للعبارة »

وكانت هاتان النظريتان شائعتين حينما شرع اقبال ينظم الشعر .

ولكن الشاعر الفيلسوف القوي لم يبال بهذه ولا تلك كما نرى  
من بعد . »

— ٢ —

### مذهب اقبال في الفنون عامة

أبدأ هذا الفصل بكلمة عالية كتبها اقبال في مقدمته لديوان غالب  
المصور :

« اذا نظرنا في تاريخ الثقافة الاسلامية فرأى أن الفن الاسلامي فيما  
عدا العبارة ( الموسيقى والتصوير بل الشعر ) لمّا يولد ، أعنى الفن الذى  
يقصد الى أن يتخلق الانسان بأخلاق الله . والذى يمدد الانسان بألهام  
لا ينقطع ( أجر غير ممنون ) ثم يحقق له خلافة الله في الأرض . »

ذلكم طموح اقبال في الفنون ، وأمله فيها . وذلكم ما اجتهد طول عمره  
أن يحققه في شعره ، وفلسفته . »



وفي ديوان زبور العجم منظومة طويلة بين فيها اقبال أثر الحرية والعبودية في الفنون ، ووصل الفن بقلب الانسان وروحه ، بل وصله بالله تعالى ، اذ جعل الفنان الحق هو الذي يسمو بنفسه محاولا أن يتصف بصفات الله .

ويرى القارىء في هذا الفصل شواهد من هذه المنظومة حين الكلام في التصوير والموسيقى والعمارة .

يذهب اقبال في الفنون مذهبا يلائم فلسفته التي أجملتها للقارىء في هذا الكتاب :

قوام الحياة ، الذاتية . ومقصود الحياة تقوية الذاتية وتكميلها وشحذها واشغالها . وتقوى الذات من تخليق المقاصد والآمال . والذات بعشق آمالها ، والسير إليها ، واقتحام العقبات من أجلها ، واحتقار الأهوال في سبيلها ، تذلل كل صعب ، وتيسر كل عسير ، وتدنى كل قصى وتسخر كل شيء .

وقد طبّق اقبال مذهبه هذا في كل شؤون الحياة :

١ - الخير ما يقوى الذات وينميها ويكملها ، والشر ما يضعفها وينقصها .  
وفي القرآن الكريم : « قد أفلح من زكّأها وقد خاب من دسّأها » .  
وهذا قياس كل شؤون الحياة وعقائد الانسان وأعماله :

الدين والفن والتدبير والخطب

والشعر والنثر والتحرير والكتب

كل " يحيط بمكنون يَضنّ به .

في صدره يتوارى جوهر عجب ١

ان تحفظ «الذات» هذى فالحياة بها

أو قصرت فهنى عندى السحر والكذب

(١) كل هذه فيها سر تحنفظ به هو حفظ الذات وتقويتها .

كم أمة تحت هذه الشمس قد خزيت  
اذ جانب الذات فيها الدين والأدب

ب - والفنون تقوم بقوة النفس التي أنشأتها ، وقوة أبحاثها وقوة تأثيرها في الطبيعة والانسان . كل فن أنشأته نفس ضعيفة ، فكان له في الناس أثر ضعيف ، أو أنشأته نفس مفسدة شريرة ، فكان له في الناس افساد ، فهو فن لا قيمة له ؛ بل هو فن خاسر ، يضر ولا ينفع . ولا يقوم الفن بنفسه ، فأن مقصود الفن الحياة .

يقول الشاعر في المقدمة القصيرة التي كتبها سنة ١٩٢٨ م لديوان الشاعر غالب المصور ، الذي صوره عبد الرحمن چغتاي والمسمى مرقع چغتائی :

« أرى الفن خادما للحياة والشخصية . أبتت عن هذا الرأي سنة ١٩١٤م في ديواني « أسرار خودى » وأوضحته مرة أخرى بعد اثنتى عشرة سنة في القصيدة الاخيرة من ديوان « زبور العجم » حيث حاولت تصوير روح الفنان الأمثل الذى يتجلى العشق فيه توحيدا بين الجمال والقوة »

ويقول فى ضرب الكليم :

اذا أضنت الروحَ آلامَ رِقِّ      ففتك عَبدٌ رهين سِجود  
وان عرفتَ قدرَها كنتَ حقا      على الانس والجن رب الجنود

الخلود للانسان وللفن بالقوة والحرية والتأثير فى الحياة ، التأثير القوى الحسن ، الذى يقوى الحياة الضعيفة ويزيد الحياة القوية قوة :

أنت تحت الشمس تمضى كشرار

لست تدرى ما مقامات الوجود

ليس فى فنك للذات بناء

ويح تصوير وشعر ونشيد



والفن الذى لا يطبع على الحياة نفسه ، ولا يخلد على الدهر آثاره  
ليس جديرا باسمه

مقصِد الفن فى الحياة لهيب  
أبدى<sup>١</sup> فما وميض الشرار ؟  
قطرَ نيسان ! ما اللالىء ان لم  
تتلاطم بها قلوب البحار ؟  
ما نسيم الصباح فى الشعر واللحن  
إذا ما أذوى سنا الأزهار ؟  
ليس الا الاعجازَ يحيى ، قفن<sup>٢</sup>  
ليس ضربُ الكليم فيه ، عوارى  
لا فن بغير قوة ولا جمال بغير جلال :  
وأرى الجمال جميعه فى أن ترى  
فى سجدة للقوة الأفلاك<sup>٣</sup>  
ولنعمة<sup>٤</sup> من دون نار تفخة  
ما الحسن الا بالجلال يحاك

ج - ويقول اقبال فى مقدمة ديوان غالب :

لعل احياء<sup>٥</sup> واحداً من نفس مسفة ، تستطيع اغواء الناس بغنائها أو  
تصويرها ، شر<sup>٦</sup> على الأمة من جيش لآتيله أو جنكيز .

كما قال نبيّ الاسلام فى امرىء القيس أعظم شعراء الجاهلية : « أشعر  
الشعراء وقائدهم الى النار . »

---

(١) يقال ان مطر شهر نيسان تسقط قطراته فى الصدف فيخلق فيه الدر .  
والشاعر يقول ان هذه اللالىء ان لم تجش بها قلوب البحار فلا قيمة لها ، فعمل  
الفنان الذى لا يجيش له قلب العالم ليس بشيء .

وهو ينعى على الهنادك بعد فتهم عن الحياة ، واقتترانه باختوع  
وتصويره الموت ، وقتله الروح • يقول في ضرب الكليم :

تُخيلُهُمْ جنازة كل عشق      وظلمة فكرهم للحىّ قبر  
وموئنتهم به نقش المنايا<sup>١</sup>      وليس لفتهم بالعيش خبر •  
يُنيم الروح في ايقاظ جسم      ودون المجد يُسدل منه ستر  
يسخرّ للأوثنة كل شيء      لهم قصص "وتصوير وشعر

د - والفن الصادق صورة من نفس الفنان ، بل هو مصوّر بدمه  
وعصبه •

من حُرقة في دم الباني مَشِيْدَة

حانات حافظ اوزونات بهزادا<sup>٢</sup>

ما جوهر يتجلى دون مَجْهَدَة

من ومضة الفاس نارت دارفرهادا<sup>٣</sup>

و - وليس للمقلد فن • انه يبنى أصنامه من حطام أصنام قديمة •

تَعِس الكافر مَنْ أصنامه      من حطام لمناة واللات  
هالك "صلى عليه فنه      في ظلام اللحد يرنو للحياة

ه - محاكاة الطبيعة :

ويرى اقبال أن الفنان ينبغي ألا يحاكي الطبيعة ، بل ينبغي أن يطبع  
نفسه عليها ، ويصوّر شعوره فيها • ويقول ان الانسان خلاق لا مقلد ،

(١) المونن معبد الاوثان •

(٢) حافظ الشيرازى الشاعر الفارسى المعروف وبهزاد مصور نابغ عاشر في عصر  
الصفويين • والزون معرض الدمى والاصنام

(٣) فرهاد مهندس فارسى تحكى اساطير الفرس انه شق في جبل بيستون قناة  
نلبن ليظفر بحبيبته شيرين كما اقترح عليه كسرى برويز، وله في الادب الفارسى  
صيت ذائع •



وصائد لا صيد ، وان أهرام مصر أعظم من الصحراء المحيطة به !

شادت الفطرة كتبانا لها      في سكون من يباب يتتقد  
روّع الأفلاك فيه هرم      أى كف صورت هذا الأبد؟  
من اسار الكون حرر صنعة      صائد ذو الفن أم صيدا يُعد

وفي رسالة المشرق يقفُ اقبال الانسان أمام خالقه معددا ما فعل في  
الأرض :

خلقت الظلام فصغت السراج      وطينا خلقت فصغت الكنوسا  
خلقت جبالا وبيدا وروضا      خلقت حدائقها والغروسا

أنا من حجار صنعت مرايا

أنا من سموم صنعت دوايا

ويقول في ديوان آخر :

ذلك الفنان الذى يزيد على الطبيعة ، ويتفشى لأعيننا أسراره ،

حوره من حور الجنة أجمل ، ومن ينكر أصنامه فهو كافر .<sup>١</sup>

وأختم هذه الكلمة بقوله في مقدمة ديوان غالب :

ان فى سيطرة المرئى على غير المرئى ، وابتغاء ما يسمى فى العلم  
ملاءمة الطبيعة ، اعترافا بسيادة الطبيعة على روح الانسان . وانما  
القوة فى مقاومة تأثيرها لا فى خضوعنا لعملها . ان مقاومة ما هو كائن  
طلبا لما ينبغى أن يكون ، لهو صحة وحياة . وكل ما عدا هذا علة وموت .

(١) يعنى من لا يؤمن بما يخلق هذا الفنان من الصور كافر بالحقيقة .

ان حياة الله تعالى والانسان خلق مستمر . ان الفنان الذى هو نعمة على الانسانية يتحدى الطبيعة . وهو يتخلق بأخلاق الله ، ويشعر فى روحه باتصال الزمان والخلود . هو كما يقول فيتشه : « يرى كل الطبيعة كاملة فسيحة فيأضة ، لا كمن يرى الأشياء كلها أصغر ، وأهزل ، وأفرغ مما هي فى حقيقتها . الطبيعة كائنة وعملها تعويق سعينا الى ما ينبغى أن يكون . وهو ما يجب على الفنان أن يجده فى قرارة نفسه . »

و — هذا مذهب اقبال فى الفنون عامة ، وأزيد على هذا الأجمال أمثلة من تطبيق فلسفته على بعض آحاد الفنون :

١ — المصور ينبغى أن ينشئ ، ويبين عن نفسه ولا يقلد . وقد قلد مصورو الفرس والهند أوروبا فأبطلوا فنهم ، ومات خيالهم .

|                                       |                           |
|---------------------------------------|---------------------------|
| عم هذى البلاد موت الخيال <sup>١</sup> | قلد الغرب فن عجم وهد      |
| يسلب الشرق بهجة الآزال <sup>٢</sup>   | شفنى الغم ، أن بهزاد عصرى |
| صنعة العصر والعصور الخوالى!           | يا خيرا بفسه فيه تمت      |
| أرنا الذات فوق كل مجال                | كم ترى من خليفة وتريها    |

ويقول فى منظومته ( كتاب العبودية ) فى آخر ديوان زبور العجم ، عن التصوير والمصور :

رأيت تصورا فاترا ، لا ترى فيه ابراهيم ولا آزر ( يعنى لا نحت الاصنام ولا تحطيمها ) .

ويذكر ضروبا من هذا التصوير الى أن يقول :

ريشة يقطر منها الموت ، ليس فيها الا خرافة الموت وسحره .

ويذكر ثقافة العصر قائلا : العلم الحاضر ساجد للآفلين ، يزيد الشك

(١) ديوان ضرب الكلم ص ٨٩

(٢) بهجة التى عرفت فى فنون الشرق من الازل .



ويمحو اليقين • ولا تعرف بغير يقين لذة التحقيق ، ولا بغير يقين تأتي قوة  
التخليق • من لا يقين له مضطرب رعديد ، يتعذر عليه النقش الجديد •  
عليل ، من « الذاتية » بعيد ، وهو من ذوق العامة في قيود • يستجدي  
الطبيعة الجمال ، وله في الحية مجال •

لا تلتمس الحسن من غير نفسك يامغبون ، واطلب ما يجب أن يكون •  
إذا أسلم المصور نفسه للطبيعة ، فقد أثبتها ونفى نفسه • وان ظن  
الانسان نفسه خلاء ، انطفأ نور الله في ضميره انطفاء • والكليم إذا زال  
عن نفسه تاه ، وأظلمت يده وعثر بعصاه • لا حياة الا بقوة الاعجاز •

وليس كل انسان يدرك هذا السر •

ويقول :

انما الفنان الذي يزيد على الفطرة ويتقشى سره لأعيننا • حوره من  
حور الجنة أجمل ، ومنكرلاته ومنااته كافر • انه يخلق كائنات أخر ، وقلبه  
بحياة أخرى يزخر • يموج بحره فيلقى الينا بدُرره • وروحه جياشة  
فياضه بغيره ، شأنها أن تملأ كل فراغ • فطرته الصافية عيار الحسن والقبح ،  
وصنعتة مرآة الحسن والقبيح • هو ابراهيم وهو آذر ، تصنع يده الأصنام  
وتحطمها • يهدم كل بناء قديم ، ويسلط مبركه على الموجودات كلها الخ  
٢ - والغناء حلال ان بعث في النفوس قوة وأملا وبهجة ، وحرام ان  
بث فيها ضعفا ويأسا وحزنا :

في صدور الأفلاك لحن خفى صاهر<sup>١</sup> حره نجوم الوجود

قد أحلت (شريعة الذات) لحننا لم يزل في انتظار شاد مجيد<sup>٢</sup>

(١) يحاول ان يسوى العالم بمبرده كما يبرد الصانع الحديد •

(٢) شريعة اللات التي بنا عليها اقبال فلسفته تحمل اللحن القوى المفسر في

الخليقة والذي لا يزال ينتظر من يخرج له للناس

ان سرت في اللحون دعوة موت  
حرّم الناي عندنا والرباب

ولنغمة من دون نار نفخة ما الحُسن الا بالجلال يحاك

٣ - والموسيقى كذلك • ينبغي أن تبعث في النفس قوة ووجدًا ،  
وتسمو بها الى المعالي • فإن لم يكن لها هذا التأثير في النفس فالمغنى بارد  
الدم ، وان لم يكن الزامر طاهر الضمير فأنفاسه في اللحن سموم •

ولا يزال اقبال يفتقد النعمات المحيية ، ويلتمسها فلا يجدها في الشرق  
ولا الغرب :

|                         |                                     |
|-------------------------|-------------------------------------|
| دلّ على بَرْد دم المغنى | لحن" له الوجوه لا تنير <sup>١</sup> |
| أنفاس زامر سموم لحن     | ان كان لم يطهر به ضمير              |
| بالشرق والغرب في رياض   | من الشقيق شاقى المسير               |
| فما مررت بينها بمرج     | شقت به جيوبها الزهور <sup>٢</sup>   |

وفي آخر ديوانه الذى سمّاه « زبور العجم » منظومة مثنوية طويلة  
سمّاهَا بندكى نامه ( كتاب العبودية ) بيّن فيها جناية العبودية على  
الحياة كلها ، وفضل الحرية عليها • وطبّق رأيه على الفنون فى فصل من  
المنظومة عنوانه « الفنون الجميلة عند العبيد »

فقال عن الموسيقى :

نعمة العبودية خالية من نار الحياة ، وألحانها مسفّفة مثلها • قلب منجمد

(١) ضرب الكليم من ٩٥

(٢) زهور الشرق والغرب لم يهجزها الوجد فتمزق جيوبها كما يفعل من يغلبه

الطرب من فرح او حزن •



لا حرارة فيه ، حُرْم لذة الحاضر والمستقبل • يظهر في مزماره سَرّه ،  
والموت الطويل في لحنه • انه يعلتك ويذتك ، وينفرك من الحياة  
ويملك •

احذر فما هذه الا نعمات الموت ، انها الغناء في لباس الصوت •

الى أن يقول :

لا بد من نعمة ربيبة الجنون ، هي حريق في شغاف القلب كمين •

ان في الألمان لمقاما تسع فيه بغير لفظ الكلام • والنعمة المضيئة هي  
سراج الفطرة في كل ظلام ، معناها يخلق كل صورة • وكل ناغم بغيرها جثة  
هامدة ، ونعماته شرار نار خامدة •

٤ - العمارة :

يتكلم عن العمارة في منظومته في آخر ديوان زبور العجم التي ذكرتها  
آنفا فيقول :

اصحب الماضين حيناً ، وتأمل في صنعة الأحرار ملياً • وانظر عمل  
ايك وسورى<sup>١</sup>

جلّى الأحرار ضمائرهم ، وعرضوا للأعين أنفسهم • فنظموا حجراً  
الى حجر ، فجمعوا الزمان في آن •

ان رؤية هذه الصنعة تنضح نفسك ، وترمى بك في عالم آخر • يهديك  
النقش الى النقاش ، فاذا سَرّه في الصنعة فاش •

ويخاطب الشاعر نفسه :

(١) قطب الدين ابيك باني مسجد قوة الاسلام في دهلي ، وشيرشاه سوري احد ملوك الهند

أنا من نفسى فى حجاب ، لم أرد فترات الحياة العُباب • كل احكام من  
اليقين يَين ، وأين منى احكام اليقين • ليس فى من « لا الاله الا الله »  
قوة فليست أهلا للسجود على هذه السدة •

ويدخل الشاعر بهذا القول الى ذكر « تاج محل » معجزة البناء الخالدة  
فيقول :

« سرح فى هذا الجوهر النظر ، انظر التاج فى ضوء القمر • صوروا من  
الماء الجارى مرمره ، فجمعوا الأبد هناك فى لمحة •

لقد صرّح عشق الرجال بالأسرار ، فتقّب بأهداب العين الأحجار •  
تجلّى عشق الرجال فى صورهِ ، فأثار نعمات من آجره وحجره • وعشق  
الرجال عيار الجمال ، يشق أستار الحسن ثم يصونه من الابتدال • جازت  
السّموات همته ، وفاتت عالم الكيف والكم عزمته • عى البيان عما شعرا  
فأبدى البناء من ضميره ماسترا •

العشق تصقل العقل يده ، ويخلق من الحجر مرآة • «

ويختم الفصل بقوله :

الحسن بغير قهر سحر ، وهو مع القهر نبوة • وقد مزج العشق الاثنين  
فى الأعمال ، وأثار عالما من الجلال فى عالم من الجمال •



## الفصل الثالث

### مذهب اقبال في الشعر خاصة

ذكرت آنفا مذهب اقبال في الفنون عامة ؛ أن لها مقصدا في حياة الناس ، وأن هذا المقصد ينبغي أن يكون تقوية النفس ، وأن الفن تعبير عن نفس قوية لا تحاكي الطبيعة ، ولا تقلد غيرها ، ولكنها تصوغ الفن من دمها ونبضها وتؤثر به في الحياة .

وفي هذا الفصل أخصّ بالبيان مذهب اقبال في الشعر ، وهو فرع من رأيه في الفنون عامة . واقبال كان شاعرا نابغة . فكان ، لا جرم أكثر عناية بالشعر ، ووجب على من يبيّن مذهب اقبال في الفنون الجميلة أن يخص الشعر بالبيان بعد الكلام في الفنون عامة .

— ١ —

### الشعر والحقيقة

الحقيقة ان لم تخالطها العاطفة فهي حكمة . وان قبست من نار القلوب فهي شعر .

يقول اقبال في رسالة المشرق :

كل حق دون وجد حكمة وهو شعر ان يثب نار القلوب  
وهذا حق . كل حقائق العالم موضوع للشعر ان خالطتها العاطفة ،  
ولونها الخيال .

ولا يتسع المجال لتفصيل القول في هذا . وحسبى أن أقول ان اقبالا

يرى أن حقائق العالم كلها تدخل في الشعر ان قبست من نيران القلوب •  
وقد عالج الفيلسفة العالية ، وحقائق الحياة في دواوينه التسعة التي عددها في  
الفصل الأول من هذا الباب •

— ٢ —

### الشعر جمال وجلال

ولا غنى للشعر عن أن يكون جمالا وجلالا ، وأن يكون بانيا أو  
هادما ، وأن يكون هديا الى كمال أو ثورة على تقص •

لم أدر سرّ الشعر الانكته      سير الشعوب تبينها تفصيلا:  
الشعر فيه من الحياة رسالة      أبدية لا تقبل التبديلا  
ان كان من جيريل فيه نغمة      أو كان فيه صور اسرافيل

— ٣ —

### الشعر حياة وأمل

والصمت خير من شعر لا يبعث في النفس قوة الحياة ، ونضرة الأمل ،  
ولا يحدو الناس الى المعالي ، ويحب اليهم الحياة العزيزة الكريمة •

كم بشعر العجم من سحر ولكن  
منه سيف الذات ذو حدّ كيل  
صمت طير الصبح أولى من غناء  
ان سرى باللحن في الروض ذبول  
ليس ضرباً ما يشق الطود ان لم  
تر منه عرش پرويز يميل<sup>١</sup>

(١) اشارة الى قصة فرهاد الذي شق طريقا في الجبل كما افترح كسرى برويز ثم لم يظفر  
من برويز بمراده - ضرب الكلم ص ٩٢



لا يوجب الشاعر بشعر العجم على ما فيه من سحر وفن لما يرى فيه  
من الترف ، والهمود ، والاشفاق من مشقات الحياة ، والتشاؤم .

يقول في ضرب كليم ٢

في غابة الشرق ناي " يتغنى نفسا  
ياشاعر الشرق هل في صدرك النفس ؟  
من كان في نفسه من رِقته خور  
فقل له من لحون العجم يحترس  
انأؤها من زجاج كان أو خزف  
اطبّع بخرمك سيفاً لمعه قيس  
لم تبصر الشمس من دنيا يُخال بها  
مجد بغير الجلال المرء يُلتمس  
طور جديد وبرق كل آونة  
لاقرب الله للعشاق ما التمسوا

هذه الأبيات عنوانها الشاعر . فهو يريد شاعر الشرق مجاهدا لا يركن  
الى الترف ، ويريد أن تكون معانيه لامعة قاطعة كالسيف مهما تكن ألفاظها  
وصورها .

ويريد أن يكون الشاعر داعيا الى المجد ، والمجد لا ينال بغير الجلال  
المرء ، والشعر عدّة هذا الجلال .

وكذلك يريد الشاعر سائرا بآماله الى غير نهاية ، ففي هذا السير  
توحى اليه المعاني السريّة ، ويرى كل حين للوحى طورا وبرقا . وخير  
للشاعر ألا يظفر بمطلوبه حتى لا يقف به المسير :

طور جديد وبرق كل آونة لاقرب الله للعشاق ما التمسوا

ولهذا أيضا يدعو اقبال شعراء المسلمين الى أن يتولوا وجوههم شطر  
البيداء حيث السفة والحرارة والريح العاصف ، والى أن ينسبوا بسلمى  
العرب في باديتها .

وسياتى ذكر هذا .

فاذا نفخ الشعر فى النفوس الحياة ، وبعث الانسان فهو وراثة النبوة  
ان يكن فى الشعر بعث الآدمى - كان فى الشاعر ميراث النبىء

— ٤ —

#### أثر الشاعر فى أمته

يبين اقبال عن آرائه فى الشعر والشاعر فى مواضع كثيرة من شعره  
أوفأها وأبينها ما كتبه فى فصل من أسرار خودى عنوانه « اصلاح الآداب  
الاسلامية » . يبين فى هذا الفصل مكانة الشاعر القوى وأثره فى الأمة  
حياة وأملا وهداية وعملا . كما يبين أثر الشاعر الضعيف فى الأمة ، ترفا  
وخمودا وبأسا وهلاكاً .

وهذه ترجمة أبيات من هذا الفصل فيها وفاء ببيان مذهب الشاعر  
الفيلسوف محمد اقبال فى الشعر والشعراء :

|                           |                             |
|---------------------------|-----------------------------|
| جلوة الحسن ضميرُ الشاعر   | مُتورهُ مَجلى الجمال الباهر |
| مكدمت الحُسن بحُسن نظرتُه | زادت الفطرة سحرا رقتِه      |
| علمُ البلبَل من تلحينِه   | ضاء خدءُ الورد من تلوينِه   |
| مضمَر فى خلقه بحر وبر     | ألف كون محدث فيه استر       |
| كم شقيق عنده لم يطلع      | كم لحون ، وبكى لم يُسمع     |
| فكره للبدر والنجم نجى     | يخلق الحسن وفى القبح عيرى   |



خَضْرُ" ، في ليله ماء الحياة  
 لظفت في سيرنا حيلته  
 فمضى الركبان اثر الجرس  
 وسرت في روضنا نسمة  
 تَنْضُرُ الأكوان من ماء بكاه  
 وعلت في ركبنا نغمته  
 وحدا الناي بنا في الفلَس ١  
 فسرت في زهرها نفتحته

هذا الشاعر الحى - الذى يبعث في الأمة الحياة • وشاعر آخر هو حادى  
 الهلاك ، ونذير الموت :

ويل قوم لهلاك طائره  
 تقبح الأشكال في مرآته  
 تذبذب الأزهار منه قبل  
 يسلب السرو جميل الميكل  
 هو حوت نصفه كالأدمى  
 يسحر الركبان باللحن المبين  
 يسلب القلب ثباتا نغمه  
 يلبس النفع ثياب الضير  
 سيل برق ما حوى نيسانه  
 سادر" بالحق لا يعترف  
 نومت ألحائه يقظتنا  
 صد- عن نهج المعالى شاعره  
 تقرح الأكياد من تفشاته  
 ويعاف الشدو ، منه البلب  
 ويرد- الصقر مثل الحجل ٢  
 كينات البحر يقتاد الغوى-  
 ولقاع البحر يهوى بالسفين ٣  
 ويرى الموت حياة كلمه  
 ويرى الخير قبيح المنظر  
 آل لون وشذى بستانه ٤  
 بحره ما فيه الا الصدف  
 أطفأت أنفاسه وقدتنا

الى أن يقول :

لاح كالنای هزيبا صائحا      شاكى الأقدار جهلا، نائحا الخ

ثم يقول بعد وصف الشاعر الفسل الخاكر اليأس ، مبيتا الطريقة المثلى  
 فى الشعر :

(١) جرس القافلة ونأى الحادى

(٢) يضعف الصقر الجارح فاذا هو كالحجلة .

(٣) فى الاساطير ان بنات البحر تفعل هذا بالسفن .

(٤) الال السراب . أى بستانه سراب من اللون والرائحة .

صير في القول! ان تبغ النجاة  
 نير الفكر يقود العملا  
 من بفكر صالح في الأدب!  
 وسليمي العرب يا صاح اعشق  
 من رياض العجم جمعت الزهر  
 فاشربن حر الصحارى يا صديق  
 اسلمن رأسك يوما صدرها  
 كم وطئت الورد في طول المدى  
 فعلى رمل الصحارى المضرم  
 صاح فيم النوح مثل البلبيل؟  
 ابن عشا حيث لا تبني الأنوق  
 لتري أهلا لاعصار الحياة  
 فاجعلن معياره نار الحياة  
 مثل برق قبل رعد جلجلا  
 ارجعن يا صاح شطر العرب  
 اطلعن صبح الحجاز المشرق  
 وبروض الهند سرحت البصر  
 اشربن من تمرها الراح العتيق  
 والأقن في حرها صرصرها  
 غاسلا كالورد خذا بالندى  
 أقدم من يوما وغص في زمزم  
 والام العيش بين الظلل؟  
 تلتقى فيه رعود وبروق  
 وتذيب النفس في نار الحياة

وفي فاتحة أسرار خودي يصف نفسه ويقول انه جديد غريب في هذا العالم ، الى أن يقول واصفا مذهبه في الاعراب عما في النفس في صراحة وجرأة وقدرة . وهو في الحق يصف المثل الأعلى للشاعر كما يتصوره :

أنا في يأس من الصحب القديم  
 بحر صحبي قطرة لا تزخر  
 من وجود غير هذا لي غناء  
 كم تجلئ شاعر بعد الحمام  
 وجهه من ظليلة الموت سفر  
 كم بهذا السهب مرت قافلة  
 غير أني عاشق ديني النواح  
 أنا لحن كل عنه الوتر  
 مشعل طوري ليغشاه كليم  
 قطرتي كاليم فيه صرصر  
 ولركب غير هذا لي حذاء  
 يوقظ الأعين فينا وينام  
 ونما من قبره مثل الزهر  
 مثل سير النوق رهوا سابلة  
 ثورة المحشر منى في الصياح  
 لا أبالي أن عودي يكسر .

(1) يعنى ان كثيرا من الشعراء لم يقدرهم الناس قدرهم ، ويهتدوا بهديهم الا بعد الموت وكذلك هو . وقد صدقت قوله مكاتنه اليوم بين مسلمى باكستان والهند



ويقول في رسالة المشرق . وهو اعراب عن مذهبه في الشعر والشاعر :  
 تغنى طائر سحرا طويلا فأبدع شدوه لنا وقيلا :  
 أبين عمّا بصدرك لا تدعه غناء أو أنينا أو عويلا  
 ويقول :

أنا في الروض منفرد غريب على غصنى أنوح مع الرياح  
 فدعنى بارقيق القلب وابعد فأن دمي ليقطر في نواحي  
 هذا مذهب اقبال في الشعر ، ألقته من أبيات في دواوينه وكلمات  
 مأثورة عنه . وهي جملة وراءها تفصيل ، وعنوان يتلوه ان شاء الله بيان وفير .

## الفصل الرابع

### شعر اقبال

معانيه وصوره وأساليبه

— ١ —

وصف اقبال نفسه

يقول الشاعر الملمه في فاتحة ديوان أسرار خودى :

من وجود غير هذا لى غناء ولركب غير هذا لى حذاء ١  
 أنا لحن كلّ عنه الوتر لا أبالى أن عثودى يكسر  
 لا تمى لجئى هذى الأنهر لا تمى موجى الا أبحر  
 كم بروق نائمات فى الجنان ضاقت اليد لديها والقنآن  
 ان تكن صحراء فاطلب لجتى أو تكن سيناء فاقبى شعلتى  
 قد وهبت الورد من عين الحياة وحببت السر من عين الحياة ٢  
 أشعل الذرات من لحنى التهاب فهى نور طائر يدعى الحباب ٣  
 مائثا ذّا السرة غيرى فى البشر لم يثقب ناطمٍ مثلى الدرر

أقبلن ان تبغ عيش الخالدين

أقبلن ان تبغ مثلك العالمين

(١) هذه ابیات مختارة وليست متوالية فى الديوان .

(٢) القافية مردوفة وعين الاولى عين الماء والثانية بمعنى نفس الشيء .

(٣) الحباب ذبابة ترى بالليل مضيئة . وهى عند اقبال مثال الحياة القوية التى تضىء  
 لنفسها . يكثر ذكرها فى شعره . وهنا يقول ان نار الحانى احييت الدرة فصارت الطائر الذى

يسمى حبابا .

ويكثر اقبال في شعره أنه عالم بالسر ، وأنه كشفت له أسرار الحياة .  
ولا ريب أنه شاعر ملهم ، شعر في قرارة نفسه أنه أدرك من أسرار  
الحياة ما لم يدرك غيره ، وأتته يُبلغ هذا العالم رسالة يؤمن بها اليوم أو  
غدا ، وأنه شاعر الغد وصوت المستقبل .

وكثيرا ما يقول : ان- في نفسه معاني لا تعيها الكلمات ، وفي قلبه  
أسرار ليس لها نجى . وقد سأل الله أن يهبه نجيا يعي عنه أو يسلب قلبه  
النار التي تضطرم فيه .

وفي رسالة المشرق هذه الأبيات بعنوان « الوردة الأولى »

وردة ظهرت في الروضة قبل غيرها ، فهي تنظر فلا تجد الا نفسها ،  
فتلمس نجيا في صورتها التي يمثلها الماء . وتقول الوردة ان على صفحاتها  
رسالة خطها القلم الذي صور هذه الحياة ، وأن قلبها في الماضي ، وعينها  
الى اليوم ، وأملها في الغد . فهي صلة الأزمنة الثلاثة .

واليك الأبيات :

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| لا أرى في الرياض لى من قرين | أنا أولى زهور هذا الربيع |
| أبتغى في الغدير صورة نفسى   | لأرى وجه مؤنس ، لى سميع  |
| فى سطورى رسالة من يراع      | خط سطر الحياة فى ترصيع   |
| أمس قلبى، وعبرة اليوم عيني  | وغدى مئيتى وكل بديع      |

وأنا النجم خلقتة الثريا

نسج الطين ثوب ورد عليا

هكذا تحدث اقبال عن نفسه فهل وفى شعر اقبال بهذه الدعوى ؟ هل  
حقق هذا الأمل ؟



لا ريب أن اقبالاً أمدّ الانسان عقله وقلبه ويده ، بزاد من الفكر  
والعشق والأمل والعمل ، أفاضه شعرا مختلفة طرائقه رائعة صورته في  
تسعة دواوين .

— ٢ —

### موضوع شعر اقبال

موضوع شعره الحياة والعالم ، يبيّن فيهما الحقائق ، ويكشف الأسرار ،  
ويوقظ الانسان ويدعوه الى قدر نفسه ، وتقوية ذاته ، ويناديه أنك أعلى  
الخليقة وأن العالم كله مسخّر لك . وامامته في هذه الدعوة القرآن الكريم  
كما في الآية :

« ولقد كرّمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من  
الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً »

والآية : « وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه »  
وآيات أخرى كثيرة .  
يقول مخاطباً الانسان :

ولك الوقت والتصرف فيه ليس يا غرّ ! للنجوم غناء

أين منك الأفلاك ؟ انك حرّ وهى قهّزّ ذهابها والاياب

والجهاد في هذا العالم لتذليل الطبيعة وتسخيرها هو قوّة الذات ورقبتها .  
والانسان الحرّ أو المؤمن ، يسخر هذه الكائنات حتى لا تكون أمامه  
شيئاً ، والانسان العبد ، أو غير المؤمن ، يضل في الكائنات ويذل لها .  
ففرق ما بين المؤمن والكافر في رأى اقبال أن المؤمن يسخر هذا العالم  
ويقتحم عقباته الى مقاصده العليا ، لا يحار في الكائنات ولا يضل ، ولا  
بعياً بتسخيرها ولا يذل .

انما الكافر حيران      له الأفاق تيه  
وأرى المؤمن كونا      تاهت الأفاق فيه

وفرق آخر أن المؤمن أو الحرّ ، خلاق مبتكر دائم الأمل والعمل  
والكافر أو العبد عاجز لا يتكرر ولا يجدد

يقول في أسرار خودى :

فكرة العبد حصول الحاصل      ليس في أفكاره من طائل  
في مقام من همود راكد      نوحه ليلا وصحبا واحد  
ومن الحر جديد الحلقة      كل حين وجديد النعمة

وفرق آخر أن العبد يعتلّ بالقضاء والقدّر ، ويرتّبك في خيوط الزمان  
أو ينسج شبكة الزمان على نفسه ، والحرّ مشير على القضاء والقدّر  
وناسج نفسه على الزمان •

نكتة كالدر خذها رائقة      بين حرّ ورقيق فارقه  
حار عبد في فيافي الزمن      حير الأفاق قلب المؤمن  
ينسج العبد عليه كفنا      من صباح ومساء ، مذنعا  
وترى الحرّ على الترب اعتلى      ناسجا همته فوق الملا  
قيّد العبد صباح ومساء      وثوى في فمه لفظ «القضاء»  
لكن الحرّ مشير للقدّر      صورت كفاه أحداث الدهر

\*\*\*

ويرى اقبال أن المؤمن معيار الخير والشر في الدنيا والآخرة وأنه يبلغ  
من المكانة أن يسأله ربّه ماذا يرضيك ؟ •

يقول في ضرب الكلم في الآيات التي أولها :

(1) اسرار خودى •



ان للمؤمن العظيم الشان كل حين جديد شان وآن :  
« لست تدري بسرّه فتراه قارئاً وهو صورة القرآن  
فيه عزم على القضاء دليل وهو في العالمين كالميزان  
ليله والنهار لحن حياة في انسجام كسورة الرحمن »

الانسان في هذا العالم مدرك مفكر حرّ . والخلائق مسخرة مجبرة ،  
يعلى اقبال قدر الانسان ، ويبين فداحة الأعباء التي يحتملها ، ويمدّه من  
القوة والأمل والعزم بما يؤهله لحمل هذه الأعباء الجسام .

انظر الى قصيدته التي عنوانها « وحدة » في ديوان رسالة المشرق لترى  
الانسان يأتي الى البحار مسائلاً والى الجبال ويرتقى الى البدر ، ثم ينتهي  
الى الله ، يسأل أهو وحده صاحب القلب في هذه الخليقة يحمل الأمانة التي  
أشفقت منها السموات والأرض والجبال ؟

فلا يرد البحر والجبل والقمر أسئلته ، ولا يجيبه الله تعالى الا  
بالابتسام . ولعله ابتسام الاعجاب بهذا المخلوق الكبير .  
وستأتى القصيدة في التمثيل لشعر اقبال .

\*\*\*

هذه أصول فلسفة اقبال ، وعمدة آرائه ، فالانسان ذاته وقوته وقدرته  
وحرّيته وجهاده ، والجماعة التي تتألف من هذا الانسان ، خصائصها  
ومزاياها ، ومسيرها وغايتها ، وقوتها التي لا تحدّ ، وعزمها الذي لا يبعد  
عليه أمد ، كل هؤلاء موضوع شعر اقبال . صورّه فأحسن تصويره ،  
وبثه في أفكار شتى وصور مختلفة ، جهد الفكر الفيّاض ، والقلب  
الحياش والشعر المتدفق ، والبيان الساحر .

\*\*\*

والعرب الأولون الذي اتشروا بالاسلام في أقطار الأرض يدعون الى  
توحيد الله وتوحيد الأمم ، لا تصدّ عزمهم الصعاب والأهوال ، ولا تفرّق

همتهم بين دان وقاص ، ولا يبالون الموت في سبيل الحق - هؤلاء العرب هم مَسْكُلٌ اقبال في هذه الحياة ، وتصديق فلسفته فيها .

ذكرهم في شعره تصريحا وتلميحا ، ووفئاهم حقهم من الاعجاب ، وأبان عن نواحي العظمة في مآثرهم . وأبان عن حبه واعجابه واعظامه في وصف آثارهم كما في القصيدة الخالدة التي وصف فيها مسجد قرطبة .

— ٣ —

### ضروب هذا الشعر

لهذا الشعر الفياض الذي يسع السموات والأرض ، ويعلو الى ما وراءها ، طرائق مختلفة في سياق الموضوع ، وفي أشكال المنظومات والأوزان والقوافي .

أ - فيه القصص . وأعظم قصصه ( جاويد نامه ) ، التي قص فيها رحلته في الأفلاك ، كما ذكرت في الفصل الأول من هذا الباب . وقصص أخرى قصيرة متفرقة في دواوينه مثل ( مجلس شوري ابليس ) في ديوان أرمغان حجاز ، و ( لينين في حضرة الخالق ) في ديوان بال جبريل و ( خروج آدم من الجنة ) في الديوان نفسه .

والقصص في شعر اقبال ، كالقصص في شعر جلال الدين الرومي ، يتوسل به الى تبين مقاصد الشعر ، لا يعني فيه الشاعر بأكثر من الحوار بين من يتكلم على ألسنتهم من أناسي القصة .

ب - ومن شعر اقبال الشعر التعليمي ، يقصد فيه الى تعليم فلسفته ومذهبه في نظام شعري تمتزج فيه الفلسفة والشعر . وأبين هذا



الشعر المنظومتان اللتان عبّرتهما عبرا في الكلام على فلسفة  
اقبال • ومثلها منظومات قصيرة في دواوينه الأخرى ، منها  
وصاياه الى ابنه جاويد وناشئة هذا الجيل •

ج - والوصف في شعر هذا الشاعر العظيم كثير ، فيه وصف الطبيعة  
ووصف الأبنية كما وصف جامع قرطبة ، وتاج محل • والوصف  
المعنوي يغلب فيه على الوصف الحسى ، يشرع في وصف الصورة  
الحسية فتنتفتح له عن معان عالية من الفلسفة والشعر يفيض فيها •  
لا تشغل الصور الحسية هذا الشاعر الروحي كثيرا فأنا تثير  
في نفسه معاني ينطلق فيها ، وانما هي باب يجوزه الى عالم غير  
محدود •

د - وفي شعر اقبال ضروب الشعر الأخرى التي تسمى في اصطلاح  
الأدباء الشعر الغنائي أو الوجداني • وهي فنون شتى في معانيها  
ومنها الضرب الذي كلف به شعراء الفرس ومن تبعهم وسموه  
غزلا • والغزل أبيات قليلة ، بين سبعة واثني عشر في الغالب ، ينظم  
فيها الشاعر خواطر يجمعها موضوع أو لا يجمعها • وهذه الفنون  
موصولة في معانيها بالأقسام الأخرى التي ذكرتها آتفا ، وان فرق  
بينها هذا التقسيم الصوري • ومن ذا يستطيع تقسيم أمواج  
البحر بخطوط وحدود •

— ٤ —

### الأوزان والقوافي

وأما أوزان شعره فهي الأوزان الفارسية كلها • هي أوزان أخذها شعراء  
الفرس عن الأوزان العربية • وتصرفوا فيها وزادوا عليها • وليس هذا

موضع الكلام في أوزان الشعر الفارسي واتصالها بالأوزان العربية  
وسينر شعراء التركية والأردية عليها ، واحتذائهم إياها .

والقوافي هي القوافي الفارسية كذلك . ويكثر فيها الرّكف وهو أن  
تكرر كلمة في آخر كل بيت وتلغى في التقفية . ويلتزم روى قبلها . وقد  
قدمت أمثلة منها في بعض ما ترجمت من شعر اقبال .

وأما أنواع القوافي ففيها الرباعيات وهي كثيرة في دواوين الشاعر .  
ومنها الموشحات على النظام المعروف في الشعر العربي . والشاعر يفتن  
في القوافي الموشحة ، ويصرف الوزن معها بالطول والقصر . وسيجد  
القارئ مثالا منها من بعد .

ومن شعر اقبال المثنويات . وهي منظومات على القافية المزدوجة وعلى  
هذه القافية نظم دواوين الأسرار والرموز وجاويد نامه . وكذلك نظم فيها  
كثيرا من منظوماته في الدواوين الأخرى .

ومن منظومات اقبال ضروب أخرى على التقفية المعروفة في القصائد  
العربية .

هذه نظرة عاجلة في ضروب شعر اقبال من حيث السياق والوزن  
والقافية .

ولم أرد فيها التفصيل ، لأنني أكتب للقارئ العربي . وليس أمامه شعر  
الشاعر في لغته فأطيل له البيان في ضروب الشعر موضوعه وأشكاله  
وأوزانه وقوافيه .

— ٥ —

### اللغة والأسلوب

وهذا موضوع لا يعنى القارئ العربي كثيرا . فهو لا يقرأ شعر اقبال في



لغتيه الأردية والفارسية ولكن يقرأ ترجمة عربية لبعض دواوينه  
والترجمة ان حفظت المعنى والصورة لا تحفظ اللغة والأسلوب

وحسبى في التعريف بلغة اقبال وعبارته وأسلوبه هذه الكلمات :

كتب اقبال باللغتين الأردية والفارسية . ولغته الأولى البنجابية ليست  
لغة علم وأدب ، والمكتوب فيها قليل من أدب العامة . فاللغة الأردية هي  
لغته ولغة الأدباء والمتأدبين من مسلمى الهند .

ولغته وأسلوبه فيما أنشأ بالأردية ، يبلغان في الأصالة والصحة والقوة  
ما بلغه أكبر شعراء الأردية منذ نشأ الشعر في هذه اللغة الى أن نبغ اقبال .

والحكم في لغة الشعر وعبارته وأسلوبه يرد الى ذوق أهل اللغة . ولا  
يعد فيه برأى دارسى اللغة من غير أهلها وان بلغوا الغاية في علمها وفقهها ،  
ودربوا على أساليبها في شعرها وثرها . وأدباء الأردية يرون أن شعر  
اقبال في جملته يبلغ الذروة من هذه اللغة . ويسامى شعر أعظم شعرائها ،  
ثم يفوتهم بمعانيه التي لا تحدّ وفلسفته التي استولى فيها على الأمد .



وأما منظومات اقبال الفارسية فقد أخذ عليها أدباء الفرس ما أخذ أجملها  
ثم أذكر رأى فيها :

عُرفت اللغة الفارسية في الهند منذ فتح السلطان محمود الغزنوى  
شمالى الهند في القرن الرابع الهجرى ، وبلغت مكانة عليّة أيام المغول  
فكانت لغة الدولة ولغة العلم والأدب . وقد اجتمع حول جلال الدين أكبر  
أحد ملوكهم زهاء خمسين شاعرا كلهم ينظم بالفارسية ، منهم من نبغ في  
الهند ومنهم من وفد اليها من ايران .

وقد ضعف أمرها بعد اضمحلال الدولة المغولية ولكنها بقيت حتى  
عصرنا يعرفها المثقفون ، وينظم بها بعض الشعراء ويكتب بها بعض الكتاب .  
وأعظم من نظم فيها في هذا العصر محمد اقبال .

وقد أنشأ فيها ستة من دواوينه التسعة ، كما بينت قبلا .

وأخذ بعض أدباء الفرس على الشاعر النابغ هذه المآخذ :

أ - أخذ عليه أن لغته وأسلوبه ليسا مطابقين للغة الشعر الفارسي  
العصرى وأسلوبه .

ب - وأنه يستعمل أحيانا عبارات تخالف الفصح المأنوس في الفارسية

ج - وأن له تراكيب لم تؤثر في الأدب الفارسي من قبل .

وقد أجاب المعترضين ملك الشعراء بهار رحمه الله أحد شعراء الفرس ،  
ومجتبى المينوى الذى ألف كتابا عن الشاعر اسمه « اقبال اللاهورى »  
وقد عدد المؤلف في هذا الكتاب ما أخذ على اقبال وأجاب عليه .

ويبدو أن لهذا الاعتراض سببين الأول أن اقبالا لم ينشأ في بيئة  
فارسية . فالفارسية ليست لغته ، ولكن اكتسبها بالدرس ، وطول النظر  
في دواوين شعرائها . فاستوى عنده ما استعمله شعراء الفرس القدماء  
وما استعمله المعاصرون منهم . فرأى بعض النقاد في بعض شعره مخالفة  
للغة العصر وأسلوبه .

والثانى أن اللغة الفارسية استوطنت الهند قرونا ، ونشأ فيها أدباء  
ونبع شعراء لهم بيئتهم وأحوالهم . وهى تخالف بيئة شعراء ايران وأحوالهم  
فنشأت في الهند لغة أدبية تخالف مخالفة ما لغة الأدب في ايران .  
فأما السبب الأول فلا حرج على اقبال أن يأخذ من كبار شعراء الفارسية  
في كل العصور . ويسعه ما وسع هؤلاء الشعراء . ولا يضره ألا يكون



شعره مسائرا الشعر الفارسي العصري كل المسائرة في لفظه وتركيبه  
وسياقه .

وأما السبب الثاني ففيه اعتراض باصطلاح بيئة على اصطلاح بيئة  
أخرى . وقد يما قال علماؤنا : لا مشاحة في الاصطلاح .

وأما أن لشاعرنا العظيم تركيبات لم تؤثر في الأدب الفارسي فقصاراه  
أنه ابتكر عبارات في الفارسية . والرجل له فلسفة مبتكرة ، وآراء مبتدعة  
روّض لها الشعر وذلكه . فلا عجب أن يضع ألفاظا مفردة لمعان محدثة أو  
يحرّفها عن معانيها قليلا ، ولا غرو أن يصوغ تركيبا أو تعبيرا بدعا لمعانيه  
المبتدعة .

ولأقبال الفخر أنه ابتدع وجدّد في المعاني والألفاظ والعبارات . ويزيده  
فخرا أنه نقل ألفاظا من معان اباحية مبتذلة تتصل بالخمّر والسكر واللّهو  
والخلاعة وما إليها من الألفاظ التي شاعت في الأدب الفارسي فهوت به ،  
نقل هذه الألفاظ الى معان روحية عالية واسعة لا تحدّها حدود المادة .  
كما رده الى معانيها الأولى ألفاظا تجوز فيها الشعراء فلبسوا على الناس  
مذاهبهم كالكفر والدين والدير والحرم والكعبة .

وفضل اقبال الأعظم ، وفخره الأكبر ، أنه أودع اللغة الفارسية  
هذه الثروة من الفلسفة العالية ، والآراء السديدة ، وذلكها للشعر ،  
ويسرّها للمتأدبين . وما أعظم حظ اللغة التي يختارها اقبال لشعره . فهل  
يؤخذ على مثل هذا الفيلسوف الشاعر أنه خرج بألفاظ عن معانيها ، أو  
استعمل عبارات غير مألوفة في لغة العصر ، أو اخترع تركيبات غير مأنوسة  
في الأدب الفارسي . وهل عمل النابغين الا الخلق والاختراع والتجديد  
والتصحيح في الأفكار العامة ثم في المعاني الجزئية والألفاظ والأساليب .

ان من يعيبون الشاعر العظيم بهذا يفضّثون عن جناته وعيونه ،  
ويصدفون عن أزهاره ورياحينه ، ولا يبصرون الا شوكة في غصن ورد أو

ورقة ذابطة في شجرة ناضرة ، كالذى نظر في ترجمة رسالة المشرق وضرب  
الكليم الى العربية فعبس وبسر ، وأعرض عن النظم الرائق ، والسبك  
الرائع ، وذهب يلتمس رباعية جعلتها مثالا للقافية المردوفة في اللغة الفارسية  
وأنا أعلم انها غير مألوفة في العربية . وقال هذه لا تمثل نفس اقبال  
وكانى لم أترجم من شعر الشاعر الا هذه الرباعية . وما للانسان حيلة فيمن  
يرون كلف البدر ولا يبصرون نوره ، والذين يعيون الجواد المطهم  
الأشهب بشعرات سود في ذيله ولا يعجبون بشيء من محاسنه . وليت شعرى  
متى يقرأ المتأدبون بأداب الاسلام قول القرآن الكريم : « ولا تبخسوا  
الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين » .  
لقد صدق اقبال حين قال في رسالة المشرق :

رددت العجم فتيانا بلحنى      وراج متاعهم من بعد خسر  
وكانوا هائمين بكل واد      وقافلة نظمتهم بشعرى

بروح العجم من نفسى شرار      قرعت لهم بأجراس فساروا  
وعاليت الهداء لهم كعترى      تباطأ محمل ونأت دياراً

\*\*\*

على أن اقبالا يقول في مقدمة أسرار خودى :  
ما قصدت الشعر من هذا الكليم      نحت أصنام وتعظيم الصنم  
أنا هندی شانى الفارسى      وهلال أنا ذو جام خلى

يقول انه لم يقصد في هذا الديوان الى الشعر صورته وأخيلته ومبالغاته  
وانه لا يحكم الفارسية ولا يزال هلالا كأسه خالية من الشراب .

وهذا تواضع اقبال . وللأدب رأيه في الاعتراف بتبريزه فيما نظم من  
شعر أردى وفارسى .

(1) يشير الى بيت للشاعر عرق الشيرازى معناه : ارفع صوتك بالهداء حين ترى تباطؤ القافاة



## الفصل الخامس

أمثلة من شعر محمد اقبال

أقتصر في التمثيل على ما ترجمتُ نظماً من دواوينه • والذي ترجمت  
أربعة دواوين : رسالة المشرق وضرب الكليم ، والأسرار والرموز •

ولا جرم أنه تمثيل ناقص لا يستوعب دواوين الشاعر ولكنه يفى  
بتعريف القارئ أفكار الشاعر ومذهبه في الشعر • وكان يسيراً على  
أن أعرض أمثلة منشورة من الدواوين التي لم أترجمها أو أنظم  
أبياتاً قليلة منها للتمثيل ، ولكن الوقت لم يتسع ، ورأيت في الدواوين  
الأربعة غنيّة ، الى أن تُترجم الدواوين الأخرى ؛ على أني نقلت في  
الكلام على فلسفته وفي الكلام على مذهبه في الفنون ، فقرات منشورة من  
الدواوين الأخرى •

\*\*\*

يقول في شقائق الطور ، وهي الرباعيات من ديوان رسالة المشرق :

له نقش يجدد كل حين      فلا تبقى الحياة على غرار  
فأن صورتَ يومك مثل أمس      فما يحوى ترابك من شرار

وفي الرباعية لمحة الى مذهبه في التجديد المستمر ، والجهد الدائب في  
هذه الحياة •

ومن قوله في غشيان الأهوال ، وركوب الأخطار :

دع الشيطان لا تركزن اليها      ضعيف" عندها جرس الحياة  
عليك البحر ، صارع فيه موجا      حياة الخلد في نصب تواتي

ومن قوله في حرية الانسان :

بسلسلة القضاء ربطت رجلا      وفي سعة العوالم ضقت حالا  
فقم ، ان كنت في ريب، وأقدم      تجد للرجل في الدنيا مجالا

ويقول في الاستقلال في الفكر والابتكار في العمل :

طريقك فاحتنتها في كِفاح      طريق سواك مسلكتها عذاب  
فان أبدعت في عمل فرى      ، وان يك ماثما، فلك الثواب

تحذت لخلوتي طيني ومائي      وبوعد بين أفلاط ويني  
فلم أستجد يوما عين غيري      ولم أر عالمي الا بعيني

ويقول عن نفسه ويعنى كل شاعر ينث في شعره نار الحياة ونورها :

أنا في الروض منفرد غريب      على غصني أنوح مع الرياح  
فدعني يارقق القلب وابد      فان دمي ليرشح في نواحي

فأبلغ شاعر الألوان عنى :      لهيئك كالشقائق لا يضير  
فنفسك لا تذيب بحر نار      ولا ليلا لمحزون تنير

ويقول في وكوع الشاعر بالجمال ، واعرابه عن مكنوناته :

أنا في المرج حديث الطيور      ومقول كل برعوم صغير  
فأسلم للصبا تربي بموتي      فمالي غير طوف بالزهور

ويقول في تطور العالم وتكتمه ، وأنه لا يزال يهيا للكمال :

لنا كون" لأزميل ونحت      يقبله صباحك والمساء  
مثال" من تراب لم يكمل      يسويه بمبرده القضاء

(1) فيه حمرة النار ولكن بارد كالشقائق تحسبها ملتهبة وهي زهر .



ويقول فيما أثار بروح الشرق من الوجد والعزم في شعره :

نفتت النار من روحى نفتت      بصدر الشرق قلبا قد بعثت  
وصير طينك لها نواحي      كبرق في سجايه انعمت

ويقول في نزوع الخليقة الى الحياة ، وفي لذة القلق والاحترق فيها .  
والشاعر يكبر الحياة ويعلى شأنها ويدعو الى قوتها ودوامها :

تقول فراشة " من قبل خلق :      أنلنى لمحمة قلق الحياة  
رمادى فاذرهُ صبحا ولكن      أذقنى ليلة حرق الحياة

ويقول في الهم الذى يعتلج في قلبه من أجل المسلمين ، وتأثيره فيهم :

قلوب المسلمين قبسن نارى      ودمعى من عبونهم هتون  
بروحى محشر قد غاب عنهم      فلم تر ما رأيت ، لهم عيون

\*\*\*

وانظر وصفه الربيع في رسالة المشرق :

هلم فأن سحاب الربيع      يخيم فوق الربى والوهاد

وشدو العنادل في كل واد

وسرب القطا سادر في تهادى

على حافة النهر جذلى شوادى

شقيق وورد ضحوك ينادى

فطرفك سرح بهذا المكراد

هلم فأن سحاب الربيع      يخيم فوق الربى والوهاد

هلم فملاء الربى والسهول      قوافل أزهارها والورود  
نسيم الريح على كل عود  
وللطير ابداعها في النشيد  
ومزقت الجيبَ حمراً الحدود  
جنى الحسنُ ناضرَ زهر نضيد  
وللعشق ابداع غمٍ جديد

هلم فملاء الربى والسهول      قوافل أزهارها والورود

---

دع الدور واطلب فسيح البرا      رى وانظر الى صفحات الجمال  
على حافة الماء دون ملال  
تأمل ترقق ماء زلال  
وحَدِّق الى نرجس ذى دلال  
بنياتُ نيسان ذاتُ اختيال  
وقبل لها أعينا كاللآلى

دع الدور واطلب فسيح البرا      رى وانظر الى صفحات الجمال  
ويختم الموشح بهذه الأبيات :

ثرى المرج صرّح فى هيجه      بما أضمرت مهجة الكائنات  
فناء الصفات وكون الصفات  
وما أبدت الذات من جلوات  
وما خلته من معانى الحياة  
وما خلته من معانى الممات  
فليس له ها هنا من ثبات  
ثرى المرج صرّح فى هيجه      بما أضمرت مهجة الكائنات

---

(1) اى شقائق النعمان .



وهكذا ينتقل من الوصف الحسى الى المعانى التى نظر اليها من وراء  
هذه المحسات

واقراً هذه الأبيات التى تصور مذهبها فى الحياة : الفلسفة بغير قلب  
والفكر بغير عمل موت ، وينبوع الحياة الجدّ والكفاح  
وعنوان الأبيات :

### الأرضة

سمعت بمكتبى ليلة بناجى الفراشة سوس الكتاب :  
يقولُ مررت بمكتب ابن سينا ونقبت فى كتب الفاريا بى  
ولم أدر حكمة هذه الحياة وما زلت من ظلمتى فى حجاب

تجيب الفراشة فى حرقة أرى نكتة لا تثرى فى كتاب :

رأيت الكفاح يُعيد الحياة

رأيت الكفاح يُمد الحياة

والبراعة فى شعر اقبال صورة الحياة القوية فهى تطير بجناحيها ، وتضىء

لنفسها لا تستجدى غيرها نورا ، كما يقول على لسانها :

ولا أعشو الى نيران غيرى كما يهفو الفراش الى الحريق

إذا حلك الظلام كعين ظمى أنرت بنار أضلاعى طريقى

وهذه أبيات من منظومة فى رسالة المشرق عنوانها :

### البراعة :

وذرة حقيرة قد جمعت قواها

كأنها فراشة من حرق تصلاها

## قد نُورِت دُجَاهَا

فهي آية خُلِّت  
وانعقدت شرارا ١  
من حرقة في قلبها  
تحولت نضارا

## وبصرا نظارا

فراشة في قلق  
تطير كل ناحية  
على اللهب رفرفت  
حتى كأنه هيه

« أنا » و « أنت » قالية ٢

يا مشعلا للطير في  
معتكر الظلام  
ما حرقة أحسستها  
فأنت في هيام ؟

## حرارة الأقدام

فالجد والاقدام طارا بالذرة وحولاها نارا ونورا .

\*\*\*

ولا أجد بدءا من اثبات أبيات في العشق لها مشابه في شعره . والعشق  
في فلسفة اقبال هو الحياة بل نار الحياة . يذكره في مقابل العقل والعلم .  
وهما بدونه عجز وحيرة وجبن .

فكري قد أجد كل سير  
وطاف حول حرم ودير  
عدوت للطلاب في البراري  
مرتديا بالنقع كالاعصار

(١) الآية الشعاع كأنها شعاع انفصل من الشمس فانعقد فصار شرارا .

(٢) تبغى الانحداد وتلقى الانفصال الذي يكون فيه متكلم ومخاطب ، أنا وانت .



بعير خضر أبتغى المنازل<sup>١</sup>      يحمل رحلى للخيال كاهل  
تطلب راحاً كأسى الحطيم      كالصبح من شباكه النسيم<sup>٢</sup>  
منظوياً كالموج في البحار      حيران كالأعصار في الصحارى

هذه الأبيات تصوّر كدّ العقل وسعيه في طلب الحقيقة دون جدوى  
وفي الأبيات الآتية تصوّر فيض العشق في نفس هذا الطالب ، وفتح له  
مغالق الحياة •

في الأبيات الآتية من القصيدة يقول ان العشق فاض بقلبه فأيقظ  
وجدانه ، ويسّر له كل عسير ، وحلّ له كل عقدة ، ورفع له الى عليا  
الدرجات •

عشقتك فاض بقتة بقلبي      وحلّ كل عقدة في لبّي  
عرفني الوجود والفناء      فصار ديري حرماً وضاء  
على حصيندي مرّ كالبروق      عرفني لذادة الحريق<sup>٣</sup>  
صعقت منه وسلبت حسي      فصلت من نفسي مثل العكس<sup>٤</sup>  
رفعت للعرش المعلّى ثربي      بالسّر قد أفشيتة لقلبي  
وبلغت سفيتي مرساها      وفاض قبّحي روتقا وتاها  
عندي حديث العشق لا سواه      لا أقبل الملام في بكواه

غنيت عن ومض العلوم • حسبى

دمعي ووجدى وخفوق قلبي

وهذه قصيدة الوحدة التي تصوّر فيها الشاعر انفراد الانسان في العالم  
بالعقل والوجدان ، واحتماله الآلام ، وأنه لا يجد نجياً بين هذه الخلائق •  
كما في القرآن الكريم :

(١) بعير دليل ، والخضر دل اسكندر في الظلمات كما في الاساطير .  
(٢) كأسه تطلب الخمر وهي محطومة لا تمسكه ، كما يريد الصبح ان يحوى الاشياء بشبكة  
من النسيم •  
(٣) احرق ما جمع منه علم وفكر كما يحرق البرق الحصيد وعرفه لذة الاحتراق •  
(٤) العكس الصورة • واللفظ في الاصل • وفي ايران وبعض البلاد العربية يقال للمصور: عكاس

« انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها  
وأشفقن منها وحملها الانسان • انه كان ظلوما جهولا »

قد قلت للبحر يوما      في موجه المتعالي :  
أراك دائباً سعى      فما تكنَ بيال ؟  
كم قد حويت بصدر      من لامعات اللآلي  
أفيك مثلي صدرٌ      بجوهر القلب حالي

فصدت عنتي بجزر

ولم يرد سؤالي

وقلت للطود يوما      يا خالياً من عناء !  
أنال سمك صوتٌ      من زفرة وبكاء ؟  
ان كنت تحوى عقيقاً      فيه عروق دماء  
فواسيني بحديث      اني حليف شقاء

فصدت عنتي بصمت

ولم يرد سؤالي

جددت في السير حتى      أتيت بدر السماء  
فقلت : يانضو سير      حثامَ ذرع الفضاء ؟  
الأرض مَرَج زهور      من نورك الللاء  
أخلفَ نورك قلب      في حُرقة وعناء ؟

رأى الكواكب ترنو

فلم يرد سؤالي

وقلت لله ربي      من بعد طوف البرية :  
أما بديك هذى      من ذرّة بي حفيه ؟



أكلت طينى قلب  
وذى البرايا خليئه ؟  
طابت مروج ، ولكن  
ليست بشدوى حريره

أجابنى بابتسام  
ولم يردّ سؤالى

هذه حال الانسان فى العالم لا يجد شريكا له بين الخلائق يناجيه  
ويواسيه . والله تعالى حجب عنه الأسرار ، ووكله بالكشف عنها .

\*\*\*

وقصيدة الحور والشاعر التى يعارض بها الشاعر الألمانى جوته ،  
تصوّر مذهب اقبال فى الأمل الدائم ، والجدّ الدائب والسير المستمر فى  
هذه الحياة .

الحور :

لا الخمر يوما تطئيك  
ولا الينا أنت ناظر  
عجب لنا من شاعر  
بهوى الأعبة غير شاعر  
من حرّ أنفاس الرجاء  
وحرقة الطلب المثار  
نفس تذيب بلوعة  
وتغزل يشجو المزاهر  
وخلقت بالأحزان دنياك  
العجبية خلق شاعر  
تبدو بها ارم كما  
يبدو لعين سحر ساحر  
الشاعر :

ماذا أقول وفطرتى  
لا ترضى دعة المنازل  
قلبى على قلق كما  
تهفو الصباحول الحمائل  
فاذا نظرت الى جميل  
فاتن حلو الشمائل  
خفق الفؤاد الى الذى  
يلوه حسنا فى المحافل  
فمن الشرار الى النجوم  
الى الشمس رقى آمل  
انى ليهلكنى القرار ،  
فما أعوج على المراحل  
واذا شربت من الربيع  
الكاس تسرى فى المفاصل

أشدو بشعر محدث      وريمى الأني أغازل  
 طلبى النهاية فى مدى      لا ينتهى فيه المسائل  
 لاصابر نظرى ولا      قلبى عن الآمال غافل

هذه المعانى صورها الشاعر مئات الصور فى دواوينه • وقدمت فى  
 تلخيص أسرار خودى فى باب الفلسفة من هذا الكتاب أبياتا وافية فى  
 هذا الشأن •

وهذا مثال من قصائد فى رسالة المشرق تسمى الحمر الباقية ، وهى من  
 الضرب الذى يسمى غزلا فى اصطلاح الشعر الفارسى ، ويغلب فيها  
 التصوف ، وغموض المعنى ، ولا يلزم فيها وحدة الموضوع •

عقلنا ينحت ربنا كل حين      فهو من قيد الى قيد ، رهين  
 ارفع الستر جهارا لا تبك      ليس فى حيك غيرى ذو حين  
 أنا من عينى غيور ناسج      نظراتى لك ستر فى العيون  
 بسمه خلّس ودمع ويزنا      ليس فى الحب سواها من يمين  
 حبذا العشق ففى يوم النوى      زاد باللوعة عهدا لا يمين ١  
 أيها الطائر من قلبى اقبسن      لتزيد النار فى هذا الأنين

سادن الكعبة لا تأذن له

فالأقبال اله "كل حين

وهذه أخرى من الحمر الباقية :

فى ذلك الحفل سؤالى      عن محرم بى حقيق  
 لذاك أزجى غنائى      وفيه لحن الصديق ٢  
 بيث قلبى حديثا      بمقلتى وبموقى  
 فى خلوة كل لفظ      فيها كستر صفيق  
 مطهر نظراتى      بدمع عين طليق

(١) لا يكذب • يعنى ان لوعة العاشق يوم الفراق عهد اخر فى الحب لا يكذب •

(٢) فيه اللحن الذى يعيه صديقه الذى يطلبه •



لوجهك المرموق  
لعقدة ولضيق<sup>١</sup>  
أنمو بقلب مشوق

من أجل نظرة وجد  
كالكم كل أموري  
لكن الى ضوء شمس  
الى أن يقول :

من لذة التحليق  
طورا بروض شقيق

لا أستريح بعش  
طورا بشاطيء نهر

واختتم التمثيل في هذا الضرب ، قصائد الخمر الباقية ، بهذه :

وعروس الشقيق تزهي بهاء  
ذاك لحن من عالم الغيب جاء  
في ورتار الحياة أيتان شاء<sup>٢</sup>  
قدر الله في الحياة لقاء  
كل شيء كالرمل يمضي هباء  
وبأرض الحجاز قلبي أضاء  
أرض شيراز حب ذلك اتتماء<sup>٣</sup>

عند ليّب الربيع جنّ غناء<sup>٤</sup>  
لا مثنى ولا مظاهر فيه  
محرم السترن يسدد ضربا  
لا تعنتف وخذ سبيل وداد  
أين في دارة التراب مقام ؟  
زهرة من رياض كشمير جسي  
وأغاني واللحون<sup>٥</sup> نمتها

\*\*\*

وفي ديوان رسالة المشرق قسم سماء الشاعر نقش الفرنج ، ذكر فيها  
جماعة من فلاسفة أوربا وشعرائهم .

وهذه أبيات من هذا القسم عنوانها ( شوبن هاور ونطشه )  
الأول الفيلسوف الألماني المتشائم الساخط ، والثاني فيلسوف القوة  
والأقدام .

شوبن هاور ونطشه

طار من عشه يسير بروض . فأصابته شوكة من زهور

(١) الوتار جمع وتر . ومحرم السر أهله .

(٢) أصل أسرة انبال من كشمير ، وقلبه أضاء بالاسلام وشعره فيه نغمات شعراء شيراز ،  
حافظ وسعدى وغيرهما .

(٣) مثل كم الزهرة ضيق معقد .

لعن الروض والزمان ونادى      بثبور لنفسه والطيور  
ورأى وسمة الشقائق جورا      وطلسم البرعوم خدع غرورا<sup>١</sup>  
قال : دار على اعوجاج أقيمت      كل صبح فيها إلى ديجور  
فأح حتى تقاطرت نغمات      من دماء بدمع عين غزير

وشجبا الهدهد النوايح فوافي  
ينزع الشوك من جناح الكسير  
قال : أخرج من كل خسرك ربحا  
مزق الورد صدره للعبير<sup>٢</sup>

واجعل الجرح بلسما فسترضى  
وألف الشوك تغد كلك روضا

\*\*\*

هذه أمثلة من رسالة المشرق يرى فيها القارئ افتتان اقبال في شعره  
عامة ، وفي تصوير مذهبه خاصة .

وأردف هذه بأمثلة من ديوان ضرب الكلم . وهو كما بينت في  
مقدمته ، وفي الفصل الأول من هذا الباب ، أقرب إلى الفلسفة منه إلى  
الشعر ، وآراء اقبال فيه مقسمة على أبواب في موضوعات شتى ، كأنه  
كتاب .

تكلم الشاعر عن الاسلام والمسلمين ، والتربية والتعليم والفنون  
الجميلة والسياسة ، ووصل كل هؤلاء بمذهبه في الذات وتقويتها وصلا  
ظاهرا أو خفيا . وقدمت نماذج من شعر هذا الديوان في الفصل :  
« مذهب اقبال في الفنون الجميلة » والفصل : « مذهب اقبال في الشعر »

(١) رأى السمة السوداء في الشقائق ظلما لها . وهذه السمة في خيال الشعراء حرة أو  
وسمة كى أو لومة حب . والبرعوم المنطبق على نفسه رأى فيه الفيلسوف النشائم خداعا في  
عده الحياة .  
(٢) يفتح الورد لتفوح ربحه .



خاصة» • فحسبى هنا أمثلة قليلة في موضوعات أخرى •  
آيات عنوانها : رجال الله

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| انما الحرُّ من يجيد ضرابا | لا الذى حرَّبه تدور هراء  |
| وسجايا الأحرار تجمع تاجا  | ذا سناء وخرقة وقباء ١     |
| من خفايا ترابهم أخذ الدهر | شرارا فصاغ منه ذكاء       |
| فطرة" حرمة تعاف الدنيا    | من طواف الأصنام عاشت براء |
| أنت فى الكفر والتدين جمعا | وثنى" تقدس الأهواء        |

\*\*\*

وهذه صفة المؤمن من صفات كثيرة وصفه بها الشاعر الكبير :

فى الدنيا

|                             |                         |
|-----------------------------|-------------------------|
| مع الصحب لئن كمن" الحرير    | بعيد من المحك المؤمن ٢  |
| شديد" اذا ما طغى باطل       | وكاليت فى المعرك المؤمن |
| من الطين لكن على الأرض يسمو | ويأبى على الفلك المؤمن  |
| وما هته صيد طير ولكن        | بصيد من الملك المؤمن    |

فى الجنة

|                        |                         |
|------------------------|-------------------------|
| تقول الملائك فى غبطة : | حبيب الى قلبنا المؤمن   |
| وللحور شكوى الى ربها : | سريع الى هجرنا المؤمن ٣ |

\*\*\*

وانظر هذه المحاوره بين الخالق تعالى وابليس فى آيات عنوانها :  
القَدَر • والفكرة مأخوذة من ابن عربى •

(١) الحر لا يتغير بالاحوال المختلفة • ربما يكون فى وقت واحد ملكا ذا تاج وصوفيا ذاخرقة وشيخا ذا قباء •

(٢) القافية مردوفة بكلمة المؤمن • والروى الكاف فى الكلمات التى قبلها •

(٣) هته فى الجنة تسمو على الحور وكل متعة •

ابليس :

ليس عنه من مجيد  
بعدوه أو حسود  
ومكان في حدود  
أو كيف أحييد ؟  
لست أرضى بالسجود

يا الالهأ أمره كن  
لم يصب آدم متي  
ويح غير من زمان  
كيف أستكبر عن أمرك  
كان في علمك أني

الخالق :

قبل أو بعد الجحود ؟

هل عرفت السر هذا

ابليس :

كمالات الوجود

بعد يا من تجلييه

الخالق ( ناظرا الى الملائكة )

لقتته الزور عذرا  
أنا لا أملك أمرا  
اختيارا فيه جبرا  
شعلة فيه وجمرا

خسة الفطرة فيه  
قال : ماشئت سجودي  
ذلك الظالم سمى  
انه سمى رمادا

ولتب المحاورة أن ابليس لم يعرف أن اباة السجود مقدر عليه الا بعد  
أن أبى . فالتقدير كان بعد ارادته . واقبال من دعاة حرية الارادة ، يقول  
ان الانسان يبلغ من الحرية والمكانة عند الله أن يكون عزمه مشيرا على  
القدر .

وهذا خطاب

\*\*\*

الى أمراء العرب

هل يسعد الكافر الهندي منطقه  
مسائلا أمراء العرب في أدب :  
من أمة قبل كل الناس قد أخذت  
بحكمة فأعاتتها على النوب :

(1) كيف أحسد هذا الفر المقيد بالزمان والمكان .

(1) اجداد اقبال كانوا من البراهمة فلهدا يسمى نفسه الكافر الهندي .



اخاء كل - تقي - دون تفرقة      وهجر كل غوى من ابي لهب  
 ما من حدود وارض كان منشؤها      من احمده العرب كانت امة العرب

ينعى على امراء العرب التفرق والتفريق بين الناس ويقول انهم اول  
 امة جاوزت حدود النسب والوطن ، واخت في الناس كل مهتد يتبع  
 الرسول ، وهجرت كل غوى يتبع ابا لهب .

وهذه قطعة يسمو فيها اقبال على الاقوام والاطوان ، بل على الدنيا  
 والآخرة ، وينفث فيها قوة الحياة ونارها :

|                                |  |
|--------------------------------|--|
| الى عصبات العرب ما انا متهم    | ولا انا هندي ولا انا اعجمي             |
| فقد حلت بي (الذات) تحليق نافر  | يمر على الدارين غير محوم               |
| بعينك انى كافر غير مسلم        | وانت بعيني كافر غير مسلم               |
| فدينك تعدد الانفاس محجج        | وديني احراق لانفاس مقدم                |
| تبدلت ، فالتبديل في الشرع تبغى | فليس يضيق الظبي شرعة ضيفم <sup>٢</sup> |
| ولست ارى في بيدك اليوم جنة     | تشب بهذا العقل نار التقدم <sup>٢</sup> |
| اذا حاد عن نار الحياة منعم     | فموت شعوب لحن هذا المنعم               |

\*\*\*

واقبال يكرم المرأة كل اكرام ، ولكن لا يرى ان من كرامتها ما يسمى  
 حرية في هذا الزمان . ويقول فيما يقول : لا بد من خلوة المرأة الى  
 نفسها في بيتها .

وهذه آيات من قسم المرأة من ديوان ضرب الكلم عنوانها :

الخلوة

|                          |                            |
|--------------------------|----------------------------|
| فضح العصر جنة بالسفور    | نور عين ، وظلمة في الصدور  |
| ان تجز متعة العيون مداها | كان منها الشتات في التفكير |

(١) هذا فرق بين المؤمن والكافر ، الاول يقدم محرقا انفاسه ، والثاني يحجم معددا انفاسه .  
 (٢) يكرر اقبال هذا المعنى ، ان المسلمين ضعفوا عن شريعة الاسلام فأولوها تاويلا يلائم ضعفه .  
 (٣) استسلم المسلمون لقضايا الفلسفة والمنطق وتركوا الاقدام الذي لا يبالي بشيء ، فليس  
 في سحرانهم اليوم الجنون الذي يعلم العقل الاقدام . يشير الى مجنون ليلي .

قطرة الماء لا تحوّل دُرّاً  
دون أصدافها بقاع البحور  
وأبيات أخرى عنوانها :

### حصانة المرأة

في الصدر سرٌّ ليس يدركه      من حاز بردَ دماغه عصب :  
حفظ الأنوثة في يدَي رجل      لا العلم يحفظها ولا الحُجُب  
ان غاب هذا الحق عن أمم      فكسوف شمس نهارهم كُتِب  
وأختم التمثيل بقطعة في باب السياسة من ضرب الكليم عنوانها :

### الى أهل مصر

من أبى الهول أتتى نكتة      وأبو الهول طوى السرّ القديم  
كم شعوب بدلت سيرتها      قوة لم يجفها العقل الحكيم  
طبعها في كل عصر مائل      تبدل الشكل وتبقى في الصميم  
فهي طوراً في حسام المصطفى      وهي طوراً في عصاموسى الكليم

### خاتمة

هذا ما وسعه الوقت ، وأذنت به الشواغل من سيرة اقبال وفلسفته  
وشعره ، أقدمته لقراء العربية مقدمة لما عسى أن يتلوه من نظر أوسع  
وأعمق في فلسفة هذا الشاعر الذى حمل الى الناس كافة ، والى المسلمين  
خاصة ، رسالة الحياة والأمل والقوة الروحية في هذا العصر .  
وقد بلغ القلم هذه الخاتمة في مدينة كراچى والساعة خمس وربع ٢  
من ليلة الجمعة الرابع والعشرين ٢ من رمضان سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة  
وألف من الهجرة ، الموافق الثامن والعشرين من شهر نيسان سنة أربع  
 وخمسين وتسعمائة وألف من الميلاد .  
والله حسبي وكفى . وهو المسئول أن يهدينا الى الحق ، ويرزقنا  
الاخلاص في كل قول وفعل .  
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه .

اتتهى

(١) ابو الهول يمثل القوة والعقل . رأس انسان على جسم اسد .

(١) بالتوقيت العربى وهو يبتدىء من غروب الشمس .

(٢) بتوقيت باكستان . وهو الخامس والعشرون بتوقيت مصر هذه السنة .



## فهرس الكتاب

٢

### مقدمة الكتاب

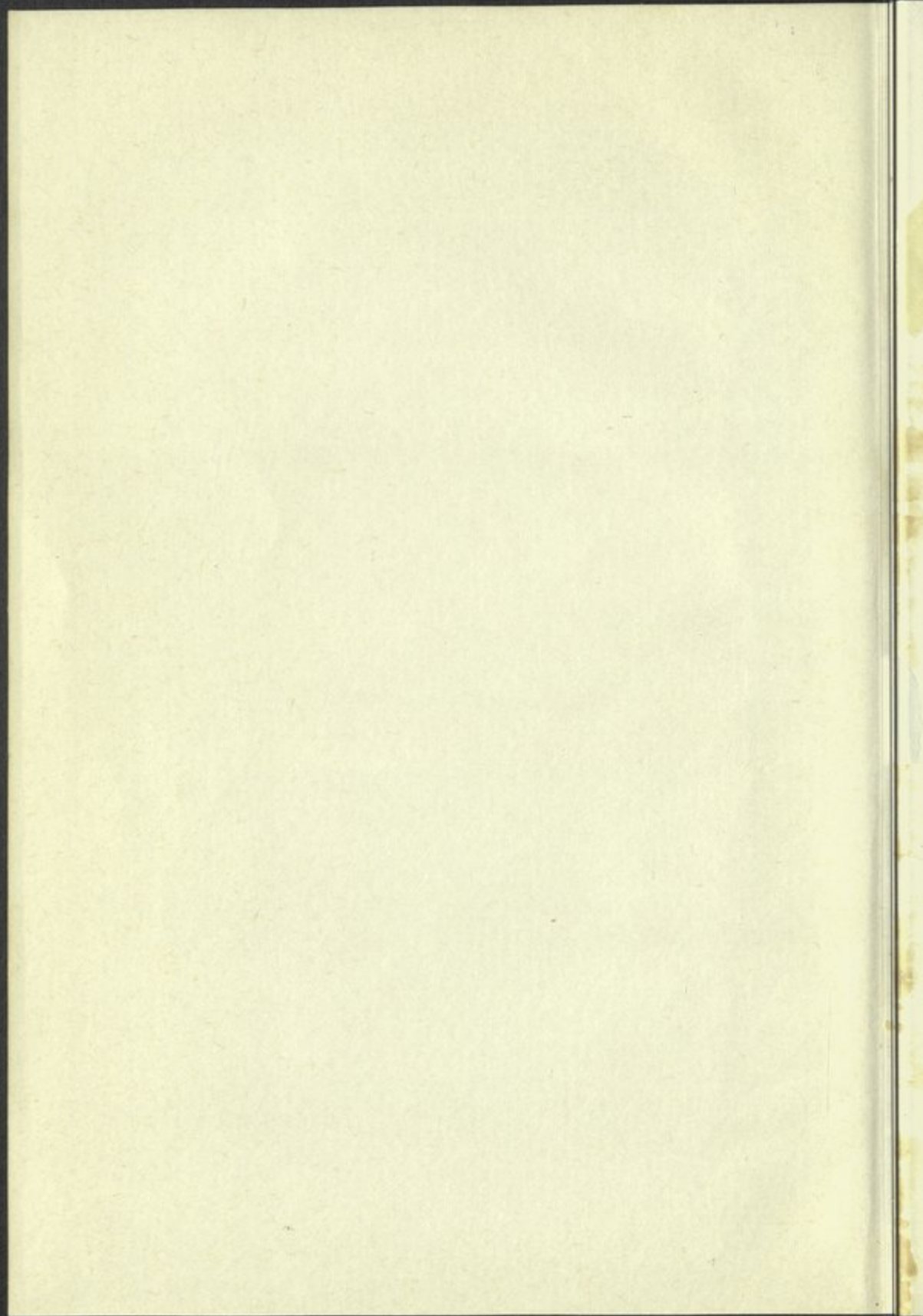
- الباب الاول - سيرة اقبال  
١٥ الفصل الاول - أسرته  
١٩ الفصل الثاني - في سيالكوت  
٢٢ الفصل الثالث - في لاهور الى سنة ١٩٠٥  
٢٧ الفصل الرابع - سفره الى اوربا  
٣٠ الفصل الخامس - اقبال في وطنه - من عودته  
من اوربا الى وفاته

### الباب الثاني - فلسفة اقبال

- ٤٨ الفصل الاول - منظومة اسرار خودى ، وما اثارته من جدال  
٦٧ الفصل الثاني - خلاصة اسرار خودى  
٤٨ الفصل الثالث - المنظومة الثانية ، رموز بى خودى  
١١١ الفصل الرابع - اوجه اخرى لفلسفة اقبال  
١٢٥ الفصل الخامس - اجابة اقبال المعترضين على فلسفته في اوربا

### الباب الثالث - شعر اقبال

- ١٣٢ الفصل الاول - دواوين اقبال  
١٣٣ الفصل الثاني - مذهب اقبال في الفنون الجميلة  
١٤٣ الفصل الثالث - مذهب اقبال في الشعر خاصة  
١٥٨ الفصل الرابع - شعر اقبال  
١٦٤ الفصل الخامس - امثلة من شعر اقبال  
١٧٦





DATE DUE

JAFET LIB.  
29 MAR 1978

~~JAFET LIB.~~

~~20 JUN 1983~~

~~JAFET LIB.  
13 JUN 1979~~

JAFET LIB.  
17 MAR 1992

01036631

عزام ، عبد الوهاب

محمد اقبال، سيرته و فلسفته و شعره

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01036631





